الطبعة الثانية

رواية

رسول بابل الأخير

نبوبولاصر الحسيني

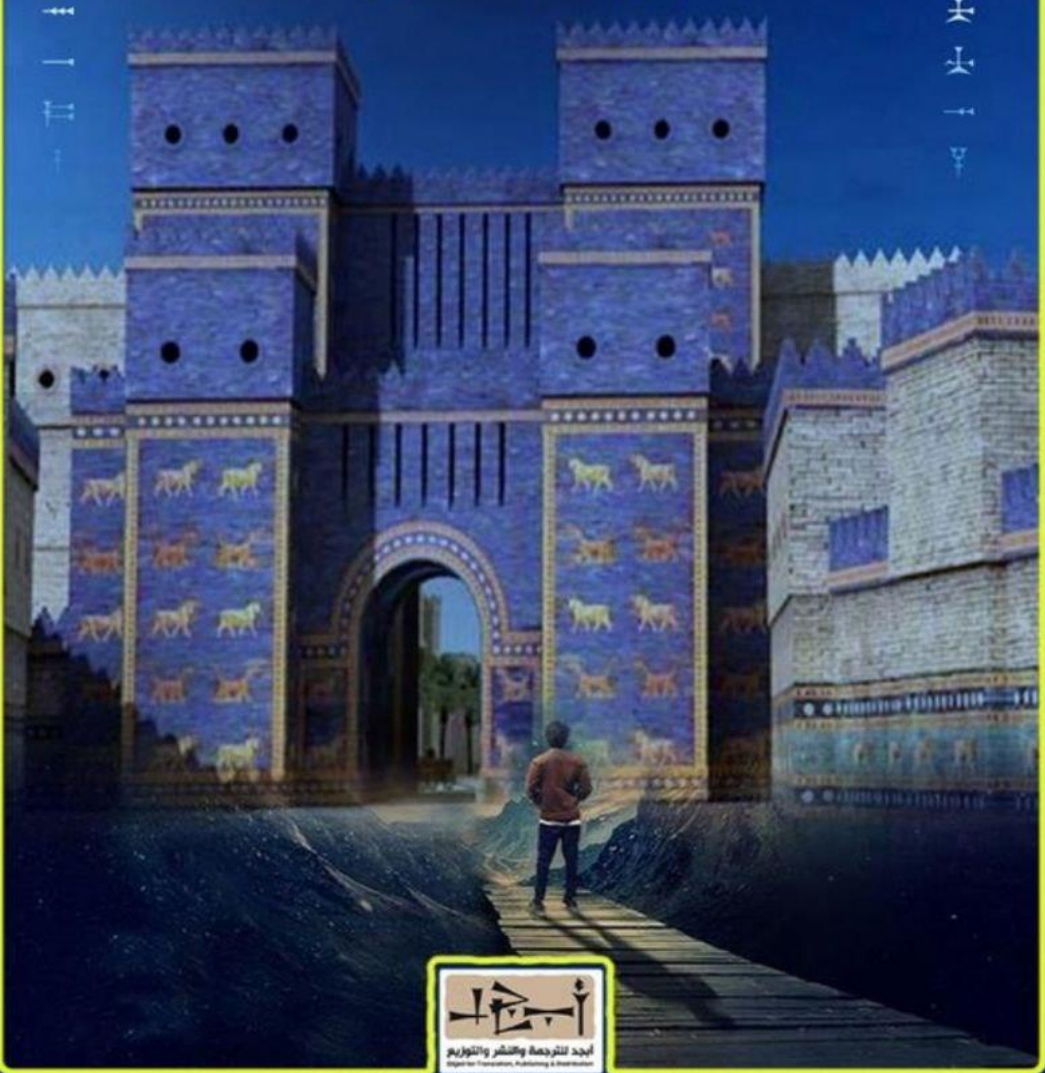

أبجد للترجمة والنشر والتوزيع
Abjad for Translation, Publishing & Distribution

رسول بابل الأخير

الكتاب: رسول بابل الأخير
تأليف: نبوبولاصر الحسيني
التصنيف: رواية
تصميم الغلاف: وحي للتصميم
التنسيق الداخلي للكتاب: مؤسسة أبجد
ISBN: 978-9922-684-43-7

أبجد للترجمة والنشر والتوزيع
Ebjed for Translation, Publishing & Distribution

الطبعة الثانية
2023
مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع
العراق – محافظة بابل – الحلة – شارع اربعين
جوال: 009647831010190
info@ebjed.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميا وإتاحته عبر شبكة الانترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من الناشر.

رسول بابل الأخير

رواية

نبوبولاصر الحسيني

الإهداء

إلى صديقي الشاعر (الحسين بن خليل) الوحيد الذي رمم خرائب روحي وقناعاتي بعدما هدمها الأصدقاء

مقدمة تراجيدية للواقع غير الافتراضي

عندما تغرق الأحلام بمستنقع الليالي الموحشة،وتُركن السنوات المبخوس حقها من السعادة في خانة الفراغ،وتستيقظ بعد فوات الأوان على بقايا الرماد،ستجد نفسك محاطا بجيوش من الندم،وتبدأ الحسرات المزعجة تأخذ طريقها إلى قلبك

عندما تفكر بالحب وتحلم أن تتذوق طعمه المغمس بالعذاب، عليك أن تكون مستعدا لتحمّل سكاكين الليل التي سوف تنام في قلبك، ويجب عليك أن تستعد لحرارة الحسرات التي سوف تنفثها مع الأنفاس المحترقة داخل رئتك، عندما تحملك فراشات اللهفة وتعبر بك الحقول والبساتين أو تسافر بإحساسك صمتا وأنت لا تعرف كيف تتنقل الجروح العذبة على جدران الروح؛ ساعتها ما عليك إلا أن تلفّ أجنحتك حول جسدك، وأضلاعك تبدأ تتمسك بخفقان قلبك، لأنك ستتعب عشقا وجزعا واشتياقا، فالحب مواجهة تستنفد فيها كل طاقتك، وكل أسلحتك، وتضحّي فيها براحتك وأمانك، أو قد تكون من الضحايا المعاقة أحاسيسهم الذين لا يرجى من شفائهم سوى فقدان الذاكرة أو الموت..

فالحياة رحلة طويلة تبدأ مع أول نبضة تنبض في القلب، وفي أول إحساس نكتشفه في دواخلنا حين نحتاج إلى ذلك الوجع الجميل الذي يسمى (بالحب)

وتنتهي عند الحلقة الأخيرة من مسلسل العمر؛ في ساعة الرحيل عن الدنيا!!! وفي تلك اللحظة التي تكون فيها قطارات الزمن تركض أمام عيونك وتجد نفسك جالسا تنعى الأحبة الراحلين وترى قطار العمر قد فاتك ومضى بعيدا عنك،في حين تتمنى ألا يفوتك وأنت لم تحقق أمنياتك بعد!!فلا تحاول أن تصحح مسار القدر إذا كان بائسا،ودع ذلك القطار يمرّ ويفوتك الف مرة إذ كان يقصد وجهة لا ترغب فيها أو تجبر عليها!!! لأنّ الحياة واحدة لا تتكرر، والعمر واحد لا ينتظرنا عمر آخر، والقلب واحد لا يعشق غير إنسان واحد، فإذا أحببت تمسّك بمن تحب ولا تدعه يفلت منك أو تفرّط به يوما ما، وإلا سوف تعيش بقلب مريض وفارغ لا تملأه مخلوقات الدنيا كلها، ولا يكفيه الف حب أو علاقة.

عندما تصحو من سبات الزمن الراحل وتجد نفسك تحاول أن تلمَّ شتات الأحلام المتطايرة، وترى نفسك غارقا في سنوات الغربة وأنت تتمنى أن تحلق في السموات إلى أبعد ما في الخيال، ساعتها ستدرك أنك تحتاج إلى شريك يشدّ من عزم القلب ويرافقك في جميع المحطات ليكون سندا

تَتَّكِئُ عليه عند التعب وحارسا أمينا يحوم حولك عندما يقترب منك الخطر، فالحياة عبارة عن غفوة تأخذك على حين غفلة وسرعان ما تصحو وتجد نفسك في حالة من الدهشة والاستغراب وبكل الأحوال أنك سوف تصاب بالإحباط واليأس حتى وأن كانت حياتك تسير بشكل صحيح وتعيشها كما يجب، لأن الوجود لعبة صعبة يمارسها الله على البشر سواء أكانوا موافقين أو رافضين تلك اللعبة الإلهية المفروضة عليهم، والتي هي بمثابة تبادل للأدوار في شخصية واحدة

حين تحلم بعائلة مستقرة وأبٍ حنون أو أم أو أخٍ يملؤون الدنيا عليك بالأمان والحب، أو حين تحلَّم أن يكون لك كيان ومملكة وخصوصية في كل مفاصل الحياة، أو حين تركض وراء النجاح وتريد أن تكون في المقدمة ولا يتعالى عليك من هم كانوا لا يستحقون التعالي والكثير الكثير من التفاصيل التي تصادفنا في لعبة الوجود القاسية.

أما إذا كان اللاعب فتاة لا تستطيع المواجهة أو كانت بطبيعتها الضعف الجسدي والنفسي فإنّ القضية تتطلب الكثير من الجهد والتعب والكثير من الخسارات والندم.

كانت نورس السمراء ذات العيون السود والقدّ ألرشيق الممشوق ترافقها هذه الأفكار والأحاسيس وتعانقها

ذكريات مؤلمة مرت بها في مرحلة الطفولة كأنها خرجت خاسرة في الجولة الأولى من لعبة القدر القاسية...

نورس الفتاة الجميلة التي تمتلك سحرا بابليا تتغنى به العيون وتفرح، وتذوب به القلوب وتعشق، سمراء عربية كأنّ في وجهها ملائكة الأرض تكيل العسل والحب بعد أن تخلطه بماء الورد الأحمر وشيء من الملح، وكثيرا ما تساقطت القلوب حول أسوار عيونها وعانى العشاق من العذاب والأسى شوقا وغراما لها أو لنظرة واحدة منها!!تلك الفتاة التي لم تستجب لأهواء العشاق، ولم يكسر شموخها كلام أو غرام لم تتأكد منه، كونها تعتبر أن الحب ما هو إلا امتحان صعب أو اختبار يتطلب العزيمة والإرادة والتمسك حتى نهاية المطاف.

فهي لم تكن رافضة للحب بحدّ ذاته وإنما ترفض من يستخدم الحب ذريعة لتحقيق غاياته ومآربه النفسية أو الغرائزية، والأهم من ذلك إنها تعتبر أن الذي سيفوز بقلبها وغرامها يجب أن يكون ذا مزايا ومواصفات خاصة، مواصفات الرجولة والإرادة والقرار،أن يكون صادقا كريما شجاعا متمسكا بها الى حدّ الموت، أن يكون طيبا حنونا يرضي الطفلة المشاغبة البريئة التي تختبئ بداخلها، ونتيجة هذه القوة والأفكار التي تتحلى بها نورس تجدها دائما مرفوعة الرقبة والرأس ورافعة حاجبيها لا

تبتسم ولا تلتفت،بارزة الوجنات ودقيقة العيون تغلب على هيأتها أنوثة متجبرة ومحددة بحجاب عراقي، وعندما تمشي تحسب أنها مسوّرة بسور من الياسمين لكنه يصعب اختراقه للوصول اليها، فهي رغم كل هذا الجمال والأناقة إلا أنها صعبة المنال والحصول.

نورس الفتاة البابلية التي لو فتشت ما في دواخلها فأنك سوف تجد عوالم من العصافير والأشجار ولو ترى خطواتها سترى شمسا سمراء تتغنج كالطفلة وتتمايل كزهرة عباد الشمس حينما تدغدغها نسمات المساء العليلة فهي فتاة تحمل مزارع البراءة في قلبها وتتحلى بأنوثة ملونة بسطوة الملكات، ورغم كل تفاصيل الشموخ والقوة إلا أنها نقية الذات والسريرة إلى أبعد ما يكون أو يخطر على البال، فهي البنت الكبيرة لعائلتها التي تخلو من الذكور، فتراها تتحول أحيانا إلى فتاة صبيانية وتأخذ دور الولد الكبير عندما يتعرض أحد أفراد عائلتها إلى مرض أو خطر، وتراها حجرا ثابتا لا تهزه كفّ أو ريح في ساعة خروجها من البيت، فهي لا تحب العيون المتطفلة أو المعاكسات ولا تتكلم أو تقبل بالحديث مع أي شخص كان حتى أصبحت حكاية صعبة لمن يريد التقرب منها ومن يفكر في ذلك فأنه سوف يسلك طريق المهمة المستحيلة، نورس أكملت المرحلة الثالثة من كلية الآداب قسم اللغة

العربية، وكان السبب الأول لاختيارها هذا القسم كونها شاعرة وتكتب الخواطر والقصص...

المأساة هي من تصنع الشاعر، والمصاعب هي الدافع الرئيس للكتابة وإذا لم تكن لدى الشاعر مأساة فاليصنع مأساةً لنفسه، أما نورس فحياتها المتقلبة وشظف العيش الذي يرافق عائلتها منذ الطفولة بالإضافة إلى الحظ العاثر والخسارات كل تلك الأمور تجمعت واتفقت على أن يصنعوا مأساة لها من طراز مختلف حيث بدأت المصاعب بالمجيء إليها قبل مجيئها لهذه الحياة، وبالكيفية التي ارتبط فيها أبوها بأمها إلى اللحظات الأخيرة من كتابة هذه الحكاية

كانت نورس دائما ما تتنقل بين كليات جامعة بابل الكبيرة الواقعة جنوب مدينة الحلة حيث أن هذه الجامعة موجودة على مساحة ما يقارب كيلومتر وفيها بنايات الكليات المتراصّة والنوادي والقاعات والمكتبات،أما كلية الآداب موقعها في وسط الجامعة في حين تتوسط البنايات كلية القانون وفي الجنوب هناك كليات الهندسة والعلوم الصرفة، كانت نورس تعاني من هوس ارتياد المكتبات وعشق الكتب والمطالعة ولم تكتف بزيارة مكتبة واحدة فحسب وإنما لها في كل يوم جولة خاطفة أو جولتين حول مكاتب الكليات المجاورة، فتراها دائما ما تنعزل عن العالم بإقامة علاقة حب مشوقة مع كل كتاب تصادفه في يومها،

وتعيش معه الأحداث والمغامرات والأفكار المختبئة بين الصفحات والأوراق، وفي كل رواية حب أو قصة من الخيال كانت تتخيل نفسها البطلة وتعيش أحداث الرواية بكل تفاصيلها حتى أنها عشقت الكثير من الشخصيات الأدبية أما في الواقع فهي كثيرا ما تحلم أن تجد لها بطلا أو فارسا يعشقها كما في الروايات والقصص، يعاملها كما يعامل محبوبته،وتتحقق الخرافات العاطفية التي تبدأ بتسلسل الأحداث مما صار لدى نورس حلم واقعي هو أنها تنتظر بطلها الموعود الذي سوف يأتيها فارسا وينتشلها من الواقع المؤلم ولو بعد حين...

****

في فجر يوم بارد كانت الشمس تصارع أذرعة الغيوم المتشابكة حول وجهها البعيد،والأشجار الممتدة من مركز مدينة الحلة إلى جامعة بابل مثقلة بقطرات الندى وحبات صغيرة من الثلج الحلو، كانت نورس وكما هي معتادة في ساعة الذهاب إلى الجامعة تجلس بجانب نافذة الباص خلف السائق مباشرة كون أن الباص الصغيرة مقسمة الكراسي فيها على شكل أزواج مرتبة حيث أنها تبلغ(١٢)راكبا، وكان السائق يجمعهم من شتّى أحياء مدينة الحلة والذي كانت نورس أحدى الأثني عشر راكبا وأنها تسكن في الصوب الصغير من المدينة، كانت تجلس بالقرب من

النافذة حيث كانت تهوى النظر والتأمل إلى البساتين والحقول والمصانع والبيوت المنتشرة على طول طريق الجامعة وكثيرا ما تستوقفها الذكريات والأيام الماضية خاصة عندما تصل الباص إلى (حي التنك) الواقع في منطقة (نادر الثالثة) حيث أمضت نورس طفولتها في ذلك الحي وبعضا من أيام الصبا...

وتأتي تسمية (حي التنك) بهذا الاسم نسبة إلى التنك[1] حيث استخدمه سكان هذا الحي لرخصه ووفرته خاصة أنه يتواجد بكثرة في مخلفات المصانع لذلك استعمله أولئك الناس في صناعة بيوتهم كونهم كانوا لا يملكون المال الكافي لبناء البيوت من الطابوق والأسمنت أو يسقفونها بالحديد والآجرّ،وكان معظم سكان هذا الحي يعملون بأجور زهيدة في معامل الطابوق الواقعة جنوب الحي في مكان لا يوجد فيه سوى الورش والمصانع وبيوت العمال المتهالكة والتلوث البيئي ونقص الخدمات، كانت نورس كلما تخطف الباص على (حي التنك)تتذكر أولئك العمال المتعبين وتلك النسوة والفتيات اللائي كنّ كل يوم يخسرنّ

([1]) (االتنك: هي علبة تصنع من معدن أبيض يستخرج من الحديد الممزوج بالقصدير يستخدم لحفظ المواد الغذائية وبعض السوائل)

الكثير من قوتهنّ وأنوثتهنّ وكيانهنّ كنساء من أجل لقمة عيشٍ بائسة لا تستحق كل هذا العناء والانتقاص.

الباص تسير بين الزحام المزعج ونورس حينما تنظر إلى معامل الطابوق المهجورة التي لم يتبق من أطلالها سوى الطابوق المتكسر والمحترق وقطع كونكريتية محطمة وبعض الأجزاء من المداخن وكثير من ذكريات الطفولة المليئة بالرمل الرطب والنفط الأسود والعربات الصغيرة التي لطالما كانت العاملات يدفعنها وأجسامهنّ ترتعش جوعا وبردا وضعفا،ونورس في وقتها لا تعرف حرارة الطابوق وقسوته ولا تعرف مدى مأساة والدتها حين كانت تعمل في نقله ورصفه في غرف الاحتراق وبين عملها في البيت كأمّ تهتم برعاية الأطفال والقيام بتنظيف البيت والطبخ وغيرها من المآسي التي كانت تُحذف عليهم من كل حدب وصوب،في بلد لا يُفرّق بين الخيار والدمار، ولا يُرى في الأنثى سوى أنها ماكنة تعمل بشكل مستمر في النهار ووعاء للغريزة والشهوة في الليل...

نورس تغمض عينيها ألما وهي تحاول أن تتخلص من تلك الطاقة السلبية التي تصيبها بسبب الذكريات فتبدأ بالحديث مع من بجانبها في الباص حتى تكمل الطريق وتصل الجامعة، كان الطلاب المراهقون الذين يرون نورس تصعد في هذا الباص دائما ما يتشاجرون وتصل بهم المسألة إلى حد الضرب والصياح في سبيل الجلوس

بجانبها،أو يكونون على مسافة قريبة منها لأنّهم يعتبرون أن هذا التصرف هو وسيلة للتقرب منها أو فرصة قصيرة للكلام معها والتودد اليها، لكن كان الكثير منهم ما تسقط همّته ويتراجع عنها كون أن نورس ليس من السهل الحديث معها أو التقرب منها...

وصلت نورس متأخرة إلى الجامعة بعد طول طريق مزدحم مملوء بشتّى أنواع السيارات والذكريات والمعاكسات الخاطفة، وفي ذلك اليوم البارد كان أستاذ النحو قد تعرض لوعكة صحية ألمّت به وجعلته يعتذر عن الحضور لإعطاء محاضرة عن (شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك) وكأن الأنفلونزا التي أصابته كانت متفقة مع القدر لإحداث أمرٍ ما في يوم نورس المصقع، وفي هذه الأثناء قالت لها صديقتها نور لماذا لا تذهبين معي إلى كلية القانون فأنا أريد أن أعيد كتابا استعرته من المكتبة؟
قالت لها نورس نعم وفي الحقيقة مكتبة القانون هي المكتبة الوحيدة التي لم أزرها دون جميع المكتبات في هذه الجامعة وفي داخلي فضول كبير لزيارتها فهذه أجمل فرصة أن نتعرف على القوانين الجافة والمزعجة، وبالفعل جاءت نورس وصديقتها إلى المكتبة فوجدتها مكتبة كبيرة جدا موزعة على شكل أقسام وقاعات ووجدت الكثير من طلبة وطالبات القانون فيها،فهي مكتبة عامرة تعجّ بالوجوه

والكتب والحواسيب والصمت، كانت نورس وعلى طول الممرات ترى الطلاب والطالبات مجتمعين على شكل مجموعات متقاربة يقرؤون ويتدارسون المواد القانونية التي لطالما كانت تسمع بها، فهناك مواد قانون الأحوال الشخصية التي تتكلم عن الزواج والطلاق والوصية والميراث، والقانون الدستوري الذي تتحدث معظم مواضيعه عن شكل نظام الحكم وتنظيم العلاقة بين الشخص والدولة وكذلك القانون المدني والجنائي والدولي والعمل وغيرها من القوانين الكثيرة، أحسّت نورس بصراع خفيّ وكأن تلك القوانين صارت تتصادم في رأسها وتوجع مخيلتها المعبأة بالنحو والصرف والبلاغة، فجلست على كرسي كان فارغا بجانب المدفئة وصارت تتصفح في كتاب (شريعة حمورابي) وما أن مضت دقائق معدودة وإذا بها تسمع صوت رجل يتكلم بجهاز الموبايل صوته تطغى عليه مسحة من الرجولة والأناقة، صوت أجشّ كأنه هزيم رعد حنون يتكسر بين طبقات السحاب الباردة، فصارت تسترق السمع وتستمتع بنبرات صوته خاصة وأنه كان يتكلم بقصيدة شعر من القريض بإسلوب شيق مملوء بالرّقة، فمفرداته الفصيحة وضعت بقلب نورس فضولا لمعرفة صاحب ذلك الصوت، فالتفتت إلى الجهة اليمنى، وإذا بشاب ثلاثيني أسمر اللون كثّ الشعر يرتدي بدلة سوداء بربطة عنق قصيرة وأمامه مجموعة

من الأوراق والكتب القديمة وكأنه كان يكتب مسودة أو ما شابه بقلم الرصاص.

وبعد أن أكمل مكالمته نظر لنورس وكأنه رأى فيها ما يستحق النظر والتحديق،تلك الفتاة السمراء التي ما شاهدها أحد إلا وتحركت نبضات قلبه إلى خارج الفضاء، أو يصاب بلون من الدهشة يجعل عينيه تهمل إعجابا ومتعة، أراد أن يتكلم معها أو يلقي التحية، لكنه أحس بالخجل والإحراج خصوصا وأن نورس تمتلك عينين حادتين وهيأة توحي إلى السطوة والجبروت، رجع ذلك الشاب الخجول إلى صمته وبدأ يكمل الكتابة على ورق متسخ بعض الشيء لأنه يكتب بالقلم الرصاص فترى السناج الأسود يملأ جوانب الورقة بالإضافة إلى كثرة ما يمسحه من المفردات التي يكتبها فتراه كالذي يعاني من قلق نفسي أو به هوس الأخطاء، فهو لم يكن مقتنعا بالكثير من المفردات والأفكار التي يكتبها أو الكلمات التي يختارها في كتاباته، فالممحاة والمبراة وقلم الرصاص وكفّه في شغل دائم ما دام يكتب، استرقت نورس النظر إلى ما يكتبه من باب الفضول والاستطلاع فوجدته يكتب قصيدة من النثر فالتقطت بعضا منها حيث كان يقول فيها:

حُبكِ أرجوحة مراهقة
تشدُني لعرسِ الأمواجِ الذائبةِ على خدودكِ السمراءِ
وسياطُ مزمارِ الأغاني
تجلدُ قَلبي
شوقا لرَطبِ ثغركِ الفصيح
حُبكَ يا حبيبتي
ترياق تهدأُ فيهِ الأرضُ
ويلفُّ سحائبَ خجلي الجائعةَ
إلى مطاراتِ الخريفِ
فَتعالي
واشحني مصابيحَ مشاعري برائحةِ السهرِ
واقفلي كنوزَ القلوبِ المتطايرةِ إلى سماواتِ عطركِ
حيثُ الغروبِ يتلو آخرَ قصيدة للماءِ

نظر إلى نورس فوجدها تحملق بقوة على أوراقه، أراد أن يقول لها أن هذه الكلمات ما هي إلا فيض مرتجل من الإعجاب بامرأة من صنع خياله وكأنها تجسدت تلك المرأة الخيالية بنورس!!!أو نوع من الكحل البريء تلونت به عيناه عندما نظر لأول مرة في وجهها المليح..فالشعراء

يمتلكون مشاعر رقيقة وهذا ما يجعلهم كما الأطفال، ولهم من الرؤية والتقاط الحقائق ما يجعلهم يتميزون عن غيرهم في قراءة الأحداث والمشاهدات قراءة صحيحة وسريعة، وكأنهم ينظرون بعيون القلب ويصفون الأشياء بتعابير جميلة وساحرة تستحسنه النفوس والعقول، وعرف ذلك الشاعر أن نورس قد استهوت كتاباته التي سرقت قراءتها خلسة، وعرف أيضا أنها تريد منفذا صغيرا تخرج من خلاله عن هذا الصمت المطبق على الثواني القليلة التي تجمعهم، فقرر هو من يبدأ الكلام وما إن أراد النطق بأول حرف وإذا بصديقتها جاءت مسرعة وهي تستعجلها الخروج من هذه المكتبة بسرعة!!

نظر ذلك الشاعر إلى نورس وعيناه امتلأتا بالعتب والأسف وكأنه يقول لها انتظريني لدقيقة واحدة أفصح لك فيها عن هذا الشعور الغريب الذي مزق دواخلي منذ أن رأيتك!!أو اعطني نصف دقيقة اتزود فيها من ملامحك المقدسة كي أستطيع الكتابة، فأنا أعرف أن مثل هكذا لقاء لن يتكرر مرة أخرى في هذا الزحام البشري الذي تختنق به الجامعة! يااه... وما أكثر الذين يعجبوننا ويتركون في أنفسنا حسرة أبدية لأننا لن نتمسك بهم أو نتعرف عليهم لأننا غرباء ولا تجمعنا بهم سوى الصدفة، ولكن دون جدوى فنورس وصديقتها خرجتا من تلك المكتبة وعينا

ذلك الشاعر تلاحقهما بكل شوق وحب، حتى غابتا عن أنظاره وسلكتا طريق شمال الجامعة،وما أن مضت ثوان قليلة وإذا بذلك الشاعر يجد في مكان نورس ورقة بيضاء فارغة وقلما من الحبر الأحمر وعلى الفور قام الشاعر وأخذ القلم والورقة وخبئها وعاد يكمل الكتابة وقلبه قد شُغل بنورس جدا وانشدّت مشاعره عنوة بأطراف رموشها الطويلة،كان ذلك الشاعر منهمكا في الكتابة وعيون نورس ترافق مخيلته وهواجسه، وفي كل لحظة صار يشعر أن فرنا من المشاعر يتأجج ويضطرم باحتراق شوق صارخ، أراد أن يخفف من هذا الاندفاع والشعور لكنه لم يستطع وصار يضيق ذرعا من هذه الطاقة المشتعلة وهو ينظر إلى القلم والورقة التي تركتهم نورس في مكانها وكأن هنالك شيطان مشاغب يوسوس له شغفا وغراما، فخطرت له فكرة أن يسرع باللحاق وراءها ويلتقي بها مرة أخرى.

وعلى الفور جمع أوراقه وكتبه وحملها مسرعا وركض نازلا من السلّم وهو يبحث بالوجوه ويفتش عن ملامح تلك الفتاة السمراء التي شتت أفكاره وقلبه، صار يتطلع يمينا وشمالا، يسرع الخطى وهو يتفحص وجوه الفتيات واحدة واحدة حتى أن أسلوبه هذا لفت أنظار البعض وفي كل ثانية تمرّ يزداد هلعا وندما ويطلق الدعوات والصرخات من أفواه قلبه المسكينة، وبعد أن تعبت عيناه وقدماه من

الحركة والفحص في وجوه الطالبات وإذا به يرى خيال فتاة ترتدي جبة سوداء مثل التي تلبسها نورس متجهة إلى شمال الجامعة وقد صارت تبتعد شيئا فشيئا وتكاد تختفي عن أنظاره بسبب الزحام البشري المكتظة به الجامعة...

وعلى وجه السرعة أتجه صوب الشمال وأخذ يسرع الخطى ويركض وهو يحاول ألا تضيع نورس من أمام عينيه على الرغم من بُعد المسافة إلا أنه أصرّ على اللحاق بكل ما يملك من إرادة، كانت نورس وصديقتها تسيران بسرعة وذلك الشاعر الملهوف يركض وقلبه يخفق بسرعة رهيبة حتى أن وصل عنها لأمتار قليلة جدا، أراد أن يصرخ خلفها، أراد أن يقول لها يا فتاة لكنه توقف حائرا قد تكون أنها ليست الفتاة التي كان قد رأها قبل قليل، فتصنع السعال بصوت عال كي يثير انتباهها، وبالفعل التفتت وإذا هي نورس!!وعلى الفور قال لها بنبرة مملوءة بالخجل والتلعثم. أنا خرجت أبحث عنك لأنك قد نسيت هذا القلم وهذه الورقة!!

تبسمت نورس مستغربة من هذه الحجة غير المقنعة، هو كيف لشخص أن يقطع كل هذه المسافة وسط هذا الزحام الخانق ركضا بسبب قلم مستعمل وورقة فارغة وأنك لو حسبت ثمنهما ستجدهما لا يستحقان هذا الركض والعناء،

غير أنها عرفت أن هذا الشاب كان دافعه غير ذلك، فهو يخفي الكثير من الأسرار بتصرفه هذا!

فأخذت الورقة والقلم وتشكرت منه بأجمل ما يقال وقالت له أنا اسمي نورس في المرحلة الرابعة من كلية الآداب قسم اللغة العربية وأتمنى لو تشرفنا في الأيام المقبلة وتتقبل دعوتنا لشرب الشاي سويا في نادي الجامعة من باب الشكر والعرفان لتحمّلك العناء لإرجاع هذا القلم كونه غاليا جدا على قلبي لأنه هدية من شخص غال أيضا.

تبسم سلطان خجلا وأبدى موافقته على الدعوة وأردف قائلا أنا اسمي سلطان ويلقبونني بسلطان الشاعر وأيضا أنا في المرحلة الرابعة بكلية القانون:

قالت له أذن اتفقنا تأتي لنا وتسمعنا أشعارك؟

فقال لها نعم موافق وسأحضر قريبا وانصرف الجميع

الانتحار المفاجئ

بعد أنهت نورس حصص مادة (قواعد اللغة العربية) التي كانت تدرّسها لطلاب المرحلة الأبتدائية والمتوسطة من أبناء الجيران والمنطقة الذين كانوا يأتون إلى بيت نورس الصغير، حيث كانت تقوم بتدريسهم لقاء مبلغ بسيط حيث كانت تستخدمه لتلبية احتياجتها ولمصروفات الجامعة، وكذلك ما يتبقى منه تعطيه لوالدتها التي أعيتها المصاعب ونالت منها كفوف التعب والأسى، كون أن والدها المسن قد أفنى حياته في الأعمال الصغيرة الحرة وخاصة أعمال البناء وتشييد المنازل والأبنية

قامت إلى الغرفة التي تسكن فيها هي وثلاثة من أخواتها،حيث كانت الغرفة عبارة عن مكعّب صغير يكاد يستوعبهنّ مع قليل من الأثاث والأفرشة، وجدت نورس نفسها متعبة جدا وتحمل عبئا كبيرا من الإرهاق والمسؤولية التي دائما ما كانت ترفضها ولا تريد أن تكون في مكان المتصدي لسهام الزمن أو تكون أول الضحايا الذين يجدون أنفسهم في هذا المرمى، لكنّها لم تفلح في ذلك، وكثيرا ما تقع عليها المسؤولية الأكبر، دون الذين يعيشون معها في البيت، فالعائلة لا يوجد فيها رجل سوى

والدها كبير السن، والفقر قد أخذ من هذه العائلة حصة كبيرة على مدى السنوات المنصرمة حتى أصبحت نورس تحاول أن تلمّ شتات ما تبقّى من العمر وتلتحق بركب الفتيات اللواتي كان لهنّ نصيب من السعادة والحب والأمان، فمرة تتوقف عند محطات الماضي والذكريات، ومرة تنطلق بأجنحة الانتظار والأمل إلى مستقبل تتوقع أن يكون جيدا، وتتمنى ألا يتكرر فيه الماضي المتعب

نادت عليها أختها الصغرى إلى العشاء فقامت نورس وصارت تنزل على درجات السلّم درجة درجة بشكل بطيء وهي تفكر في كلام أمها هذا اليوم كون أمها وقبل ساعتين كانت حائرة فهي لم تجد ما يسدّ جوع هذه العائلة بسبب شحة الرزق المقدر من الله!!!

نظرت من أعلى السلّم فرأت أمها وأخواتها الصغار يأكلنّ خبزا ولبن ويكاد ينفد ذلك الأكل!!فنورس تعرف أن هذه الخبزات لا تكفي لأختها الصغيرة فقط وتعرف ايضا أن أمها وأخواتها سوف يبقين جائعات لو شاركتهم هذه المائدة المتواضعة، توقفت نورس عن النزول من ذلك السلّم ونظرت إلى الأعلى كأنّها تخاطب الله في سرّها وتعاتبه على هذا الوجع وهذه المشاعر التي تتجرح داخلها وهي ترى عائلتها بهذه الحالة، فتراجعت بخطوات هادئة وانسحبت دون أن يشعر بها أحد، وعادت إلى غرفتها بصمت، نادت عليها أختها الأصغر مرة ثانية بأن الأكل

سوف ينفد واستعجلتها بالقدوم، لكنّ نورس قالت لها أنها لا تريد بحجة أنها تتبع حمية غذائية، وفي الحقيقة أن نورس لم تكن صادقة بهذه الحجة وإنما أرادت هذا الأكل يكفي أخواتها الصغار ليس إلا.....

كانت نورس عندما تشعر بالضيق خاصة في أوقات المساء تصعد إلى سطح المنزل وتضع لها فراشا وتبقى تتأمل السماء والنجوم في جو لا تسمع فيه إلا أصوات الذاكرة والرحيل إلى مواطن الخيال والتأمل، فالمنام على سطح المنزل له طعم خاص عند نورس فهو يذكّرها بجدتها المتوفية وأيام طفولتها كون أن أغلب العوائل العراقية في ذلك الزمن ينامون ليلا على سطوح المنازل هربا من حرارة الجو وكثرة انطفاء التيار الكهربائي، وايضا كانت الحياة في تلك الفترة تتميز بالتماسك والتآلف، وأن العوائل لديها فسحة كبيرة من الوقت لسماع ومتابعة بعضهم، ولديهم المجال الكافي لحل المشاكل والتقارب والتلاحم خاصة فيما تتركه هذه الطريقة بالعيش من أثر إيجابي يتيح للعائلة فرصا كثيرة للقرب وللتفاهم أكثر.....

تمددت نورس على ذلك الفراش وهي تتابع حركة النجوم وصفاء النظر لهنّ ومنذ أكثر من عشرة أيام كانت تراقب نجمة تتنقل في السماء مثل غزالة صغيرة تسير ببطء خلف أمها، وبكل يوم تجدّ أن النجمة تلك تغير مكانها فتبتعد تارة وتعود تارة أخرى كأنها حمامة خائفة ليست

مستقرة، أما ظلام بابل كان يعطي لتلك النجوم بروزا أكثر وجمالا أخاذا، فتلك النجمة تمثل حالة من الاكتشاف بالنسبة لنورس، فعندما رأتها بازغة في السماء كما القنديل المشع وجدت نورس في قلبها شيئا من الحب والقبول برؤية حجر ينير في السماء، وما انفكت تتساءل لماذا هذه النجوم لا تظهر بالنهار؟ هل أن النجوم تنام؟ أو أنها تسافر لعالم آخر؟ او أن هذه النجوم كما الاطفال تخرج يوميا لتلعب وتمرح في ملكوت الرب وعندما تعود إلى هذا الليل تعود متعبة فتغير أماكنها؟ لذلك كانت نورس تقول إن نجمتي هذه مثلي!!! فأنا عندما كنت صغيرة لا أملّ من اللعب ولا أكتفي بساعات النهار فتراني أتصنع أجواء غير طبيعية، وأتخيل أنني أدخل عوالم مملوءة بالأراجيح وعرائس الاطفال وعندما يأتي الليل أجد نفسي نائمة بعمق فوق ذراع أمي تارة أو بين أحضان جدتي أو فوق الأفرشة القديمة، فحياة النجوم هي مثل حياتنا مملوءة بالأضواء والحركة والسقوط والرحيل، كانت نورس في تلك اللحظات شاردة الذهن ومنفصلة عن الواقع وإذا بهاتفها يرنّ، نظرت على شاشة الهاتف وإذا به رقم غريب لا تعرفه يتصل عليها، أجابت:

- نعم...وإذا بها صديقتها نور تتكلم بصوت مشحون بالخوف والفزع فقالت لها نورس هل تسمعينني؟ الو...الو نورس غيري مكانك فالشبكة رديئة.

- نور: انا أسمعك جيدا الآن، نورس أتذكرين ذلك الشاعر الأسمر الذي التقينا به بكلية القانون قبل أيام؟

قالت نورس: نعم

- نور: أنا اليوم كنت اتصفح (الفيس بوك) وقرأت خبرا منشورا بإحدى الصفحات عن انتحار شاب من مدينة الحلة.

- نورس: آه رحمه الله والله أن فكرة الانتحار أصبحت مخيفة في هذا الزمن، فإقبال الشباب على إنهاء حياتهم بهذه الطريقة المفزعة تجعلني أتقطع من داخلي، لكن وما دخل سلطان بهذا الخبر؟

- نور: ومن هو سلطان؟

- نورس: الشاعر الذي التقينا به قبل أيام في الجامعة.

- نور: نعم... نعم تذكرت أن اسمه سلطان فأنني وجدت مكتوبا بالخبر عن انتحار شاب في ظرف الليل وعرفت أنه شاعر وطالب في كلية القانون، وما زادني يقينا هو

إنني عندما نظرت إلى الصورة المرفقة مع الخبر فرأيت شابا أسمرا قد شنق نفسه بالحبل يشبه سلطان تماما

- نورس: وهل تستطيعين أن تبعثي لي هذه الصورة عن طريق برنامج الماسنجر؟

- نور: نعم سوف أبعثها لك الآن....

مرت عشر دقائق ونور لم تبعث الصورة،ومرت عشر دقائق أخرى ونور لم تبعث الصورة حتى مرت ساعة كاملة والصورة لم تصل فإنتهى صبر نورس وبدأ قلبها يضيق فضولا فاتصلت على نور أكثر من مرة ولكن نور لم تجبها حتى بدأت نورس تستغرب من تصرفات القدر معها وصارّت تلعن الحظ النائم، مرت ساعة وساعتان وثلاث ونورس تشعر بالأسف والانكسار على ذلك الشاب الذي لم تلتق به سوى مرة واحدة وكانت تعلو ملامحه علامات الحزن والحب وكثير من الأسئلة، صارت تراودها الشكوك والظنون، وما الذي دفع شاب مثل سلطان للانتحار؟ وما هي الأسباب لذلك خصوصا وأن سلطان مازال شابا وأمامه الكثير من حياته؟ حتى بدأ النعاس يغشى عيونها وصارت تغفو شيئا فشيئا تاركة ألف علامة استفهام وتعجب تحت وسادتها وبين طيات أفكارها.

كانت أمّ نورس دائما أول من تصحو من بين أفراد العائلة وأول من تفتح أبواب السماء بدعواتها وأمانيها وتكحل

عيون الفجر بالصلوات والتسبيحات، ولطالما كانت نورس تنظر إلى أمها وتعتبرها ملاكا مقدسا وحارسا أمينا أرسله الله ليملأ حياتها سعادة وأمل، وترى وجودها ضرورة واجبة لا يمكن الاستغناء عنها، فالأم شجرة وارفة تظلّل على العائلة وتمنحم الدفء والأمان، فالبيت بلا أم ما هو إلا هيكل مهجور لا معنى للحياة فيه ولا يصلح للعيش،وما هذه المليكة إلا سببا بهبوط الرحمة والحنان على هذا الكوكب، فكل عطر دافئ تنفحه أحضانها يغمر البيت بألوان قوس قزح ويجعل أزهار الأرض تتفتح، وكل صوت حنون تطلقه عندما تنادي عليك يخيل ساعتها بأنّ أشجار البرتقال تخضّر في روحك، فالأم هي حجة واضحة ودليل قاطع بأنّ الله موجود.

كانت نورس قد اعتادت على أن تصحو كل صباح على نغمات صوت أمها، وكثيرا ما كانت تمثّل بأنها مازالت نائمة لكي تعود مرة أخرى وتوقضها، فالإحساس بهذه اللحظة يكون أرقى وأنقى من إحساس الياسمين حين تبلله قطرات الندى في الظلام، فكلما تشعر بأنّ أمك توقضك وتحذرك بأنّ الوقت سوف يفوتك وتشعر بحرقتها وخوفها عليك بصدق الأمومة والحب وأنت تمثّل أمامها أنك نائم لتعرف مدى حبها وخوفها عليك ساعتها ستتذوق طعم السماء حين تمطر قلوبا تتفجر منها أكاليل النغم.

قامت نورس من فراشها والكسل يتناثر من جسمها، نظرت إلى الساعة فتفاجئت!!! فأنه لم يتبق لها من الوقت سوى نصف ساعة على بدء المحاضرة الأولى، فأسرعت باستبدال ملابسها وحزمت أوراق المحاضرات وخرجت مسرعة وأمها تركض خلفها لتعطيها شطيرة (سندويجة) صغيرة لكنها رفضت وقالت يا أمي سوف أفطّر أنا وصديقتي نور في نادي الجامعة، خرجت من باب المنزل فوجدت أن صاحب الباص الذي يوصلها يوميا إلى الجامعة يحرّك الباص هامّا بالذهاب وتاركا نورس خلفه كون أن الوقت تأخر، أسرعت نورس ركضا بكل قواها كي تلحق به وهي تلعن افكارها ورغباتها في سرّها وتقول هذه هي نهاية الدلع ماذا يحصل لو قمت مع أول صوت من أمي لما حدث كل هذا!!! وفي الحقيقة أن هذا الموقف يتكرر دائما معها وبكل مرة يتشاجر معها سائق الباص بسبب التأخير، وما أن وصلت نورس إلى الجامعة ذهبت مسرعة إلى صديقتها نور فوجدتها في قاعة المحاضرة تنتظرها، وما أن التقتها حتى سألتها عن خبر ذلك الشاعر الذي إنتحر ليلة أمس، قالت لها نعم وسمعت أنه يدرس في كلية القانون وأعتقد أنه سلطان الشاعر الذي التقينا به منذ أيام، قالت لها نورس أين صورة الشاب المنتحر؟ أنت تقولين أنه يشبه سلطان؟ قالت نور يشبهه جدا وأنا متاكدة أنه هو، ففتحت نور نقّالها وهي تريد أن تريها الصورة

والخبر لكنها لم تستطع الوصول إلى الخبر المنشور كون أن المكان الذي هما فيه ليس فيه شبكة للأنترنت، حاولت نور الدخول إلى الموقع لكنّها لم تستطع، قالت لها نورس ألم تحتفظي بالصورة لوحدها في هاتفك؟فقالت نور لا لم احتفظ بها!! بدأت علامات الغضب تظهر على وجه نورس وصارت توبخّها وقالت يا حمقاء أنا انتظرتك طويلا ليلة أمس لأنك قلت سوف تبعثين لي الخبر والصورة ولكنك لم تفعلي وبعدها اتصلت عليك أكثر من مرة وبقيت أنا وهواجسي نصارع بعضنا بعض حتى غفوت وقلبي حزين!!!

قالت نور نعم فأنا مذ سمعت بخبر ذلك الشاب المنتحر وأنا أشعر أن قلبي قد سقط بين أقدامي وارتعشت كفّاي وقدماي وتخيلت أن ذلك الشاب المنتحر هو أخي الذي يكبرني بسنة واحدة فنزلت مسرعة واختبئتُ بين أحضان أمي وجسمي يرتعد وألهج بسم أخي حتى سألتني أمي مرعوبة عن حالتي وسبب هذا الاضطراب فحكيت لها أمر ذلك الشاب المنتحر وقلت لها بأنني التقيت به قبل أيام فأنا أعرفه كان شابّا طيبا ومثقفا ولا أعرف لماذا أقدم على الانتحار، وقلت لها يا أمي أنا خائفة جدا على أخي أخاف أن يقدم على ما أقدم عليه ذلك الشاب المنتحر؟ ولذلك يا نورس نسيت أنني قلت لك سوف أبعث لك الصورة وأخذتني الرهبة ولم أتذكر أنه يجب أن اتصل عليك فأنا قد

نمت بين أحضان أمي حتى الصباح!!ضحكت نورس وقالت ألم تعطك أمك رضّاعة بعد حتى تكتمل قصتك الطفولية يا جبانة؟ وأردفت قائلة وما العمل أذن؟ يجب أن نتأكد إذا ما كان سلطان أو غيره لأن سلطان إنسان راق ومقتف ويجب علينا على الأقل أن نسأل عنه ونتحرى عن أمره، فماذا تقولين لو نذهب إلى كلية القانون ونسأل عنه؟ فقالت نور موافقة، فخرجتا من القاعة وما أن سارا خطوتين حتى دخل عليهم أستاذ مادة البلاغة والمعروف عنه أنه صعب المراس ونفسيته دائما متأزمة ومنفعلة، وبلا كلام رجعتا بهدوء واحترام وجلستا تستمعان إلى محاضرة.

كانت الدقائق تمرّ بانتظام مزعج ونورس بكل دقيقة تنظر إلى ساعتها وهي تترقب ماذا يكون الموقف لو سلطان كان فعلا قد إنتحر؟ الأسف يأكل قلبها والتساؤلات ترافق خواطرها بكل ثانية وهي تنظر للأستاذ بعيونها لكن فكرها مشوش والخوف يضرب أبواب مشاعرها،فهذا الزمن زمن عصيب وغريب وترى أنها تعيش الفترة المظلمة من تاريخ هذه المدينة، فترة الظلم والاستعمار، فترة الزيف والانتحار الذي تجد فيه الناس يعيشون على الجوع والجهل،ويركضون خلف قطار الحياة المسرع وكل همّهم توفير أبسط الأشياء من متطلبات العيش لكنهم لا يستطيعون ذلك فهم يفتقرون لها ولا يجدونها،حتى أصابهم

الجزع والملل!! وبات الفراغ يملأ نفوسهم فصاروا بلا هدف وبلا سبب يعيشون من أجله، وهذا ما ولّد لديهم قبول فكرة الانتحار وإنهاء الحياة التي تسير بهم إلى نحو أللاشيء، فأصبحت بابل بطليعة المدن التي تكثر فيها حالات الانتحار وقد تصدرت قائمة المدن العراقية بهذا الشأن، فنورس تتخوف من أن تنتشر هذه الظاهرة بصورة أوسع وأكبر وهذا ما يُنبأ أن المجتمع قد وصل إلى أقصى درجة من الإحباط والبؤس ولا يوجد لديه ما يخسره بعد، انتبهت نورس على صوت صديقتها نور وهي تقول نورس...نورس...الو أين ذهب فكرك؟ التفتت لها فوجدت أن الأستاذ قد أنهى المحاضرة وغادر القاعة، فقالت لصديقتها هيا بنا نذهب إلى كلية القانون مادام لدينا بعض الوقت، فقامتا بسرعة وسلكتا طريق الكلية،وما إن اقتربتا من البناية حتى لاحت لهنّ علامات الحزن والعويل وكان السواد يغطّي جدران بناية الكلية وكأنهن دخلنّ على مقبرة موحشة لا ترى فيها غير الوجوه العابسة وحسرات المكان التي تخنق النفوس برائحة الموت، صارت نورس ونور تمشيان بين الممرات وتقرأن كلمات العزاء التي كتبها زملاء وأساتذة ذلك الشاب المنتحر على الجدران، كذلك وجدت نورس قصائد مكتوبة على يافطات سوداء قد كتبها ذلك المنتحر وهو يوصي فيها أصدقائه وأهله بألا ينسونه في مدى الأيام، وأنه مجبر على قيامه بالانتحار لأنه قد

وصل إلى مرحلة قد توقف فيها عقله عن التفكير واكتفى بما عاشه من أيام صعبة ومريرة من سنوات عمره الفائت، بدأ قلب نورس يخفق بسرعة وعرفت أن هذه الكلمات والقصائد التي قرأتها قبل قليل هي مشابهة لكلمات سلطان وأنها وجدت أسلوب الشاعر المنتحر بالكاتبة هو أسلوب سلطان نفسه، وهنا أحست بالندم والأسى وصار لديها يقين بأن الشاب المنتحر هو سلطان، فبدأت تترحم عليه وتهدي له قراءة سورة الفاتحة بسرّها، وبسبب هذا التأثير بدأت تسقط من عيونها دمعات صغيرة وخفية، قالت نور رحمه الله كان شابا مؤدبا ومثقفا، يا رب يكون في الجنات الموعودة، أجابتها نورس رحمه الله هنيئا له قد تخلّص من هذه الحياة البائسة، وبينما كانتا مشغولتان بهذا البكاء فجأة جاءت مجموعة من الطالبات يتراوح عددهنّ بين السبعة والعشرة مرتديات السواد وعلى وجوههنّ غبار الفجيعة وآثار الفزع،جئنّ وفي بداية الممرّ الواقع في قلب البناية بدأ يدوي صراخ مخيف وصار يتعالى من وسط مجموعة الفتيات تلك وبدأت أصوات الضرب على الصدور والخدود تصل واضحة إلى مسامع نورس، وكأن صدى المكان يتسرب كحضاب صغيرة تتفشى بين طيات القلوب، وما أن اقتربت تلك المجموعة من المكان الذي تقف فيه نورس ونور وإذا بفتاة تصرخ بطريقة مجنونة وقد أغمي عليها وسقطت على الأرض مما استدعى قيام

بعض الطالبات اللائي كنّ يرافقنها بإحضار الماء، وصرن يرشنه على وجهها حتى استفاقت ودموعها تجري على خديها كقناة خاوية وقد هدمها سيل جارف، نظرت نورس إلى تلك الفتاة وقلبها تعصره الشفقة وشعرت بمدى الحرقة والألم الذي تعانيه لأنّها عرفت أن تلك الفتاة تكون حبيبة الشاب المنتحر!!!فهو بانتحاره هذا قد فتح في قلبها جرحا واسعا لا تشفيه أدوية الكون،وترك بنفسها هوّة كبيرة لا يسدّها النسيان ولا تردمها السنون والأزمان، فبطبيعة الناس عندما تفتقد من تحبه تُصاب بداء الدمعة والانكسار، وتبقى متلازمة الحسرات معها كلما خطفت في الذاكرة نسمة من ريح الذكريات

تجمّع الطلاب والطالبات حول تلك الفتاة وازدحمت الكفوف والوجوه حولها حتى ضاق المكان وارتفعت شهقات الحاضرين ضيقا وزحاما حتى جاء أفراد من رجال أمن الجامعة وفضوا ذلك الصخب والتجمهر وحملوا الفتاة قاصدين بها إلى المركز الطبي الموجود في الجامعة.

كانت نورس ونور مندهشتان لما رأنه،والوجل مرسوم على وجهيهما وبدأ المكان يفرغ شيئا فشيئا، قالت نور هيا نذهب يا نورس فاليوم أتعس أيام الحياة رحم الله سلطان وساعد قلب حبيبته المسكينة، وما أن خطتا أول خطوتين

وإذا بنورس تسمع صوتا يناديها من الخلف، صوت قد سمعته مسبقا وتعرفه جيدا قائلا لها نورس... يا نورس

التفتت وإذا به سلطان واقفا أمامها وهو يرتدي زيا جامعيا ومن بين لحيته الكثّة إنفرجت أسنانه البيضاء بابتسامة متعبة، أندهشت نورس وبرزت عيناها كزمردتين مشعّتين،واصطكت أسنانها ولسانها لا تعرف ما تقول، قال لها سلطان صباح الخير؛ لماذا أنت هنا هل تعرفين مصطفى؟ نورس لم تنبس ببنت شفة وبقيت صامتة صمتا متشنجا، وأدارت وجهها إلى صديقتها نور وهي تهزّ رأسها متسائلة كأنّها تقول ما الذي يحدث؟

قالت نور ومن هو مصطفى؟ فأجابها مصطفى زميلنا الذي انتحر ليلة أمس!!!فتحركت شفتا نورس ببطء وارتعاش وقالت له هو أنك ألم تمت؟

تبسم سلطان متعجبا وقال ممازحا نعم أنا متُّ يوم أمس والذي يتكلم معك الآن هو شبح روحي!!!وأردف أكيد لست أنا.

عاد الصمت من جديد يغزو وجه نورس فلا ترى منها سوى حركة عينيها السوداوين وهي تجول بهما في وجه سلطان، قالت نور أتعلم أنا ونورس منذ البارحة ونحن في قلق وشغل، كنّا نعتقد أن الذي إنتحر هو أنت كونه يشبهك تماما، وأيضا عرفنا أنه شاعر

نظر سلطان في عيون نورس والغبطة ملأت دواخله وقال هل تأثرتما وحزنتما لأجلي؟ قالت نور نعم وأكثر مما تتصور!!!

تبسم سلطان مرة أخرى وكان سبب هذه الابتسامة أنه شعر بالاهتمام والود من جانبهما وفعلا صدق من قال (مصائب قومٍ عند قوم فوائد) فأراد سلطان أن يقدم لهما عرفانا وشُكرا لما أحسّه منهما، فقال ماذا تقولان لو نصعد إلى المكتبة نجلس ونتبادل أطراف الحديث سويا خصوصا وأنا أنتهيت من كتابة قصيدة شعر أخذت مني أربع ليال وحرقتُ بسببها الكثير من علب السجائر وأريد أن أقرأها على مسامعكنّ كونكنّ اختصاص لغة عربية؟ وعلى الفور قالت نور أنا أتمنى ذلك لعلّنا نغير مزاج الحزن هذا ونتخلص من هذه الطاقة السلبية التي أصابتنا بسببك !!فقال سلطان مازحا وأن كان ليس لدّي يد بما حدث أمس لكنّني مستعد لأي عقوبة أو إجراء تتخذانه بحقي، وصعدوا إلى بناية المكتبة وبدأت نور ونورس تتهامسان وتتبسمان وسلطان يحاول أن يفهم أو يسترق السمع منهما لكنه لم يفلح في ذلك؛ فقال لهما اتعلمان أن مصطفى كان من أصدقائي الرائعين وتربطني به علاقة شعر ومحبة، فهو كان عاشقا للحياة وطيبا والجميع يحبونه هنا...

قالت نورس: لماذا انتحر؟لابد أن هنالك أسبابا خطيرة دفعته لارتكاب مثل هكذا فعل...

قال سلطان: أن المرحوم مصطفى كان ذو إحساس كبير وقلب لا يعرف الحقد واللؤم، فهو الابن الرابع لعائلته التي فقدت أباها منذ بداية تكوينها حيث وجدوه مذبوحا تحت الجسر في منطقة اليوسفية جنوب العاصمة بأيام الطائفية المقيتة التي ابتلى بها الله العراقيين بعد دخول القوات الأمريكية، وكان مصطفى متعلقا جدا بأبيه ولا يستطيع نسيانه أو يتجاهل فقده؛ ودائما ما كان يحكي لي كيف رأى جثة أبيه مفصولة الرأس على دكة المغتسل وهو ابن أثنتي عشر سنة!!!اما أمه بأثر ذلك فقد أصيبت بجلطة دماغية أقعدتها على الفراش ومن ذلك اليوم أن أخاهم الكبير هو من يقوم برعايتهم وهم يعيشون في كنفه.

قالت نور:برغم هذا لا يمكن أن تعطيه الشرعية لإقدامه على الانتحار.

قال سلطان: أن الإنسان عندما تبلغ به المأساة إلى حدّ الاستسلام،وتخفت طاقته فهو حتما سوف يسلك طرقا مخيفة وتتأزم أفكاره فتدفعه إلى أن ينهي حياته بهذه الطريقة بلا خوف أو ندم، فنحن في هذا العهد نعيش أسوأ

حقبة وأتعس فترة حكم فيها سياسيون لم يخلق الله بقذارة نفوسهم ونتانة ضمائرهم منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا.

قالت نورس: أيحصل أن ينتحر شخص بسبب أن الحاكم ظالم؟ أو بسبب مصاعب الحياة وضنك المعيشة؟

فقال سلطان هو ليس سببا واحدا وإنما تراكمات وأوجاع تصيب الإنسان أولها الخذلان وأخرها الصدمات التي تضعه بهذا الظرف وتجعله بهذا الاستسلام، فعندما يُصاب القلب بڤايروس الشك أو عندما يطول الدعاء والرب لا يستجيب لمن يدعوه في وقت الحاجة، فهنا تبدأ عقارب التساؤلات تحفر في عقل الإنسان الذي يتمنى استجابة واحدة من ذلك الإله الخفي ولا يجيب لغاية أو لحكمة مثلما يقول الناس، فهنا سوف تبدأ رحلة الخذلان تأخذ بكفوف الروح وتقذفها في قمامة الفشل؛ فيتجسر ذلك الإنسان على خطوط الله الحمراء ويتشجع على مخالفة الأوامر، ولم يعد الوعيد الصادر من قبل الربّ ينفع أو يردع، فطبيعي أن المانع الرئيس المتمثل بعقاب الرب على المنتحر عندما يسقط من حساباته أو يأمن من قصص العذاب الموروثة وحكايات جهنم؛ فأنه سوف يتصرف بما يشاء بكل قناعة وشجاعة.

قالت نورس:أنت كيف تفسر الإقدام على الانتحار ضربا من الشجاعة؟على العكس أنّ من ينتحر هو مهزوم بداخله

ويعاني اليأس والكأبة أو من حالة نفسية متأزمة، فالحياة ما هي الا نعمة وهدية أعطاها الله للبشر،وزرع حبها والتمسك بها في قلوبهم،فمن يرفض هذه الهدية الثمينة ما هو إلا إنسان عديم الثقة ومهزوز أو يعاني من عقد نفسية يصعب حلها.

قال سلطان: هناك فرق بين من يموت حتف أنفه،وبين من يسير للموت بأقدامه،فماذا تقولين عن الفرسان والشهداء الذين يسقطون في ساحات المعارك والمواجهات؟ هل هم جبناء ومهزوزن من الداخل؟

قالت نورس: بالعكس إنما هؤلاء شجعان وأصحاب مبدأ سامٍ وفضيل، ولديهم القوة والإصرار على أنهم يحسنون صنعا.

قال سلطان: والذي يقبل على الانتحار لا يقل شجاعة من هؤلاء فهو يعرف مسبقا بما سوف يشعر به من ألم كبير حال خروج الروح، ويعرف جيدا أن كان مؤمنا بذلك الإله الخفي بأنه سوف يلاقيه ويقوم بتعذيبه ويقذفه بجهنمه الموعودة؛ ومع كل هذا ينتحر فهنا تكمن الشجاعة.

قالت نور: ألا ترون أن السبب الأساسي الذي يدفع الشباب إلى الانتحار في هذا الزمن هو غياب الهدف والظروف الاجتماعية المتأزمة والفقر المدقع الذي يجرد الإنسان من

مقومات الحياة؟ فلقد مضت على سقوط نظام صدام حوالي عشرون سنة،حيث جاءت أمريكا بأناس عراقيين كانوا في الخارج منذ عشرات السنين مشردين بين الدول ولا يملكون من المال والاحترام وكانت حياتهم في المهجر على أتعس مما نحن عليه الآن، بطونهم خاوية ووجوههم عابسة، فقراء ضائعون مهمشون جائعون متسخون وإذا في ليلة وضحاها بفضل أمريكا أصبح كل شخص من هؤلاء المشردين رئيسا أو نائبا سياسيا له ما شاء الله من الرواتب والمخصصات، فهؤلاء جاؤوا سارقين عابثين همّهم أن تمتلئ قاصاتهم وبطونهم على حساب الفقراء؛ متجاهلين حقوقهم ومصالحهم حتى عاثوا في الأرض فسادا وسرقة وخذلوا هذا الشعب ونهبوا خيرات البلد وحطموا الآمال والأحلام، وبسبب تلك الأحداث تولدت لدى الناس حالة من اليأس والإحساس بالظلم والفراغ،وهذا ما دفع الكثيرين منهم أن يقبلوا على الانتحار لأنه لا توجد لديهم طريقة يدفعون بها عجلة الحياة أو يغيرون بها من الوضع

قال سلطان: فعلا كلامك صحيح وما زاد الطين بلّة هو أن من يمثل الله في الأرض كان يقف بجانب هؤلاء السراق ويدعمهم بالسرّ والعلن

نظرت نورس في عيون سلطان نظرة توحي إلى الشك والريبة، فقال لها سلطان لا تستغربي فكل شيء في هذا

الزمن قائم على المصلحة والفائدة بغض النظر عن نوعية ذلك الشيء، فمصطفى لم يكن مهزوزا من الداخل ولم يك مجنونا أو مخبولا؛ وإنما نظر إلى هذه الحياة فرأها تافهة ولا تستحق العيش في وسط كل هذا الخذلان، وأيضا لا يوجد ما يمنعه ويجعله متمسكا بهذا الكون لأجله

قالت نورس: فأين دور الدين في معالجة هذه الظاهرة؟ فمن المعروف إن الدين هو مقوم للأخلاق ومربي للنفوس؟

فقال سلطان: الجوع لا يرحم والدين بهذا الزمن أصبح لا يملك سوى النصح والتهديد والوعيد بأنّ هنالك إله قتّر على الناس رزقهم، فأغنى أرذلهم وجعله يتحكم بمصير عباده وأفقر الكثير من رعاياه العاديين حتى صاروا قطعان تحدوا بهم الوحوش الضواري، والأقسى من ذلك أن الله سمح لهم أن يأكلوا الناس بلا شفقة ولا رحمة!!!

وعندما تطرق باب الدين تجدّ من يقول لك من جماعة الرب،يا هذا اصبر على هذا البؤس اصبر على هذا الهوان أن الله مع الصابرين!!! إطعنا وسلّمنا أمرك ونحن بدورنا سنعطيك ضمانا بأنك سوف تكون من أصحاب الجنة؛ تشرب الخمر وتأكل الفواكه ولحم الطيور وتنكح حوريات الله بجوار الله عندما تموت.

قالت نور:أرى أنك تشّجع فكرة الإقبال على الانتحار وتوافق مصطفى المسكين على فعلته هذه؟

قال سلطان:سأعطيك رأيي بهذه الظاهرة بصراحة،اعلمي إن هذه الحياة أثمن شيء بالوجود، وأغلى ما يمتلكه الإنسان بغض النظر عن الكيفية التي يعيش فيها سواء كنت متسلطا أو مُسلطا عليه،فالفقر والغنى والنجاح والفشل والرخاء والضعف والفوز والخسارة.....الخ ما هي إلا أدوار تفرضها عليك طبيعة الوجود، وأن جميع هذه الأوضاع تأتي عشوائيا حسب البيئة التي تسكنها، فأنت مخير وباب المحاولة مفتوح أمامك،فأنّ خسرت شيئا فبمكانه تستطيع الحصول على أشياء أخرى، وأن حزنت فأعلم أن الحزن يسد الفراغ ويروّض القلوب، وإن ظفرت بشيء مهما كنت تحافظ عليه ستأتي اللحظة التي تخسره فيها، أن الحياة يا نور لا تستمر على طريقة واحدة، وسرعان ما تتبدل أوضاعها وتتغير أحوالها وهذا هو السرّ الرائع الذي تمارسه الطبيعة علينا وألا سوف يقتلنا الملل والرتابة.

فالنظر إلى الحياة من جانب إنها منحة وقتية وأيامها محدودة،وعاجلا أو آجلا سوف تُأخذ منك وتحرم منها سواء أنّك انتحرت أو لم تنتحر،فالقضاء جارٍ عليك ومفروض، والمهم أن تعيش الحياة بحلوها وبمرّها، ومن

اكتفى منها ويريد أن ينهيها قبل موعد الإنتهاء فله ذلك وهو حر، فالخسارة لا تقع إلا عليه، أما عن الهدف الذي يبحث عنه الإنسان في رحلة الحياة هو الأمر الصعب الذي يواجهه... فما هو الهدف؟ وكيف يتكشف الإنسان هدف الحياة؟ فأنا أقول أن وجود الإنسان على هذه الأرض هو الهدف الأسمى، وبمجرد دخول الهواء برئتك ويخرج منها هو هدف، عندما تسير وأنت بصحة كاملة أو عندما تنام وأنت طيب الخاطر ولا تحتاج مساعدة أحد هو هذا الهدف، فالبناء والاكتفاء والعيش الطبيعي هو الهدف المنشود فأننا بكل الأحوال راحلون عن هذا الكون، لأن كل فرد منّا عندما جاء هذه الحياة قد أوكلت له مهمة معينة يجب القيام بها، وله رسالة من المفترض إيصالها في هذا الوجود، فلا يوجد شيء اسمه عبث، وإنما نحن نعبث بمصيرنا ونحرف مسار الحياة عن سكّتها الأصلية.

أحسَّ الجميع بشيء من الملل وكأنّ رؤوسهم نزفت بالأفكار كثيرا،وتحول هذا اللقاء لمحاضرة فلسفية، فقالت نورس لسلطان أين قصيدتك التي أتعبتك وأطعمتك السهر والسقم؟ خجل سلطان ولا يعرف لما هذا الخجل كأنّه حسب هذه الكلمات بها شيء من الإطراء والمزح، فقال فعلا هذه القصيدة أتعبتني فأنا قد كتبتها بحق فتاة سمراء

رأيتها قبل أيام قليلة وفتح حقيبته السوداء وأخرج دفترا صغيرا يبدو أنّه كان دفترا للمسودات وقال:-

مَا هـذا اللَـونُ اَلأسمـر أَوَضَـاءَةُ تَبـر أم مَرمَـر

مَاهـذي القَوسَـانِ بِعَينِـك أَجِسُورُ الحُبِ إلى المِحوَر

مَـا هَـذا السَيـلُ بِثَغـرِك هَل عَسَلٌ أم وَردٌ أحمَـر

أو لـؤلـؤُ يَلمَـعُ كَالبَـرقِ كَجِـرَارِ زَمَـرُدِ في سُكّـر

أَنـتِ سَاعاتـي وَأيامـي وَحَنَانِـي وَشِجُونِـي أَكثَـر

أَنـتِ اَلأمواَجُ على صَدرِي وَنَسَائِـمُ يَكسُـوها العَنبَـر

أَنـتِ الأَحـلاَمُ كَأَشعَـار وَقَصَائِـدُ فِيـها أَتَفَجّـر

أَنـتِ السَمـرَاءُ وَعَينَـاكِ تَفِيضُ على الشَهدِ وَتُسكِر

وَطِيورُ الحُبِ على كَتِفِك تُغَـرّدُ عِشقـا تَتَعَـطّر

وَلآلـئُ وَجهَـكِ تَخطِفُني كَنِجُـومِ الشَفَـقِ إذا تَظهَر

وَضَفَائِرُ شَعرَكِ أَسمَعُـها بِحِجَابَـكِ تَبكِـي تَتَذَمَـر

وَأَنَامِـلُ كَفّـكِ أَعجَبُـها لو تَلمِـسُ بَحـرا يَتَحَجَّـر

ألدُنيـا أَنـتِ وَأَجمَلُـها وَبِغَيـرِكِ مُوحِشَـةُ المَنـظَر

فَحَيـــاة تَفقِـــدُ عَينِيـــكِ فَلِتَـرحَـلُ عَنّـــي وَلِتَســـفِر

مَن قَالَ الحُبَ بِلا سَمرَاء فالَيأتـــي الآنَ وَيَستَغـــفِر

فَنِسَـــاءُ الجَنَةِ أجمعُـــها بِيـــض لا تَمـــلِكُ كَالأسمَـر

وَأَنا الشَيطَانُ وقد أَهوى سَمـــرَاءَ وَقَلبِـــي يَتَفَـــطر

تَسبَحُ في بَحر من عَسَلٍ وَسَحَـــابٌ تَمطِـرُها عَنـبَر

فَالحُبُ إذا صَـــارَ هَلاكـا هَيجَـــاءَ تَفُـــورُ وَلا تَفـــتَر

سَأمضِي الحَربَ لِعَينِيها وَاللـــهِ سَأَمضِـــي لا أُدبِـر

أو كَانَ بِحُبِـها عِصياني كُفـرِي فَسَأقَبـلُ أن أَكفُـــر

كان سلطان وهو يقرأ القصيدة وينظر في عيون نورس وكأنّه يرى أشجارا تهفهف فيها عواصف المشاعر والغرام،ويرى لوحات سريالية تتحرك عشقا وتطير في فضاءات الخيال،فسلطان الشاعر يعرف جيدا تلك العيون والنفوس التي تتأثر بكلماته وأشعاره،ويفهم ذلك التفاعل والتأثير الذي يحدث بين الشاعر والمتلقي ساعة الإلقاء

قالت نورس: يا حظ الحورية التي وصفتها بقصيدتك هذه وهنيئا لها

قال سلطان: نعم فعلا هنيئا لها وتعسا للشيطان الذي عشقها فهو سيتعذب كثيرا...

نظرت نورس لساعتها وقالت الوقت معك جميل يا سلطان ولكن يجب علينا الذهاب، ولا يفوتني أن أقول لك نحن مازلنا نطلبك زيارة إلى نادي كليتنا أعتقد أنّك لم تنسَ؟

قال سلطان: أكيد أنا لم أنس دعوتك وسأحضر قريبا

قام الجميع وصار سلطان يشكرهما على السؤال عنه وعلى الحضور حتى وصلوا إلى نهاية الممر، وكانت نور تمشي بجانب سلطان وملاصقة له كثيرا وهمست بأذنه بصوت خفيض وقالت له أريد أن تعطيني قصيدتك التي قرأتها قبل قليل فأنا أعجبت فيها ودخلت في كوامن روحي!!!سلطان لم يبد رفضا لطلبها وأخرجها من حقيبته وقال لها أنا أعطيها لك لكن بشرط

نور: وما هذا الشرط؟

قال سلطان: إنّه بعد يومين سوف تقوم كليتنا بسفرة طلاّبية إلى مدينة بابل الأثرية وأتمنّى أن تحضرا معي في هذه السفرة وشرطي عليك هو أن تقنعي نورس بالذهاب بهذه الرحلة

أرادت نور أن تتكلم ولكن الحيرة والمفاجئة جعلت الكلمات تتجمد على لسانها وسرعان ما تداركت نورس

الموقف وقالت لا داعي بأن تتهامسا وتكلّفا نفسيكما فأنا موافقة، بعد يومين ستجدنا أنا ونور في هذا المكان ننتظرك ونحن مستعدتان للذهاب بهذه الرحلة، فضحك الجميع وتوادعوا على أمل اللقاء بعد يومين وانصرف الجميع

الرحلة إلى المدينة الغامضة

الواقع عندما يكون ليس الواقع الذي نحلم به سيكون شيئا تافها ومملا ولا يكون سببا جميلا يجعلنا نتمسك بهذه الحياة من أجله،وعندما ننظر إلى أبواب المستقبل حين تضربها رياح الضياع بكفوف متوحشة،ساعتها لا يوجد طريق آخر سوى الرحيل عن الواقع والعودة الى الماضي حتى إن كان ماضيا مؤلما ولم تعشه كا يجب، فالحنين إلى الماضي والحلم بالرجوع لزمن تركته خلفك فهذا معناه أنّك تعيش في زمن ليس زمنك وتحيا بواقع أنت ترفضه، فبطبيعة النفس تثور بداخلها المشاعر كلّما ازادت القيود والمضايقات وتحاول إيجاد المخرج حتى أن كان ذلك المخرج بالخيال أو الرجوع بالذاكرة إلى الوراء والعيش بين زوايا التاريخ مرة أخرى، أما إذا كان ذلك الرجوع لماضٍ كان جلّ ما فيه حضارة من السعادة أو عالم من المجد والزهو، وأقل ما فيه أنّه ماض كان سكانه يعيشون برقيّ ونظام عادل، فهنا تسكن العبرات، هو أنّك كيف تعيش على الأرض الخراب وترى آثارها تخبرك عن زمن مضيء وجميل، آثارها التي تخفي بين خرائبها حكايات الأجداد الذين رسموا للوجود لوحات من النور

أخذت بالألباب والنفوس، بماضٍ ترك للتاريخ شواهد وكنوز وعلما وقصور وكثيرا من الأثر الواقعي الحقيقي الذي حمل بصمة الإنسان المبدع منذ آلاف السنين، فنحن البابليون لطالما نجد أنفسنا يحرقها الحنين إلى زمن الأجداد والملوك، وتتألم خواطرنا شوقا لذلك الزمن الذي تفرّد عن كل أزمان البشرية، والعجب إنّ الإنسان وبما هو معروف عندما يشتاق إلى الماضي فهو يشتاق لسنوات الطفولة أو إلى زمن كان يعيش فيه بسعادة وحب، إلا نحن فإننا نشتاق إلى زمن مضى عليه أكثر من خمسة آلاف عام،ولطالما نبتت أشجار من الدموع والحسرات من مشاعرنا بين تلك الخرائب التي تنعى المدينة الأثرية، وكم أهلكنا خواطرنا بالحنين والشوق على الأطلال الباقية من تاريخ بابل السحيق من حكمة وشجاعة نبوخذنصر ومن سطوة مردوخ الإله العظيم، فنحن أول من اخترع الكتابة في زمن كانت الناس لا تعرف كيف تستر عوراتها، ونحن أول من عرف مواقع الأفلاك والنجوم واستخدمها وعرف عدد السنين والحساب وأول من اخترع الآلة والعجلة واستقر في المنازل والكهوف بعد أنّ كان مشردا في البراري والغابات كما الحيوانات يأكل العشب ويرعى مع البغال في وقت كان حتى الأنبياء لم يرشدهم ربهم الذي أرسلهم إلى اختراع واحد من اختراعات أجدادنا العظام في أرض بابل ، بابل الكلدانية التي أنجبت أسلافنا وأجدادنا

الأوائل،وما يحزن القلب ويجرح الخاطر هي سرقة تاريخنا وتزوير هويتنا الكلدانية،وتغير قوميتنا على حسب مزاج المتنافسين على الحضارة وعشاق السلطة والسيادة.فنحن جميعنا نرجع لذلك الأصل العريق والأمة الكلدانية الأصيلة التي أنجبتنا وأبعدونا عنها،لكن سوف يأتي الوقت وتُكشف الحقائق ويعود الفرع لأصله حتى ولو بعد حين،فأين ذلك الزمن المتحضّر المتوهج بالمجد والإنسانية، وأين ملوكنا العظام وآلهتنا الكبار الذين تركوا لنا كلّ هذا الحنين، فهم عاشوا في زمن الألق والحضارة وتركوا لنا الشتات والتغريب

كانت نورس تقرأ هذه الكلمات التي هي عبارة عن مقدمة مقال قد أرسله لها سلطان عبر حساب (الفيس بوك) الخاص بها وهي تشعر بأنّ جيشا من الآهات قد نصب خيامه في إحساسها وقلبها وهي تسافر في خيالها إلى ذلك الزمن القديم ولتلك الحضارات التي مازالت تنجب عشقا وتعلقا ساحرا لكل الأجيال وما إنفكت تعيش في فضاءات الإنسانية، وفي نهاية هذا المقال وجدت نورس كلمات قد ختم بها سلطان قال فيها(عزيزتي نورس؛ أولا اعطني رأيك بهذه الكلمات التي أريد نشرها فأنا أثقّ برؤيتك وفهمك، وثانيا أرجو ألا تنسي موعد الرحلة يوم غد إلى مدينة بابل الأثرية)

وعلى الفور ردت نورس على سلطان قائلة: مقالك هذا برغم أنّه مختصر وبه الكثير من النواقص الفنية التي لو تداركتها سوف تشدّ القارئ إليك أكثر وتجعل المتعة والتشويق ملازمين له، ولكن الذي أعجبني فيك هو أنّك قد تكلمت على لساني وقلت بما كان يجول بخاطري فأنا مدمنة على السفر إلى المدينة الأثرية وكثيرا ما كنت أطلق العنان لخيالي وأنا أتأمل أسوار المدينة وبقايا الأبراج المحطمة، ولطالما شعرت أنّ روحي مثل طفلة تتوه بين شوارع المدينة المتداخلة والعابقة برائحة الجمال المسافر، خاصة في شارع الموكب الذي كانت تمرّ عليه مواكب المحتفلين بعيد (الأكيتو) وهم يحملون تماثيل الإلهة من بداية معبد مردوخ إلى نهاية المدينة عند نهر الفرات، أو أتكلم عن القصور أو بوابة عشتار أو المعابد والصروح، ياه يا سلطان أتعلم أنا أحيانا يشدني الحنين لذلك الزمن المتوهج وأتخيل إنّني(أميتس)حبيبة الملك (نبوخذنصر) الكلداني وزوجته فيأخذني الزهو والرضا وأبدأ أفتش عن جنائنه المعلقة التي أهداها لي!!! الهدية التي أصبحت إحدى عجائب الدنيا والتي اختفت واختفى أثرها في هذه المدينة العتيقة، فتراني أينما أجد مكانا فيه أشجار وبقايا من الزرع والماء أقول في سرّي لعل هذه هي جنائني

المفقودة!!!وكلّما أشاهد البؤس الذي عليه المدينة في الحاضر أشعر أنّ سكينا قاسية تنغرس في قلبي والأسئلة المتلاحقة توجع إحساسي وتجعل عقلي يتوقف عن الدوران حول تلك العصور الجميلة!!! نعم يا سلطان أنا لم أنس موعدنا يوم غد ستراني أول الحاضرين للذهاب إلى المدينة الأثرية معك....

****

كان الصباح ينثر عطورا بابلية تكاد تكون أقرب إلى رائحة البخور، والنفوس التي تفتحت فيها سنابل الاشتياق تتبسم لموعد مع الملوك والعصور الغابرة، كان الطريق إلى جامعة بابل كأنّه شريان مملوء بالعسل،تغرق فيه القلوب العاشقة على طول المسافات

وصل الجميع إلى بناية كلية القانون التي ستنطلق منها الرحلة باتجاه الشمال حيث المدينة الأثرية، كلية القانون التي ما أن تدخلها من جهة الجنوب يأخذك مسقّف على شكل أقواس من الحديد المصبوغ بالأبيض وعلى جوانب أرضيته حدائق العشب والياس وبعض أشجار البرتقال والنخيل التي تعطي المكان رونقا وأناقة، كان ذلك المسقّف يأخذك مباشرة إلى بناية عمادة الكلية حيث مكتب العميد ومقار اللجان الخاصة بالكلية، أما بمنتصف الممر يوجد ممرّ فرعي من جهة اليمين يوصلك إلى عمق بناية أخرى

خاصة لمكاتب الموظفين والأساتذة ولقاعات الدراسة، وقبل أن تسلك ذلك الممر فأنّك سترى أسطوانة على شكل مسلة من الحجر الأسود متوسطة الحجم وهي نسخة مشابهة لمسلة الملك البابلي حمورابي، تشبه الأسطوانة الكبيرة ومنقوش على الجزء العلوي منها صورة الملك حمورابي واقفا بكل احترام وتواضع وهو يتسلم قائمة القوانين والدستور الإلهي من إله الشمس إله العدالة والقانون والذي يسمّى في السومرية (أوتو) وفي الأكدية الكلدانية (شمش) وهو معروف بهذا الاسم في كل اللغات السامية، وايضا أنّ هذا الإله هو ابن إله القمر (سين)وأخو الإلهة (عشتار) وكثيرا ما مُثّل برمز قرص ذي أربعة خطوط تنبعث منها حُزم الأشعة وهي ذات مدلولات سومرية ونجمة الكلدان المقدسة، كما صُوّر بهيأة ملك جالس على عرشه يحمل في يده اليمنى الصولجان وحلقة وهما رمزا السلطة،أما تاجه الذي يرتديه مزين بأربعة أزواج من القرون وهو الزي للباس الرأس عند الآلهة، وله لحية طويلة كالإله القمر، ولأنّه ينير الظلمات فهو إله العدالة والحق والشرائع، وهو الذي أعطى حمورابي شريعته، وهو القاضي الأعظم، وسيد الكهانة والعرافة، وقد قدسه البابليون وشيدوا له معابد كثيرة ويخيل لك أنّ الملك يظهر وافقا في خشوع للدلالة أنّ الشريعة هي من

كلام الإله، فحمورابي هو الملك الراعي وحامي البلاد والساهر على تطبيق القوانين، وترى في الجانب السفلي من المسلة نقش صورة الإله والملك ومجموعة المواد القانونية التي تسلمها من الإله وظيفتها تنظيم مختلف شؤون الحياة،كانت تطبق وبتنظيم عجيب في هذه البلاد قبل أكثر من خمسة آلاف عام

شريعة حمورابي وفي أعلاه مشهد يصور الملك البابلي حمورابي وهو يتسلم قائمة القوانين من الإله شمش إله العدالة

وفي مقابل هذه المسلة توجد مكتبة للاستنساخ وبيع الكتب القانونية، وبعدها تدخل إلى عمق البناية حيث الكثير من الممرّات والقاعات وتتوسطها باحة كبيرة مجزءة على شكل حدائق بها الكثير من المساطب والكراسي وضعت لراحة الطلاب وأماكن للجلّوس

تجمّع الطلاب والطالبات الذين سوف يسافرون إلى المدينة الأثرية في وسط ساحة الجامعة وهم بانتظار اكتمال العدد كي تنطلق القافلة، وبعد أن تجمهرت أعداد كثيرة من الطلبة والطالبات ومن المدعوين والزائرين ومن ضمنهم نورس ونور في ذلك المكان، إنطلقت الحافلة بتمام الساعة (9)صباحا وسط أجواء من الأفراح والأغاني وصراخ المتفيهقين المزعجين بالمزاح من الطلاب والطالبات.

كان الجميع يشعرون بالغبطة والسعادة وكأنّهم كانوا ينتظرون هذه الرحلة كي يتناسوا ما يحملونه من أوجاع وهموم خاصة بعد الصدمة التي أحزنتهم بفقد زميلهم مصطفى الذي غادرهم منتحرا، كان سلطان جالسا على الكرسي في الحافلة وخلفه نورس ونور وعلى طول الطريق كان سلطان يتكلم معهنّ وهو قد أدار وجهه بإتجاههنَّ وعيونه لا تملّ النظر من وجه نورس وضحكات نور

كان الطريق إلى المدينة الأثرية دائما ما يكون مزدحما بالسيارات حيث تكون حركة مرور السيارات بطيئة،

فالمدينة الأثرية تقع منتصف شمال الحلة في منطقة منعزلة ومحاطة بالقرى والبساتين وليس من السهل الوصول إليها إذا لم تتوفر لديك واسطة نقل خاصة وبعض من المال، فكل شيء بهذه المدينة له ثمن حتى بمجرد دخولك لها فستواجه بضريبة مالية لقاء دخولك لها حتى وأن كنت بابليا...

في الساعة العاشرة صباحا وصلت حافلات الرحلة إلى الباب الرئيسي للمدينة الأثرية فلاحت لعيون نورس وسلطان أطراف قصور نبوخذنصر العتيقة وكأنّها كفوف شفافة تظهر من خلالها تومئ للقادمين بالاستقبال والترحيب، والأشجار تهتزّ مثل المناديل التي تكفكف دموع الأفراح بلقاء القادمين بعد غياب طويل، وهذا ما زاد من الشوق والحنين في القلوب التواقة إلى لقاء المفارقين، ما أن وصلوا حتى نزل الجميع مسرعين كأنّهم طيور الحمام فُتح لها القفص المغلق، وفي ذلك المكان كان العشاق كل واحد منهم أخذ عشيقه وذهب يستمتع معه بالسير بين الحدائق والأماكن، وقد ذهب المشتاقون المتعطشون لاستكشاف المواقع الأثرية من الأساتذة والضيوف إلى مسعاه وبقيت مجموعة قليلة بما فيهم سلطان ونورس ونور فاتفقوا على أن يذهبوا سويا إلى عمق المدينة للاستطلاع والتعرف على المواقع والآثار التي جعلتهم يسرعون الخطى اليها وصاروا يمشون

صوب أثار القصور والمعابد مخترقين الأسوار ذات الطابوق الأحمر التي تغطيها أشجار النخيل والسدر وبعض الأشواك

كانت نورس في كل خطوة تخطوها يتوقف عندها الزمن وتطلق العنان لمخيلتها وكأنها تعود إلى زمن الملوك والحضارة زمن بابل الكلدانية المتوهج وهي تُسائل نفسها عن أولئك الناس الذين فتحوا أبواب المجد ودخلوا مدينة الإله الغامضة، فشيدوا العمران وبنوا القصور ونشروا العلوم حتى صارت هذه المدينة حاضرة المعاجز وحكاية العجائب التي أعييت العقول وشغفت القلوب وجعلت الأجيال التي لم تدرك زمنها يتحرقّون شوقا لرؤيتها أو للحياة فيها ولو للحظات قليلة!! وصلوا إلى بوابة عالية زرقاء اللّون، عليها رسومات لحيوانات مختلفة تعلوا السور بمسافة قصيرة، قالت لهم نورس هذه هي البوابة الرئيسية لمدينة بابل التي كان الداخلون إلى بابل يأتون منها وتسمّى ببوابة عشتار، بوابة الإلهة عشتار التي بناها الملك الكلداني نبوخذنصر، وقف الجميع أمام هذه البوابة وهم يشعرون بحشرجات وتأثير وآضح على كل من أسره الشوق والحنين إلى ذلك الزمن وهم يتأملون بحب تلك البوابة الخالدة، فالبوابة الزرقاء هي بوابة الإجلال والهيبة التي تشكل الرمز الأسطوري لعظمة هذه البلاد، فعشتار هي إلهة الحب والجنس والجمال والحرب والخصب عند

البابليين، ظهرت أولا عند السومريين فهي ابنة إله القمر(سين) الذي حباها الجمال والأنوثة والغرور، وأمّها الإلهة (ننكال) إلهة البساتين السيدة المثمرة التي وهبت لعشتار الخصب والزرع، كانتّ عشتار تسمّى عند السومريين الإلهة (إنانا- ملكة السماء) وكان مركز عبادتها في مدينة الوركاء على ضفة الفرات، وأيضا كان لها معبد في كل مدينة من مدن الحضارات القديمة حتى خرجت عبادتها إلى خارج حدود بابل، نظر سلطان وقد أُعجب بكلمات نورس وما تمتلك من معلومات واهتمام بالتاريخ وخاصة فيما يتعلق ببابل وحضارتها؛ فأراد أن يبين لها أنّه أيضا مهتم بأسرار تلك الحضارة ويعشقها إلى حدّ الشغف وأنّه قد ملأ خزانة عقله وقلبه من المعلومات والمعرفة بما يخص بابل وأسرارها، فقال لها حسنا ما قلتيه يا نورس وأيضا كانت عشتار ترمز للبابليين بل للعالم بأسره بأنّها إلهة الصباح والمساء وتصورت على هيأة فتاة في عمر الشباب ممتلئة الجسم وصاحبة قوام جميل وخدين مفعمين بالحيوية وعينين مشرقتين، عشتار كان يتوفر فيها جانب الجمال الإخاء وسمو الروح وقوة العاطفة والحنو على الشيوخ والأطفال والنساء، ففي فمها يكمن سرّ الحياة، ومن أعطافها يعبق العطر والشذا، فكانت تجوب الحقول بخفة ورشاقة، فتفجّر الينابيع خلفها بالماء

والعطاء، وتزهر الأرض بالسنابل والورد، حتى وقعت بغرامها المخلوقات، وخلّدها الشعراء والأدباء بكلماتهم، فأهدوها أجمل القصائد والنصوص، وعشقها الملوك والأمراء، وذاب بحسنها الفنانون فرسموها على أرشق الأختام الأسطوانية وصنعوا لها التماثيل التي كانت تنطق بالحياة.

عشتار الذي ولع بها الموسيقيون فغنّوها لحنا رومانسيا على أوتار القيثارات وفوهات النايات، حتى بقيت عبادة عشتار الربّة الجميلة منتشرة على مختلف العصور القديمة من السومرين إلى الأكديين والآشورين والبابليين الكلدان، وبقي اسمها بارزا حتى سقوط الدولة البابلية الكلّدانية وأطلق اسمها في العصر البابلي الحديث على أشهر بوابات المدينة التي تسمّى ببوابة عشتار

وأضاف سلطان إن هذه البوابة الزرقاء التي ترونها شاخصة أمامكم هي ليست البوابة الأصلية التي كانت في زمن الحضارة البابلية الكلدانية وإنما هذه نسخة مقلدة من البوابة الأصلية، لأنّ البوابة الأصلية موجودة حاليا بمتحف (براغمون) في ألمانيا

أدارت نورس وجهها عن جمع الحاضرين وإتجهت بأعينها إلى الفضاء وكأنّها تعاتب القدر على ما حصل بمدينتها من بؤس وسرقة لآثارها في وضح النهار وكأنّها تطالب بإرجاع البوابة إلى مكانها الأصلي في مدينة بابل،

فنورس تعتبر نفسها الوريثة الشرعية لبوابة عشتار وإنّ من سرقها يجب عليه إعادتها إلى أصحابها!!حتى بدت علامات الحزن تظهر على وجهها

سأل أحد الحاضرين عن هل أنّ البوابة الأصلية الموجودة في ألمانيا هي تشبه هذه البوابة الماثلة أمامنا؟ فأجاب سلطان إنّ هذه البوابة التي ترونها هي نسخة من بوابة عشتار الأصلية وقد بَنَى هذه البوابة التي ترونها أمامكم عالم الآثار البابلي الراحل (طه باقر) عام 1960 وقد اختار هذا المكان لها لتكون أول معلم يراه الزائرون، أما مكانها الحقيقي فهو كان يتوسط المدينة الحالية ومزينة برموز لإلهين عظيمين هما لكبير الإلهة مردوخ والإله أدد..

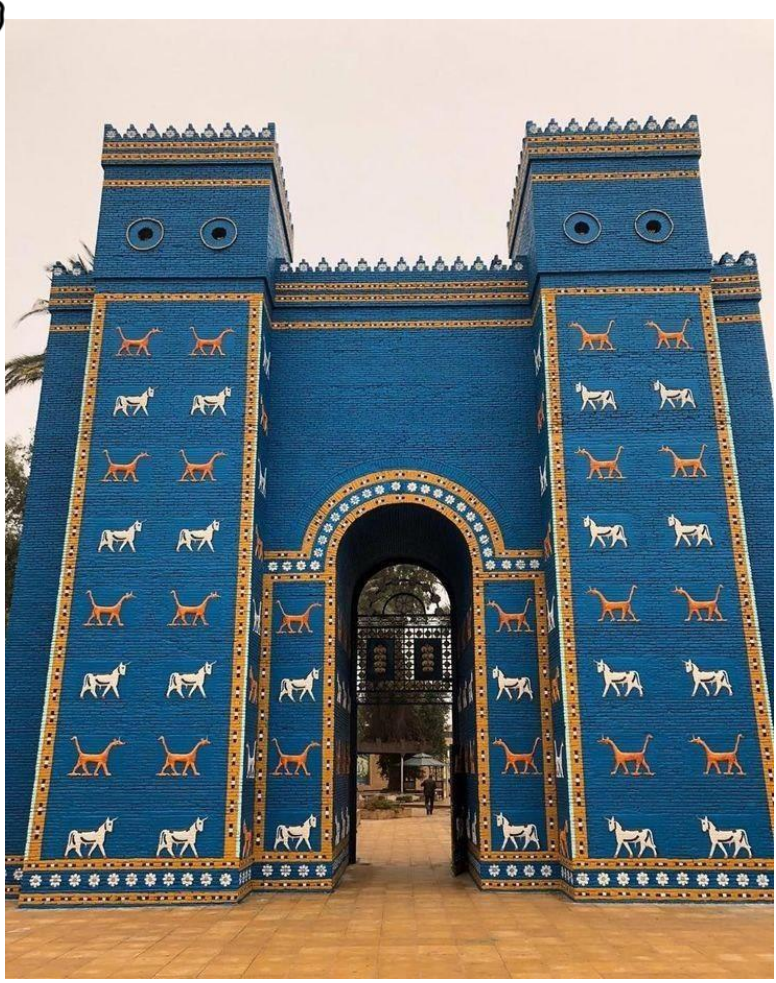

بوابة عشتار في مدينة بابل الأثرية في الوقت الحالي وهي نسخة مقلدة عن الأصلية

كانت رموز الإله مردوخ على البوابة قد جمعت فيها الصفات الخارقة الموجودة في الأرض والسماء والغابة والصحراء، فرأس الإله مردوخ رأس تنين ولسانه لسان أفعى وجسمه جسم سمكة، أما قوائمه الأمامية أقدام أسد والخلفية أقدام نسر والذيل ذيل عقرب!!! أما الإله الثاني فهو الإله أدد الذي هو يشبه الثور،والثور هو رمز لإله الطقس أدد، والطريف عن قصة هذا الإله، أنّ الأسطورة التي تتحدث عنه أنّ أدد يتجول على متن عربة يجرها ثور في السماء ويجلد الغمام بالسوط الإلهي لتتساقط منها الأمطار بينما كان ثوره يزمجر مسببا صوت الرعد الذي يهزّ أركان الدنيا، فهذه البوابة هي البوابة الثامنة لمدينة بابل الداخلية وقد أهداها الملك الكلداني نبوخذنصر إلى الإلهة عشتار إلهة الحب والحرب ولهذا عرفت بهذا الاسم

التنين (الموشخوشو) رمز الإله مردوخ

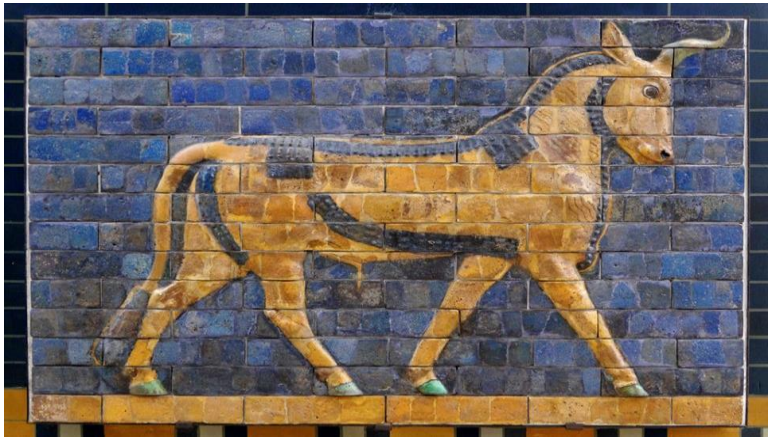

الثور رمز إله الطقس أدد

كان الجميع يشعرون بالرجاء والشوق خصوصا من كان فيهم بابلي، فالعيون تائهة في فضاء المدينة،والأحلام تحمل الخواطر والظنون إلى الأيام الخوالي،وبدأوا يسيرون ببطء وهم يجتازون مكان البوابة، لم تكن نورس على علم بأنّ هناك شخصا يتابعها ويراقبها من بعيد، ويرصد تحركاتها خطوة بخطوة، وكأنّه مخبر أوكلت له مهمة مراقبة نورس وهو مطالب بإعطاء تقرير يومي مفصّل عن كل ما تقوم به أو تتصرفه حتى من يتكلم معها وبمن تختلط!!!فكان ذلك الشخص كما ظلها يحوم حولها أينما تدور وصار يقترب منها شيئا فشيئا مستغلا الزحام وكثرة السائحين، فاقترب أكثر منها كي يحفظ ما تقوله وما تقوم به وفي الحقيقة أنّ هذا المخبر قد وظّفه طالب في جامعة بابل لغرض جمع كافة المعلومات والتفاصيل عن نورس لأنّه قد أحبها ويفكر بخطبتها، فزرع العيون بكل مكان تتواجد فيه نورس، وكلّف بعضا من أصدقائه بمراقبتها ومتابعتها!!! لأنّنا ومن عجائب تفكيرنا نحن الشرقيون نريد الفتاة ناصعة النفس والقلب بلا ماض ولا حاضر، بلا حب سابق ولا متعرضة لمصادفة عاطفية في حياتها، نريدها خرساء القلب لا تعشق غيرنا، ونريدها بكماء الماضي لأنّنا نعتقد أنّ الماضي يبقى معشعشا في قلبها وذاكرتها، ونريدها مكفوفة عن خواطر أنوثتها لا ترى غيرنا ولا تذهب لشخص آخر حين تحتاج الحب،

المهم لدينا ألا تكون مجربة في السابق، وكأنّنا نحسبها سيارة حديثة ونريدها حسب المواصفات والمزاج، أما إذا كان قلبها قد استعمل سابقا بغرام مع أحدهم فهذه الفتاة ستكون دائما مدعاة للشك والريبة وليست أهلا للثقة، لأنّنا نحسب الفتاة عندما تحب تكون كالرجل عندما يحب وهذا خطأ كبير

فالرجل متى يحب تبدأ أولى مراحل طفولته فتتشبث الذكريات على أغصان قلبه، وتبدأ تصرفاته تحوله إلى مخلوق ضعيف رغم قوته،فنقش الذكرى يبقى مع أول حبيب يذوق الغرام معه ولا يمكن أن يتناسى بداياته الأولى مع ذلك الحبيب، فمثلما ذكريات الطفولة لا تُنسى كذلك الحب الأول بالنسبة للرجل لا يستطيع نسيانه أو يتجاهل ما مرّ به حتى لو عشق ألف فتاة أخرى.

أما الفتاة تختلف تماما في هذه المعادلة ولا يمكن قياسها كما الرجل، لأنّ الفتاة هي بكل يوم طفلة بحب أو بلا حب، ولديها القدرة على إزاحة التراكمات العاطفية السابقة والذكريات المزعجة مع من كانت تحبه!!! فهي عندما تجد الرجل المنشود والذي يملأ حياتها عشقا واهتماما واحتراما، فأنّها وبلا ريب تتمسك به إلى حدّ الفاقة ولا يهمّها ماضيه وذكرياته فهي تترك خلفها جميع المحطات والرسائل والذكريات، وإن تذكرت ماضيها فأنّها سوف تتذكر بعقلها لا بقلبها بعيدا عن الحنين والوجع والاشتياق،

فالذي يريد أن يضمن محبته في قلب محبوبته هو أنّ يكون مبدعا باستمالة قلبها وإلفات نظرها بأقلّ التفاصيل وسوف يرى العجب!!! أما الذي ينبش بالماضي أو يضع القيود والأسوار حولها فأنّه لا يجني غير الفشل والخسارة.

أرضّ بما هي عليه وتقبلّها كما هي فأنّك سوف تحضى بطفلة رقيقة وحنونة، تكبر على يديك من جديد حتى وأن كانت في الأربعين.

وعلى كل حال واصل الجميع المسير ودخلوا المدينة مخترقين بوابة عشتار وهنا اعترضهم سلّم مدرج يتراوح طوله إلى أكثر من 15 متر ويبدو أنّ هذا الارتفاع قد سببه غبار القرون القديمة، فتحول إلى تراب مالح ورَدَم المدينة بأسرها فأخفى معالمها، كان كل شيء يعبق برائحة الحب، وكل متر يخطون عليه تحسب أنّ تحته كنزا أو تمثالا أو أثرا، وعند نهاية السلّم لاح لهم من جهة اليمين بناء متوسط الارتفاع مبني من اللبن ومكسي بالطين كأنّه بيت مهجور أو مخزن أو بناية غير مهمة، فأنت لا ترى منها سوى الأحجار المتراصفة بلون التراب العتيق،

عندما وصل الجميع إلى هذا الموقع وجدوا يافطة بيضاء مكتوبا عليها(هنا معبد ننماخ كان معبدا قديما أعيد بناؤه في عهد الملك نبوخذنصر الثاني بحدود الفترة 562-604 ق.م وهو يقع إلى الشرق من بوابة عشتار ويسمّى معبد-أماخ-المعبد العظيم وخصص للإلهة ننماخ)

وقفت نورس تتأمل هذه الكلمات المكتوبة وكأنّها ترى في مخيلتها أفواجا من النساء البابليات المليئات بالخطايا والذنوب ينسلنّ إلى هذا المعبد المهجور ويدخلنه ووجوههنّ أشبه ما يكون بنسائنا في زمننا هذا بل وأجمل، فهذا المعبد هو معبد خاص للنساء البابليات قديما وكلمة ننماخ في البابلية تعني (المرأة العظيمة أو السيدة العظيمة)فنورس قرأت قديما أنّ هذا المعبد تأتيه النساء لمرة واحدة في السنة يسألنّ الزواج وغفران الذنوب،ويتميز هذا المعبد بوجود البئر المقدسة التي تتوسط فناءه تستخدم للاغتسال والبركة، فكل امرأة ترتكب خطيئة أو ذنبا وتريد الطهارة والغفران ما عليها إلا أن تغتسل من ماء البئر والتي تذهب بجميع خطاياها وذنوبها فوجدت نورس في نفسها أنّها بحاجة أن تغتسل من هذه البئر لعلّها ترفل بالأمان وصفاء الضمير!!

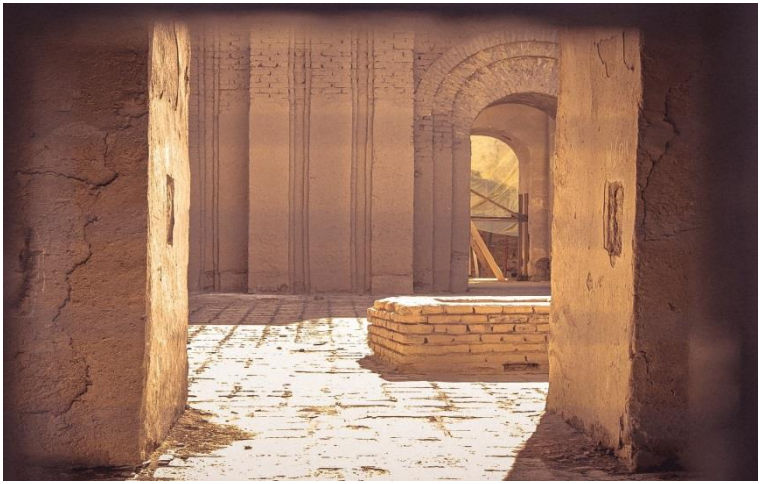

معبد الإلهة ننماخ ذات الغرف الكثيرة والبئر تتوسط الفناء

جاء سلطان متخطيا على مهل يرافقه شاب تبدو عليه علامات البشاشة والثقة حتى وصلا بجانبها فقال سلطان أعرّفك على صديقي (مكّي) الباحث الآثاري والصديق الحميم فأنا التقيت به في هذا المكان عن طريق الصدفة، رحبت به نورس بحرارة واحترام وقالت له إذن نحن حصلنا على مرشد سياحي يشرح لنا عن هذه المواقع؟

تبسم (مكّي) وقال بكل ترحيب فأنا موافق خصوصا أنني أعرف سلطان مهتما جدا بالتاريخ ويعشق الاطلاع على أسراره خاصة فيما يتعلق بآثار الحضارة الكلدانية لأنه يعتقد بل متيقن أن اصله يعود للكلدان وأنه كلداني لحدّ النخاع!!! قال له سلطان ونورس كذلك فهي مهتمة أكثر وتمتلك اعتزازا ومعرفة جمّة عن تاريخ بابل، فدخلوا إلى المعبد مع مجموعة كبيرة من السائحين

كانت بداية المعبد عبارة عن درج لا يتجاوز ارتفاعه مترا واحدا، وبعدها يواجهك باب مشبّك أسود اللون، ودائما ما يكون مغلقا ولكن اليوم نتيجة وجودنا بهذا المكان كانت بوابة المعبد مفتوحة، دخل الجميع وكانت فيما يلي الباب ممر قصير وعلى جوانب ذلك الممرّ من اليمين واليسار غرف أثرية وبقايا التراب التي تحكي قصص الزمان العتيق،وعند اجتيازك الممرّ تجد البئر المقدّسة تكون بوسط فناء المعبد، نظرت نورس في عمق تلك البئر فلم

تجد قطرة واحدة من الماء فهي بئر مهجورة ولم يتبق منها سوى الطابوق المتكسر

سأل سلطان صديقه (مكّي) عن هذا المعبد وماذا يحتوي بداخله؟

فقال: يعتبر هذا المعبد من أهم معابد الدولة البابلية القديمة، وهو من المعابد الرئيسية للمدينة يقع بجوار بوابة عشتار من الجهة الجنوبية الشرقية منها،وقد قام بتشيده الملك نبوخذنصر ويتكون المعبد المبني من اللبن من فناء مركزي يحتوي على البئر المقدسة وتحيط بها الغرف،وبسبب مجاورته لقصر نبوخذنصر الجنوبي الذي كان مركزا للحكم الملكي فأنّه شهد النشاطات الدينية الخاصة بالقصر وله خصوصية بالنسبة للنساء البابليات حيث أكّد ذلك العثور على دمى لنساء عاريات يغلب على حركتهنّ القيام بالاغتسال وهي إشارة إنّهنّ كنّ يغتسلنّ هنا من مياه هذه البئر طلبا للغفران وقضاء الحاجات، كما وجدت رِقم طينية تحمل أسماء العمال وأجورهم، بالإضافة إلى غرف الكهنة والقدّاس ولقراءة التراتيل والاغتسال وكذلك وجود فراغ في أحد السقوف وهي فتحة مربعة الشكل لا تتجاوز نصف متر وهي الساعة الضوئية التي تعمل لرؤية انتقال الظل ومن خلالها يعرفون الأوقات المباركة التي يستحب فيها الغسل.

صار الجميع يتجولون في المعبد فمنهم من يتلمس الجدران ومنهم من يلتقط الصور ومنهم من تأخذه الحيرة وهو يفكر بمدى الإبداع والإتقان الهندسي والمعماري الذي يمتلكه الكلدانيون القدامى والكل في حالة من الإعجاب والحنين، أما سلطان فقد تخلّف عن الحاضرين وإنفرد عن تلك المجموعة حيث أنّه فضّل أن يكتشف بقية المكان بنفسه فصار يخطو بخطوات هادئة وحذرة في دهاليز المعبد وأروقته المظلمة، وفيما هو يمشي يسمع صوت الآثاري (مكّي) يأتيه من خلف جدارن الغرفة المجاورة وهو يشرح للسائحين ما تبقّى من خفايا هذا المعلم، وهو يقول أنّ الكثير من السحرة والمشعوذين يأتون قاصدين هذا المكان،وكثيرا ما يرتاده السحرة الهنود، ويقال أنّ هذا المعبد مذكور في أساطيرهم وله مكانة خاصة عندهم فهنا يتممون السحر الأسود باستعمال الأرواح الشريرة، ويقرؤون التعاويذ والنصوص الشيطانية حتى يتكمل السحر!!!

فسمع سلطان هذا الكلام وهو مازال في إحدى الغرف المجاورة (لمكّي) لكنّ الغرفة التي بها سلطان كانت مظلمة جدا ومتداخلة في بطون غرف أخرى وسلطان عالق بداخلها،فتوقف خائفا وصارت الأفكار والتخيلات المرعبة تهلع قلبه، التفت إلى الخلف فلم ير أحدا سوى

العتمة المُطبِقة في دهليز متكسر وهو يكاد يلمح بعض الجدران البعيدة ويفسر بعض تفاصيلها، كان سلطان وحيدا في ذلك المكان ويبدو أنّه تائه فيه ولا يعرف كيف يخرج، فالمكان مظلم وأصوات الأشباح والساحرات التي بدأ يتخيلها عقله صارت تطغي على أصوات السائحين في الغرف المجاورة، والخوف بدأ يتملك قلب سلطان ولا يعرف من أين يتّجه،فمشى بخطوات مضطربة وإذا به يتعثر بالأحجار وقطع الخراب المتناثرة، سمع حركة مسرعة وصوت قرقعة بجانبه، كأنّ مخلوقا زاحفا قد أحدثها فمدّ يده إلى الأرض وهو يتخيل الأرواح والمخلوقات المرعبة وإذا بها أفعى كبيرة تتحرك بقوة بين أقدامه ففقز مرعوبا وصار قلبه يخفق هلعا بشكل خطير وبتصرف لا إرادي ركض سلطان في ذلك الظلام ولا يعرف أين تتجه به أقدامه وإذا به يرتطم بالجدار الحجري وضرب رأسه ضربة قوية أسقطته على الأرض فأغمي عليه وغاب عنه الوعي!!!

وما أن مرّت ثوان معدودة وإذا بسلطان قد أيقضته أصوات الكهنة وأصوات النساء وخرخشة خلاخيلهنّ وأطفالهنّ الذين جاؤوا معهنّ، رفع رأسه فوجد نفسه في ذلك المكان وقد تغير كل شيء فيه، السجادات الفاخرة والأثاث الخشبي المطعّم بالزمرد والياقوت، ورأى القناديل الذهبية والفضية تملأ المعبد بالنور والألق، ورائحة

البخور البابلي تنعش الأنفاس والطيب!!! انتبه سلطان لنفسه وصار يتسائل هل أنا سافرت عبر الزمن وعدت إلى الوراء للماضي؟ فالذي يحدث معي هو أشبه بالغيبوبة أو الخيال.

التفت يمينا وإذا به يرى مجموعة من الرجال يغلب على هيأتهم إنّهم رجال دين أو كهنة، فاللباس الأبيض واللحى والخواتم المتلألئة والحلي المقدّسة تظهرهم بأرقى منظر وأجمل رؤية وهم يتكلمون بلغة يكاد يفهمها، حاول أن يتحرك وينهض من مكانه وإذا به يسمع أصواتا خافتة تأتي من الغرف المجاورة، أصواتا رخيمة لنساء يقرأْنَّ التراتيل المقدسة، وهي أشبه بهديل أنثوي ساحر، قام سلطان من مكانه ومشى ثلاث خطوات ونظر إلى المكان الذي كان قد سقط فيه وإذا بالمكان عبارة عن مستطيل لا يتجاوز مترا واحدا يستخدم لحفظ الأحراز والتمائم،وبعض العطور وحبّات البخور.

عندما وصل إلى الباب شاهد غرفا أخرى أكبر من التي كان فيها وبين غرفة وغرفة توجد أبواب صغيرة وبعض الزهريات المصنوعة من الخشب تستخدم للفصل بينهما، تسلل سلطان متعجبا ويملأه الفضول لكي يرى ما بداخل الغرفة الثانية، تلصص بعينيه فرأى مجموعة أخرى من الكهنة يرتدون أزياء دينية بيضاء وأخرى مطعمة بالألوان

القاتمة، وهي عبارة عن نصف ثوب يستر العورة وما دونها وعلى رؤوسهم حلي ذهبية تشبه التيجان،وآخرين يرتدون ثيابا كاملة تبدأ من قطع مربوطة بمأزر وتنتهي إلى ما تحت الأقدام وكثيرا منهم تراهم كأنّهم محرمون وأكتافهم ظاهرة وهم يرددون تسبيحات ودعوات تُمجّد الآلهة، كانت المشاعل تنير المكان ورائحة البخور والياس تضيف أحساسا روحانيا تطيب فيه النفوس، فالجدران مطلية من طين الفرات، وفي فضاء المعبد تجد السقوف مبنية من أخشاب شجر الأرز الذي لا يلتوي ويملأ المعبد برائحته الزاكية المنبعثة منه...

وجد سلطان إنّهم يجمعون بعض الدمى والتماثيل ويهتمون بها كأنّها أطفال صغار ورأى (الششكالو) كبير الكهنة قام من مكانه وبدأ يرصف تلك التماثيل جنبا إلى جنب في صندوق ذهبي على شكل مربع وكأنّه يريد نقلها إلى مكان آخر، فسأل سلطان كاهنا كان بجانبه ما الذي سوف يقومون به هؤلاء الكهنة هذا اليوم؟ فقال الكاهن عجبا منك أيها الكاهن الشاب ألم تعرف ما الذي سوف نقوم به في هذا اليوم بمعبد السيدة العظيمة؟

اندهش سلطان من كلامه وقال باستغراب هل أنا كاهن؟ فنظر إلى ثيابه وإذا به كان مرتديا زيا يشبه أزياء الكهنة!!! أراد ألا يكشف عن نفسه ويبين إنّه من سكّان

البلاد فقال مبتسما، نعم يا أخي أنا أعرف مضمون هذا الطقس وإنما لم أتذكر الموعد هل اليوم أوغدا؟ فقال له الكاهن اليوم مساء سوف تأتي النساء المذنبات ومن لهنّ حاجة عند الإلهة العظيمة وسنقوم بالقدّاس لأجلهنّ، نتضرع ونتلوا التراتيل والتمجيد ونطلب الغفران بالتوّسل إلى الأرباب العظام، في حين أنّ النساء المخطئات سوف يقمنّ بطقس الغسل والتطهير من الخطايا والذنوب التي جمعنها طوال السنة الماضية وذلك بالاغتسال من البئر المقدسة، فقال له سلطان اغتسال وتمجيد وحضور لهذا المعبد لمرة واحدة في السنة هل هذا اليوم هو يوم الحج؟
نظر له ذلك الكاهن وكأنّه لم يفهم هذه المفردة وقال له لا أعرف ماذا تقصد لكن اصمت فالكلام هنا لغير العبادة ممنوع؟وفي هذه الأثناء وقف جميع الكهنة باحترام وتذلل،والخشوع جعل الأعصاب ترتعش فقام سلطان معهم وصاروا يرددون التراتيل بطريقة غنائية تصاحبها بعض الألحان الموسيقية من قيثارات تعزف عليها كاهنات مختصات بهذا الطقس في المعبد...

بعد إنتهاء هذا الطقس خرج الكهنة من ذلك المكان وإتجهوا صوب ساحة كبيرة تقع وسط بناية المعبد التي تسمى بفناء المعبد المقدس مكشوفة غير مسقفة وتتوسطها بئر صغيرة، أما في نهاية الساحة توجد مجموعة من التماثيل ويعلوها تمثال كبير للإلهة الكبيرة ننماخ.

كان تمثال الإلهة مع قاعدته وكرسيه وموطئ أقدامه مصنوعة من الذهب وتحيطه مجموعة من الآلهة الذين يبدون أصغر حجما منه وهي دلالة أنّ ننماخ هي الإلهة الأكبر والأقدس في هذا المكان، وقد قام الكهنة بأخراج الآلهة وترتيبها حسب الأهمية والتأثير لقيام القدّاس والتضرع والدعاء إليها، تراجع سلطان خلسة بحركة بطيئة وقد تملّكه حب الاستكشاف لهذا المعبد، فصار يمشي برواق قصير حتى وصل لغرفة أخرى قريبة من الغرفة السابقة وإذا به يرى مجموعة من النساء الجميلات وهنّ يقمنّ بنزع ملابسهنّ ويستبدلنها بملابس بيضاء وأخرى حمراء قانية وكأنّهنّ يستعدنّ للقيام بالاستحمام وغسل أجسادهنّ.

كانت تلك النسوة على مستوى ساحر من الجمال والأنوثة خاصة السمراوات صاحبات الأقداد المثيرة الممتلئات بالحب والرقّة، عندما رأى سلطان تلك النساء وما عليهنّ من أوصاف الإثارة، بدأ ينظر لهنّ بدهشة وتعجُّب،وأخذته شهوة عيونه حتى دخل إلى منتصف تلك الغرفة دون أن يشعر بأقدامه تتحرك شغفا نحوهنّ،كانت النساء ترى حالة سلطان وكيف ينظر إليهنّ بهذه الطريقة ولكنّهنّ لم يتكلمنّ معه أو يبدين رفضا أو اعتراضا،بل أنّهنّ ومن خلال هذا السكوت الذي فسّره سلطان إنّهنّ لا يعيرن أهتماما له وأنّ هناك ثقة بأنّ سلطان لا يعتدي عليهنّ لأنّه وببساطة كان

مرتديا ملابس الكهنة وهذا ما كان يطمئنهنّ، وفجأة جاءت أعداد كثيرة من النساء وصار المكان يضج بهنّ ونتيجة توافد أعداد النساء وبكثرة التدافع وجد سلطان نفسه في نهاية الغرفة ومحاطا بالسمراوات نصف العاريات من النساء وبعض الكاهنات، أراد أنّ يشق طريقا له بين ذلك الزحام فلم يقدر لأن المكان قد غاص بالنساء المذنبات، والطريق إلى الخارج أصبح صعبا ، ويبدو إنّه لم تبق سوى لحظات ويبدأ طقس الاغتسال والتطهير، وبالفعل ما إن مرّت ثوان قليلة وإذا بناقوس المعبد يرنّ معلنا بدء فعاليات القدّاس والتطهير، فخرجت أول دُفعة من النساء اللواتي استبدلنّ ثيابهنّ إلى غرفة الاغتسال وبقيت ثلة كبيرة منهنّ داخل الغرفة التي مازال سلطان عالقا فيها،وأيضا بدورهنّ قمنّ بنزع الثياب وسلطان يحترق في رغباته وتستشيط عيونه وروحه شبقا وهو يرى أجساد الملكات البابليات تتمايل عارية أمامه كأنّهنّ غزلان يسبحنّ في بحيرة من العسل

خرجت وجبة ثانية من هؤلاء النساء إلى الخارج لإقامة القدّاس فأحسّ سلطان بشيء من الانفراج خصوصا وأن أعداد النساء بدأت تتضائل بتلك الغرفة، وفي اثناء انتقال تلك النسوة كأنّه لمح فتاة يعرفها تمتلك أوصافا يعشقها، سمراء بابلية رشيقة القوام ذات عيون سوداء كأنّ دموعا فضّية تتلألأ بداخلهنّ وهي تروم الخروج من ذلك المكان،

صور تخيلية لمعبد الإلهة ننماخ للفترة البابلية الحديثة

حاول أن يتخطّى النساء المتزاحمات حول الباب كي يتابع تلك الفتاة الجميلة ويمسك أطراف خيالها بعيونه حتى صار يحشر جسده بين أجساد تلك النساء كي يصلها، نظرت له من بعيد وتبسمت وقد عرفت بأنّ سلطان بتدافعه هذا بين النساء كان بقصد الوصول إليها، وما إن اقترب منها وإذا يراها أنها نورس!!!

تفاجئ وصار يتلعثم بالكلام وقال لها ماذا تفعلين هنا يا نورس؟ وما الذي أتى بك إلى هذا المعبد؟ فقالت له أنّ وجودك هنا ليس حقيقيا يا سلطان وإنما أنت حاليا تعيش فترة حلم كنت تتمناها في اليقضة وسرعان ما سوف تصحو!!!اندهش سلطان وقال بنبرة صوت حزينة تملؤها الخيبة يعني أنك تقصدين إنّني حاليا أعيش لحظات حلم وإن وجودي هنا مجرد خيالات غير حقيقية؟

قالت نورس نعم فما أحلامنا إلا رغبات مكبوتة نفكّر فيها دائما فنراها في المنام، أو أمنيات معلقة على أغصان الذاكرة، وكلما تهبّ رياح الحنين تتحرك فينا فنعيشها باللّاوعي!!

قال سلطان عرفت بأنّني أحلم لكن أنت ما الذي جاء بك هنا؟

فقالت أنا أيضا أحلم وقد ألقت بنا أحلامنا في هذا المكان فصرنا نعيشها سويا!!! وقالت أنا حضرت لهذا المعبد ليس

أنّني مذنبة وأريد أن أتطهر وإنما أتيت مع جدّتي فهي تريد أن تغتسل من الذنوب التي تنوء بحملها وسوف أراك خارج المعبد بعد أن تنتهي الطقوس فقال سلطان نعم سوف أراك في الخارج فخرجت نورس والنساء، وخرج سلطان أيضا من تلك الغرفة حتى وصل إلى دكّة يقف عليها الساقي الذي يستخرج الماء من تلك البئر، وطلب منه سلطان أنّ يعطيه دلوا من ماء البئر، فقال له أيها الكاهن إنّ الماء هنا مخصص لاغتسال النساء المذنبات ولا يحق لك ذلك، فقال سلطان ومن الذي قال لك أنّني لست من المذنبين؟ أيها الساقي اعطني دلوا واحدا من الماء لأطهر نفسي وضميري من العذاب الذي أحمله منذ أكثر من عشرين عاما، أنّني استحلفك بمن تؤمن به إلا ما لبّيت لي هذا الطلب؟ كان الساقي قد تحركت بخاطره الرحمة وّقال له اعطني ذلك الكوز وأشار إلى جهة الجدار الشمالي فذهب سلطان وأحضره فملأه الساقي وقال خذه وإياك أن يلمحك أحد الكهنة وأنت تغتسل بهذا الماء، وبالفعل أخذ سلطان الكوز المملوء بالماء المقدس وذهب به إلى مكان في آخر المعبد حيث وجد غرفة صغيرة غير مستخدمة وبدأ يغتسل وهو يطلب الغفران والسماح مع كل غرفة يغترفها من ذلك الماء، يغتسل وبقلبه حسرات تخرج كلما تذكّر حماقاته وقسوته التي ارتكبها مع أخوته الصغار، فضميره موجوع ومعذب وهو يسترجع المواقف

التي كان فيها يضربهم، سلطان يصبّ الماء فوق رأسه والندم يأكل ضميره وهو يتذكر كفوفه كيف كانت تصفعهم بقوة عندما كانوا يخطؤون وهم أطفال لا يملكون غير البراءة والحب...

ويتذكر أنّه ضرب أخته وهو في حالة من الغضب والسخف متجاهلا مشاعرها وكيانها ولا يدرك ماذا تعني الضربة عندما تكون قاسية من شخص لا يحق له أن يضرب فتاة ضعيفة؟

فالأطفال يتأثرون بالمواقف ويخزّنون الذكريات، وتبقى معهم وتشاركهم تفاصيل الحياة، فالذي يتعامل مع الأطفال بالظلم، فغدا تكون له ذكرى تعيسة وحزينة معهم، ويتولد من خلالها الكره والإحباط.

أما إذا كنت ظالما لفتاة ضعيفة، وتهين أنوثتها وكيانها بعدم الاحترام أو تضربها بلا رأفة فأنت إن كنت بشرا فعليك أن تراجع نوعية جنسك قد تكون وحشا أو حجر!!!

أما إذا كنت غير ذلك فروض ضميرك وتعلّم إنّ الرجولة ليست بضرب الضعفاء.وقف سلطان عاريا وهو يصب الماء فوق جسده المرتعش ويقول بسرّه:

أنا أعرفُ أيَتُها الإلَهةُ بنَقاءِ سِرّكِ السَرمَديّ
وَدفءِ قُوتِكِ
وَرطُوبةِ الكُفوفِ التي تَحمِلينَ عَليها لَحَظاتِ أخطائِنا ونَدَمِنا السَاخِنِ
أيَتُها الإلَهةُ
اغسِلي ضَمِيري وأحسَاسي بِبرَكَاتِ الغُفرَانِ
وامنَحيني الصَفَاءَ والخَلاَصَ من هذا العَذابِ العَظيمِ

حتى صار سلطان يذكر خطاياه وذنوبه ويتطهّر منها واحدة تلو أخرى، وحين إتمام الغسل وقراءة الدعوات والتوسلات ارتدى ملابسه وعاد مرة أخرى إلى فناء الساحة المقدسة التي تضم تماثيل الآلهة، فوجد الجميع متجهين صوب تمثال الإلهة ننماخ والنساء راكعات محنيات الرؤوس، وكبير الكهنة يضع يده على كل واحدة منهنّ ويقرأ الدعوات والتضرعات طالبا من الإلهة أن تحنو على هؤلاء النساء وأن تمنحهنّ الصفح والطهارة، وكذلك نسوة أخريات واقفات بالأروقة والممرات ينتظرنّ دورهنّ لإقامة الطقوس الدينية، كان سلطان يبحث عن نورس في ذلك المعبد ويتحرى عنها بين الغرف والممرات وبرغم الزحام والفوضى فهو وجدها تساعد امرأة كبيرة بالسن على الخروج من بناية المعبد، عندما وصل سلطان إلى نورس قال لها أين كنت فأنا كنت أبحث

عنك؟ فقالت مثلما ترى أنا أتيت مع جدتي لأبي لإقامة قدّاس الإلهة ننماخ والآن أساعدها على الذهاب إلى البيت...

فقالت الجدّة لنورس: يا ابنتي إذا تريدين أن تبقين بهذا المعبد لإقامة طقوسك فابقي،أما أنا أعرف الطريق إلى المثوى وبأمكاني أن أصله بلا مساعدة فنحن في بلاد كل شيء فيها منتظم ومحكوم بالقانون

قالت نورس: أخاف عليك من الطريق وأنت امرأة مسنّة

قالت الجدّة: لا تقلقي عليّ يا ابنتي عودي لقدّاسك فلا يحدث لي شيء وذهبت باتجاه الجنوب وهي تخطو بكسل وتعب كأنّها طفل مريض لا يستطيع المقاومة، وصارت تبتعد شيئا فشيئا حتى غابت عن الأنظار.

قال سلطان:ما رأيك لو نذهب إلى تلك السدرة(وأشار بيده إلى جهة برج بابل) نستظل تحتها ونستريح من تعب اليوم لوقت قصير

قالت نورس: لا مانع

فذهبا وجلسا تحت الشجرة وكل واحد منهم يخفي كثيرا من الأسئلة للثاني.

فقال سلطان: اخبريني عن جدتك وما الذي جاء بها إلى المعبد؟

قالت نورس: جاءت كي تتطهر من الخطايا وتغفر ذنوبها وتعود إلى مثواها، أتعلم يا سلطان أنّني كنت أحدى خطايا جدّتي وجاءت اليوم كي تتطهر منها لأنها كانت تضربني وتقسو عليّ !!!

بعد أن مرّت دقائق قليلة وهما جالسان تحت تلك الشجرة وإذا يسمعان أصواتا بشرية وقهقهات مختلطة لصبايا وشباب قادمة من بعيد تتسلل إلى أسماعهم بوضوح ويفهمانها، أصوات تغلب عليها إشارات المرح والمزاح، كأنّها زقزقة عصافير في صباح دافئ، وقف سلطان ونورس تحت الشجرة وعيونهم تتلصص وتنتظر صور الأشكال القادمة من بعيد بفارغ الصبر، عندما اقتربت وإذا بثلاثة فتيات مراهقات وشابّين بنفس أعمارهنّ يوحي على شكليهما أنّهما من جنود الملك أو حارسين في هذه المدينة، قال سلطان متسائلا يا نورس لماذا الفتيات يعجبهنّ الرجل العسكري؟ كان بظنّي أنّه فقط في زماننا نحن، أنّ النساء تستحسن الشباب العسكري وتعشق ذوي الرتب منهم، ولطالما أجدّ بنظراتهنّ شيئا من الإعجاب حين يخطفون أمام أعينهنّ؟

قالت نورس نعم فعلا فنحن النساء الكثير منّا نحب الرجال العسكريين بالخصوص أولئك الذين يرتدون الأزياء العسكرية الخضراء التي تشبه جلد الضفدع، لأنّه وبصريح العبارة نجدهم أكثر رجولة وأكثر شجاعة، والقرار دائما ما يكون بيدهم وهم من يقودون ويمسكون زمام الأمور، الفتيات يا سلطان دائما ما تبحث عن رجل تتوفر فيه صفات القوة والقيادة،وأن يكون ذا عقل وقرار، فترانا نستحسن مثل هذا النوع من البشر فقال سلطان بمعنى هل أنّ كل من يرتدي زيا عسكريا يكون بمثلما وصفتيه الآن؟ فقالت نورس لا وبالعكس نحن بصراحة كثيرا ما نسقط بسوء الاختيار وعدم الدقّة بانتقاء الشخص المناسب لذلك نصاب بالوهم جراء انخداعنا بالمظاهر أو الشكل الخارجي للإنسان، فليس كل من يرتدي زيا عسكريا تجده غيورا وشجاعا وبالعكس، فقال سلطان فعلا وأدار وجهه ونظر إلى تلك الفتيات وقد إتّجهنّ نحو الشجرة التي يجلسان تحتها سلطان ونورس وما أن وصلنّ حتى بادرت أحداهنّ بالتحية عليهما وقالت يبدو عليكما غريبين لستما من أهالي بابل وقد جئتما إلى معبد السيدة تطلبان الغفران والطهارة أليس كذلك؟ فقالت لها نورس لا إنّنا من بابل ونسكن في أطراف المدينة ولكنّ بيتنا بعيد جدا، نظر سلطان أليهنّ بنظرة متفحصة وصار يحفظ وجوههنّ ويتابع أوصافهنّ وكأنّه سرح أعجابا بجمالهنّ

وزينتهنّ وهو يرى أنّ كل واحدة منهنّ تحمل عالما أخضر أنثويا ساحرا، فالأقداد الممشوقة وسمرة البشرة وملاحة العيون ورتابة الخدود وانفلاق الصدور وعتمة الشعور أخذت بقلب سلطان وعقله، أما خطواتهنّ وميلان أجسادهنّ حين يتحرّكنّ كما السنابل الممتلأت في الريح قد ولدت في داخله عللا طيبة من الغرام والهيام، وبلا شعور وجد نفسه ذائبا عاشقا معجبا منقادا لذلك الجمال البابلي المليح، فقال للتي كانت قد حدّثتهم أنتم إلى أين ذاهبون بهذا الاتجاه؟ فقالت نحن ذاهبين إلى نهر فوراتو أنا وهذه المجموعة كي نقيم بعض الطقوس في حين سوف يذهب هؤلاء الشبّان للسباحة واصطياد الأسماك والبط البرّي، فقال سلطان وما هو نهر فوراتو فقالت نورس نهر فوراتو يعني نهر الفرات وأردفت قائلة ماذا تقول لو نذهب معهم فهم يبدو إنّهم طيبون وسوف نستمتع لو رافقناهم؟ وعلى الفور قال أحد الشبّان ويبدو أنّه سمع كلام نورس فقال تعالوا معنا وسوف نأخذكم برحلة على زورقي الصغير الموجود على ضفاف النهر وسوف أريكم القنوات والبساتين والأشجار المطلة على نهر (فوراتو) وأعلّمكما اصطياد السمك والبط البري، كان في خاطر سلطان أن يكتشف هذه المدينة شبرا شبرا ويستطلع أماكنها وزواياها ويرى أعجوبة قصورها وعمارتها وإنّ مثل هكذا عرض سوف لا يرفضه، فقال لهم نعم سوف نأتي معكم بكل

سرور، فنحن نتمنّى ذلك ومشى الجميع يرافقهم سلطان ونورس وسط الضحكات وكلمات المرح والمزاح وكأنّهم أطفال فرحون ذاهبون برحلة جميلة، نظر سلطان إلى تلك الفتاة وأراد أن يتقرب منها ويستلطفها كونها هي من بدأت الحديث معه وهي من عرضت عليه هذه السفرة الترويحية إلى نهر الفرات فصار يسرع الخطى حتى يكون بجانبها فقال لها هامسا أنت ما اسمك؟ فقالت له وقد رفعت وجناتها ابتسامة رقيقة أنا اسمي موجة فقال لها موجة؟ فقالت نعم موجة بمعنى إنّني أسكن البحر والعب على خدوده كلما هبّت الريح وأضافت يبدو عليك إنّك لم تأت مسبقا إلى هذه المدينة ولا تعرف الأماكن بصورة صحيحة؟ فقال نعم أنا كذلك فأجابته باستغراب كيف؟ أنت ألم تحضر مواعيد عيد الأكيتو والاحتفال فيه كل سنة؟ فقال لها لا

فقالت ولماذا لم تحضر؟

فقال أنا في الحقيقة كنت أعاني من مرض أشلّ جسمي وأخرس لساني فصرت لا أستطيع المشي والكلام لكنّني شفيت مؤخرا وها أنا أمامك

جاء الشابّان المرافقان لهما إلى سلطان وموجة فقالت موجة مبتسمة أُعرّفك على هاذين الجميلين هذا سيفيل المحارب الذي دائما ما يكون بطيلعة الفرسان في الحرب وهو معروف لدى أهل المدينة بشجاعته وجماله، وهذا

ساركون الصياد المعروف بسهامه وإتقانه الصيد، وهما من أبناء الجيران وهذه أيضا ابنة الجيران وصديقة طفولتي وكل سعادتي سالاريا، فقال سلطان تشرفت بكما وأنا سعيد بمعرفتي على مثل هكذا أناس رائعين، كانت نورس تسير ببطء وهي تارة ترفع رأسها تتأمل القصور الشاهقة المغطّاة بألوان لازوردية مزججة بالأزرق وأخرى صفراء وبرتقالية براقة، وكلما تنظر إلى الأعلى تأخذها روعة ساحرة من الفنّ المعماري حيث الجدران السميكة والملونة وأشجار النخيل العالية التي تلامس أسطح القصور والشرفات، ففي بابل سوف ترى أشجار السدّر والزيتون تلوح من أعالي السطوح، وعطور النارنج والبرتقال تهب مع النسائم الباردة التي تدغدغ الأحاسيس والنفوس، وهناك الأضواء والأنوار التي تخرج من كل مكان في المدينة وهي تحاكي النجوم المتلألئة والأقمار المتألقة حتى تحسب أنّ هذه القصور تنبعث منها كميات من الأضواء الفسفورية الساحرة فتخطف الرؤى والألباب، وهناك أيضا الكثير من التماثيل والرموز الإلهية ورسوم بأشكال الحيوانات الأسطورية التي تترك عند كل من يراها انطباعا روحانيا يفيض على خلجات الروح فتحسب أنّ هذه المدينة هي الفردوس التي وصفتها كتب السماء،الحدائق الكثيفة والمتنزّهات المنتشرة بين شوارعها وساحاتها تجعل منها فاتنة عظيمة تغري الحواس وتسحر

القلوب، كانت نورس قد سرح عقلها بإبداع الصانع لهذه الصروح،إلى قوة ملك المدينة ورؤيته بنهوض مملكته، فتأخرت عن سلطان والمجموعة بخطوات قليلة حتى وصلوا إلى شارع طويل بعض الشيء يفصل جهتي المدينة يتراوح عرضه بين 15 إلى 20 متر، وقفت وهي تشاهد شارعا خياليا يستحق النظر،وهناك قطعة من الحجر كان مكتوبا عليها(شارع-أي بور شابو)وقد ازدانت جدرانه العالية المحيطة بجوانبه لوحات جميلة لحيوانات مفترسة وبعض النباتات صُممت على طريقة النقوش والبناء بالآجر المقولب، والغالب منه مزجج بألوان فضّية وذهبية زاهية ومشرقة، لتصور تلك اللوحات مشاهد لصفّ من الأسود المزمجرة وهي بحالة سير إلى خارج المدينة، كانت الأسود تمثل الإلهة عشتار إلهة الحب والخصب، وقد عُملت هذه الأسود بطريقة التزجيج وبألوان مختلفة لكل أسد، حيث كان اللون الأبيض لكامل جسم الأسد ماعدا المناطق التي فيها شعر من جسمه فكانت لبّدته أي منطقة الرأس والصدر وشعر الذنب قد لونت باللون الأصفر، وأخرى باللون الأصفر بلبّدة حمراء، كانت الأسود موزعة على جانبي الشارع في كل جانب ستون أسد مرصوفة بإتقان ومشيدة بأسلوب الطلعات والدخلات وهو قريب من بوابة عشتار بل يخترقها من الشمال والجنوب، سأل سلطان المحارب سيفيل ماذا تعني

صور هذه الأسود باعتبارك من الجنود المحاربين؟ وماذا تبث في نفوسكم حال رؤيتها وأنتم ذاهبون للقتال؟ فقال المحارب سيفيل أتعلم أنّ الأسد هو رمز الإلهة عشتار العظيمة؟ وروحية هذه الربّة تعطينا إصرارا وعزما وشعورا بالحماس كونها ترافقنا في ساحات المعارك!! فتشد الأزر وتداوي الجرحى وتحمل أرواح المقاتلين عندما يموتون في ساحة القتال إلى العالم السفلي، فيا سلطان أنّ هذه الأسود المرسومة على الجدران التى تراها الآن والتي توحي بأنّها تسير إلى خارج المدينة كأنّها ذاهبة إلى معركة وهي تستعد لهجوم كونيّ هو تحذير لمن تسول له نفسه من الغرباء أن يعبث بأمن هذه المدينة أو يفكر بأن يسبب لها أي ضيق أو أذى، أذ إنّ الشراسة الأسطورية لهذه الأسود والزئير الذي يتوقعه إنّه يخترق مسامات الفضاء سوف يتمزق فيه ولا تبقى له باقية، يا سلطان أنّ هذه الصور والرسومات للأسود وظيفتها إيقاع الرعب في نفوس الأعداء وتأجيج روح الحماس عند جيوش بابل الكلدانية، وكل هذا تحت رعاية وحماية الإلهة عشتار جالبة الانتصار وحامية الجنود والبلاد، فتوردت في نفس سلطان ونورس أحاسيس الفخر والعظمة فذهبت نورس بخطوات خاشعة وعيونها تتنقل على صور الأسود مثل عصفورة جائعة أو فراشة تشعر بالاشتياق إلى خدود الأزهار، وصارت تتحسسها بكفوفها الدافئة، فجاءها

المحارب سيفيل وكأنّه صار يقرأ أحاسيس نورس ومشاعرها وقال كنّا عند كل حرب نشعر بأنّ الإلهة عشتار معنا وببركتها يكون النصر حليفنا،فقالت له نورس ماذا تعني هذه الرموز وهذه الأشكال المرسومة على الجدران؟ هل من تفسير روحي وسرمدي لها؟ وماذا يعني وجود هذين الشريطين الأزرقين المتوازيين حول كل أسد؟ وحتى هذه الأزهار البيضاء التي أراها على كل شريط؟ فقال لها أنّ الشريط الأزرق الذي يعلو هذه اللوحات يرمز إلى نهر رايدكالات- دجلة الخالد، والشريط الآخر الذي بالأسفل فهذا يرمز إلى نهرفوراتو- الفرات العظيم الذي ولدت من خيراته مدينتنا الجميلة، أما هذه الأزهار البيضاء فهذه زهرة البابونج، زهرة الشفاء ورمز الربيع والانتصار، يا نورس أنّ التفسير الروحي لها هو أنّ الإلهة عشتار تسير دوما مع جيوش بابل الذي يخرج من المدينة في طريقها للحرب، وتكون مرافقة وحامية لميسيرتها فيجريان معها دجلة والفرات ليجلبا الخير للجيش ويبعدا عنه شبح العطش خلال القتال، مانحة بذات الوقت أزهار الانتصار البيضاء ولذلك سميّ الجزء الذي يلي بوابة عشتار من شارع الموكب باسم(أشتار-لاماسو-أوماشو)معناه(عشتار حامية جيوشها)

لوحة بابلية توضح رموز إسطورية حيث يمثل الأسد المزمجر الإلهة عشتار،ويوجد الشريطان الأزرقان في الأطراف يرمزان لنهري دجلة والفرات تتوسطهما زهرة البابونج البابلية المقدسة

أما من الجزء الآخر لهذا الشارع فهو يسمّى شارع (أي- بور- شابو) ومعناه (لن يعبر العدو) أما الشارع بأكمله فهو يسمّى بشارع الموكب، نظرت نورس إلى جهة الشمال فرأت سالاريا وساركون وموجة وسلطان من بعيد وقد جلسوا جميعهم مقرفصين على شكل دائرة وكأنّهم وجدوا شيئا ويحاولون إخراجه، فاتجهت نورس وسيفيل نحوهم ليكتشفا هذه اللقيا وحين وصولهما وجدا أنهم مجتمعين حول ختوم مسمارية موجودة بجانب الرصيف منقوشة على طابوق كلسي وأخرى على أحجار بركانية حمراء التي كُسيت بها جوانب الشارع، كان سلطان ونورس لا يعرفان قراءة الخط المسماري فبادرت نورس بالسؤال إلى الحاضرين ماذا تعني هذه الحروف التي تشبه المسامير؟ فقال ساركون الصياد هذا نقش للملك نبوخذ نصر وضعه هنا ليؤكد حضوره في نهضة الحضارة لهذه البلاد، وإنّه الراعي الأوحد وحامل راية البناء والتطور والانتصار فهو مكتوب بهذه النقوش (**شارع "أي- بور-شابو" شارع مدينة بابل ردمته بقصد تعبيده لسيدي الكبير مردوخ وذلك بطبقات عالية من الردم ثم عملت فوقها طريقا مستويا برصفه بحجارة بركانية وحجارة كلسية ليكون لائقا بشارع الموكب وذلك إبتداء من البوابة المقدسة**)

شارع الموكب بين الحاضر والماضي

وهكذا صار الجميع يجدون الكثير من الأختام والنقوش الحجرية المختلفة التي وضعها الملك نبوخذ نصر على مسافات الشارع المتباعدة

قالت نورس وهي متجهة بأنظارها إلى سلطان أنظر إلى الملوك الأقوياء كيف يثبّتون قواعد المجد ويصنعون الحضارة حين تكون خدمة البلاد والناس من أولى اهتمامات الرئيس وأن حاشيته ما هم إلا وسائل مساعدة له للقيام بواجباته تجاه البلاد والرعية؟

فقال سلطان فعلا لذلك أنا دائما ما أوافق حكم الرجل الواحد الذي يرسي قواعد الحكم بلا مزاحمة ولا تشتيت من قبل نظراءه الآخرين أو أي جهة أخرى تنافسه بسلطانه، فأنّ من مساوئ الديمقراطية الحديثة أنّها تُشظّي المجتمع وتجعله على شكل فئات متناحرة تعمل على إسقاط إحداها الآخرى فتراهم يصبحون عبارة عن مجاميع مشتتة ومخدوعة برموز وشخصيات دائما ما تستخدم مختلف الوسائل لتحقيق غاياتها الدنيوية، وتنتهج أسلوب المناداة بالحرية وبالعيش الكريم، وفي الحقيقة معظمهم لا يطبقون ما يقولون.

فقالت سالاريا هيا نذهب إلى النهر ألا ترون إنّنا صرنا نضيّع الوقت؟ هيا نكمل الطريق إلى نهر الفرات قبل أن نتأخر ويفتقدنا الأهل!!فأسرعوا إلى طريق النهر وفي إثناء المسير سأل سلطان موجة ما الغاية من إنشاء مثل هكذا

شارع؟ فأنا وجدت أنّ الملك قد أولى اهتماما كبيرا برصفه وتعبيده وحفر اسمه على قطع البلاط التي عُبّد به كأنّه يريد أن ينال رضا الآلهة ورضا الإله الكبير؟ فقالت موجة نعم إنّ هذا الشارع لهو الشارع الرئيس لمدينتنا والطريق المقدّس الذي تسير عليه مواكب الاحتفالات السنوية في أيام عيد الأكيتو حيث تمرّ من خلاله تماثيل الآلهة يتقدمها تمثال الإله مردوخ العظيم رئيس مجمع الأرباب وحامي بابل للطواف حول مدينته المقدسة ويختتم إلى بيت الأكيتو الواقع خارج المدينة.

فقال لها وما هو الأكيتو؟

فأجابت هو عيد رأس السنة البابلية، وهو من الأعياد الذي تشارك فيها الآلهة والملك والجماهير، فتقام طقوس ومراسيم كثيرة تتضمن القيام بالعبادات والشعائر، وتجتمع آلهة بابل وكيش ونفر والوركاء كما يأتي إله مدينة بورسبا الإله نابو ابن الإله مردوخ ليمر هذا الجمع من الآلهة بموكب فخم على هذا الشارع فنقيم الصلوات لهم ونتلوا التراتيل ونحرق البخور ونعمل مشاهد تمثيلية درامية لواقعة بدء الخليقة ونفرح ونرقص

فقالت نورس ماذا تقصدين بأنّكم تقيمون مشاهد تمثيلية لقصة بدء الخليقة؟

فقالت موجة قصة بدء الخليقة هي القصة التي تتحدث عن بداية خلق الكون والآلهة والإنسان وكيفية تحديد المصائر

وقد خصص للأعمال الدرامية اليوم السابع من أيام عيد الأكيتو، فقالت سالاريا أتعلمان إنّ الأكيتو سوف يحلّ علينا بعد شهر واحد وأتمنّى أن تبقوا وتشهدوا الأكيتو فأنتما سوف تستمتعان كثيرا وتشهدان المغامرات والمتعة؟

فقالت نورس أكيد سوف نبقى وتحركت بطريقة سريعة ومختالة وهمست بإذن سلطان أين سنذهب اليوم وبأي مكان نبيت من اليوم إلى ما بعد شهر؟ أنت ألا تعرف ما هي الطريقة التي أتينا بها إلى هنا؟

قال سلطان بصوت عال يا أصدقاء نحن أتينا من بعيد وليس لدينا مأوى أو مكان نسكن فيه بهذه المدينة ولا نعرف فيها أحدا فكيف نبقى بعد شهر؟

قالت موجة وساركون نحن سوف نتكفل بهذا الموضوع سوف تكونان في ضيافتنا من الآن إلى ما متى تطيب أنفسكما بالرحيل فماذا تقولان؟فأبديا الموافقة وقالا لهم سوف نكون معكم إلى حتى نهاية عيد الأكيتو، كان سلطان ونورس قد أعيتهم أعجابا مروءة وطيبة هؤلاء الشبان البابلين ومع كل ثانية يحدث أمر ما فتراهم يتفاجئان برقّة التعامل وعذوبة الأسلوب حتى أنّهما تيقنا أنهما يتعاملان مع نموذج بشري عاقل وفاهم ومتطور...

وصل الجميع إلى سور عال يرهق ارتفاعه العيون تتوسطه بوابة خشبية كبيرة لا تختلف بالوصف كثيرا عن بوابة عشتار يحرسونها مجموعة من الجنود ويعتليها

آخرون موزعون على جوانب سطحها وهم مدججون بالسلاح ويبدو عليهم إنّهم مستعدون لمواجهة أي خطر يتسلل من خلال هذه البوابة، تقدما سيفيل المحارب وساركون الصياد بخطى سريعة حتى وصلا الحراس ودار حديث قصير فيما بينهم تعالت فيه ضحكاتهم وأصوات مزاحهم ويبدو أنّ سيفيل وساركون هم أصدقاء أولئك الحرس ويعرفون بعضهم فذهب أحد الحراس وفتح البوابة وأشار للجميع بالخروج.

خرج الجميع وإذا بالفضاء أوسع خارج المدينة، والطبيعة تهيمن بسحرها،فنهر الفرات كان مهللا باستقبالهم ويقبّل عيونهم بالنسيم البارد التي يمرّ على مويجاته وعلى تراب جروفه السمراء، فالتلال العشبية المنخفضة تعطي لونا أخضر شفّاف على مياهه، وأشجار الصفصاف والنارنج والنخيل تجعل لرؤية ضفافه بريقا عراقيا ساحر، كانت هناك مجموعة من النساء يغسلنّ الأفرشة والأغطية وأخريات يغسلنّ الأواني والملابس وقد غاصت أرجلهنّ في الماء إلى حدّ الركبة، وهناك مجموعة أخرى تنشر الشراشف والملابس على الأشواك وعلى أغصان الأشجار وقد بانت أجزاء من أجسامهنّ بلباسهنّ القصير الذي ليس فيه أكمام ولا خشونة، وأصوات الأطفال وضحكاتهم تصخب الأجواء وتنشر عطرا عائليا على أرجاء الأماكن، الصياديون يحملون شباكهم وهم يمخرون على زوارق

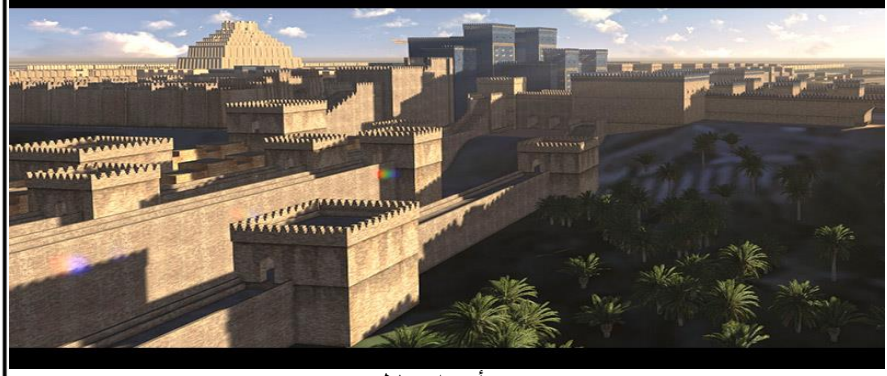

أسوار بابل

صغيرة وهم عراة الأجسام إلا بعض قطع القماش الأبيض التي تستر عوراتهم، والطين قد لطّخ صدورهم وأذرعتهم وأكثر مما ترى عند بوابات بابل حركة الداخلين والخارجين من التجار والزائرين وأهالي المدينة تجري بشكل منتظم...

وقف سلطان على مرتفع ترابي صغير ورفع رأسه كي يكتشف أبعاد السور الكبير يتابع مدى طوله من الجهة التي يقف فيها، فلم يستطع كون أن السور ممتد إلى أبعد ما تدركه عيونه لكنّه قرر أن يجعل ساركون وسيفيل يأخذانه برحلة نهرية على الزورق ليطوف حول هذه المدينة، فبابل كانت محمية إضافة إلى أسوارها العظيمة بالخنادق والقنوات المائية من جميع جوانبها.

جاء ساركون الصياد ومعه زورق خشبي متوسط الحجم وقد أحضر بعض شباك الصيد المصنوعة من الخيوط والقصب وقال هيا أركبوا فركب سلطان وسيفيل أما نورس فقد بقيت مع موجة وسالاريا ومجموعة من نساء المدينة عند ضفاف النهر وقد أتجه أولئك الشباب على زورقهم إلى جنوب المدينة.

أحاطت بنورس مجموعة من الفتيات المراهقات وبعض النساء من جيران موجة و سالاريا وصرنّ جميعهنّ يرحبنّ بنورس ويتطلعنّ في وجهها وقد عرفنّ إنّها ليست

من هذا الحي وصرنّ يسألنها عن سكنها وهل أنّها تقرب لموجة أو سالاريا وقد صارت كلمات الحفاوة والمزاح معها تتعالى،بقين تلك النسوة عند النهر بصحبتها إلى ساعات الغروب كون إنّ سكان بابل كانوا دائما ما يذهبون إلى نهر الفرات ليتزودوا من خيراته وحنانه ويحصلوا على الماء منه،حتى صارت الشمس تغيب ويغمض عينيها غروب بابلي أمين،حيث أطلال القصور الشاهقة التي بدأت تتلاشى بأعين المارّة، ومشاعل الحدائق المعلقة من فوق الأسطح قد تمّ إيقادها وأوشكت بوابات المدينة والمنازل أن تغلق...

كان سلطان وساركون وسيفيل لم يأتوا بعد وقد تأخروا حتى أظلمت السماء، وقفت نورس عند بوابة المدينة وقد تخلّفت عن النساء الآخريات اللائي غادرنّ إلى بيوتهنّ وقد صار الفضاء في ظلام دامس وجميع الناس رجعوا إلى بيوتهم، أما نورس فقد بقيت واقفة عند تلك البوابة ولم تذهب لأي مكان!!وكيف تذهب وسلطان لم يأت أو تغادر وفي قلبها حاجة لرؤية رفيقها في هذه المغامرة؟

ذهب الجميع وأُغلقت البوابة حتى موجة وسالاريا ذهبتا إلى بيوتهنّ بعد إن تعبتا من التوسل بنورس كي تذهب معهما إلى حين عودة سلطان، لكنّ نورس أصرّت على البقاء عند البوابة بانتظاره

بعد إن هدأت الأصوات وأُغلقت الأبواب جلست على بلاطة كبيرة وقد وضعت كلتا كفيها على خديها وكأنّ الحيرة صارت تتفشى في روحها وبدأت ذكرياتها تستيقظ،فحين يشعر الإنسان أنّه وحيد وغريب في لحظة ما؛ تتولد لديه الأحاسيس المجروحة، وتنبعث قطرات الندم والخوف في خواطره وآماله، أما إذا كانت تلك الوحدة والمشاعر السلبية متوقدة باشتياق لإنسان عزيز أو فقد لحبيب مسافر أو صديق غائب فأنّك سوف تدخل في غرف العذاب وتشرب من زعاف الوجع.

أغمضت عينيها بأمل حزين ووضعت يدها اليمنى على قلبها وإنحنى ظهرها كالهلال وكأنّ رياح الجنوب البابلية صارت تأخذ معها أنفاس نورس ونبضات أيامها الراحلة وبدأت تستذكر بعضا من مشاهد الطفولة التي قد ولّى عليها الزمن، وعفت فوقها رمال الرحيل، غير أنّها تركت في قلبها آثارا ونقوشا ليس من السهل نسيانها أو تكون ضمن الأحداث المطوية أو المندرسة تحت كثبان الماضي حتى مضى الوقت وسكنت البيوت...

وفجأة سمعت نورس أصواتا وغمغمات تأتي لها من خلف الجدران والبوابة جعلتها تصحو من رحلة الذكريات وتنتبه لما حولها وإذا بهم سلطان وساركون وسيفيل قد وصلوا عند بوابة مدينة بابل وهم يضحكون بأصوات عالية، قامت نورس من على تلّك الحجرة التي كانت جالسة عليها

ووقفت على عتبة البوابة وقالت لسلطان أين كنت؟ ولماذا تأخرت وقد إظلمّت الدنيا والجميع قد ذهب إلى بيته وأسرته وبقيت أنا هنا وحيدة ليس لي مكان أذهب له ولا أعرف ماذا حصل لك وأنت بعيد،ونحن أغراب بهذه البلدة ولا يعرفوننا الناس هنا؟ قال سلطان أنا أعتذر جدا فقد سار بنا الزورق حول المدينة ودخلنا جميع الأنهار والقنوات والخنادق المائية المحيطة حولها، وبقينا نصطاد السمك حتى مضى الوقت ولم ننتبه إنّنا تأخرنا كثيرا!! نظرت له نورس بعيون مشحونة بالغضب وقالت ألم تتذكر أنّك قد تركت فتاة جاءت معك وإنّها لا تعرف شيئا في هذه المدينة يا أحمق؟ضحك سلطان وقد أحسّ بشيء من النشوة وهو يرى أنثى غاضبة وكلّما تغضب تزداد حلاوة وجمالا، وكرر الاعتذار واعترف بأنّه أخطأ بهذا التأخير وصار الجميع يمشي بإتجاه الدور السكنية الواقعة خلف القصور الملكية بخطوات متعبة

أسرّت نورس بصوت خافت سلطان قائلة: وإلى أين سوف نذهب ونبيت عند من ونحن لا نعرف الناس هنا؟ فقال سلطان لا تخافي يا نورس فنحن سنبقى هذه الأيام في بيت ساركون!!! فقالت له وأنت كيف اتخذت هذا القرار هل اتخذته بنفسك؟ فقال سلطان عندما ذهبنا نصطاد في نهر الفرات ودرنا حول المدينة وصلنا إلى إحدى بوابات

المدينة تسمّى بوابة مردوخ فوجدنا العم تراكسيس أبا ساركون عندها وهو تاجر معروف في مدينة بابل وقد عرّفني عليه ساركون وحكى له حكايتنا وأطّلع على أمرنا فبادر هو بنفسه بدعوته لنا وقال لي إنّكم سوف تشرّفوننا اليوم بالضيافة وشدد على ساركون بألا يتركنا نذهب إلى أي مكان آخر، وبكل الأحوال يا نورس نحن سنذهب لعندهم لأنّه لا يوجد لدينا مأوى أو مكان نذهب إليه؟ فقالت نورس وهو كذلك لكنّني خائفة بعض الشيء فنحن لا نعرف هؤلاء الناس وليس لدينا معرفة تامّة وكاملة عنهم وعن طبائعهم وعاداتهم وسجاياهم؟ فقال سلطان لا تخافي يا نورس فهؤلاء البشر ناضجون وفاهمون تحكمهم القوانين ويعيشون وفق نظام اجتماعي لا يسمح لهم بالاعتداء على أي شخص، فهؤلاء السكان ليس كما صورتهم الكتب التافهة وليس صحيحا إنّهم عاشوا عصر الجاهلية والتخلف مثلما قالوا عنهم، يا نورس أنّ زمننا نحن هو زمن الغاب والفوضى، زمن التخلف والقتل والأرهاب وليس هذا الزمن؟

قالت نورس وهل سنأمن معهم ولا يسببون لنا مكروه أو تعرّض؟

قال سلطان لا تخافي فهذه المدينة يقصدها الناس من كل حدب وصوب، ويحرصون على زيارتها والعيش فيها،

فدعينا ننظر إلى قادم الأيام بعيون التفاؤل لعل هناك أشياء جميلة تنتظرنا؟ فقالت له نعم أوافقك الرأي...

كان ساركون وسيفيل يسترقان السمع من كلام نورس وسلطان وهما يبتسمان كأنّهما عرفا حيرتهما لكنّهما لم يتدخلا أو يشاركا برأي أو كلام، كان الظلام قد غزا المدينة بشكل كامل وفرغت الشوارع والساحات والأفرع فلا ترى فيها سوى المشاعل والأبواب المغلقة وبعض الأضواء المتسربة من الشبابيك، وكان هناك بعض العاملين في الحانات والملاهي بدأوا يرتّبون وآجهات محالهم فتراهم يدخلون ويخرجون بشكل متقطّع.

وصل الجميع إلى بداية الحيّ الذي يسكنه ساركون فلاحت لهم أضواء البيوت المنسقة بشكل أفقي مستقيم، وقد كانت تلك البيوت أقلّ ارتفاع عن مساحات القصور الملكية حتى أنك بمجرد دخولك إلى ذلك الحي ستشعر بانخفاض الأرض عن منطقة قصور الملك والحكم، وصل الجميع إلى بيت ساركون ويبدو من خلال الأضواء والجدّران العالية إنّه بيت كبير أو حارة كبيرة وهناك أصوات لأناس كثيرين بداخله تتسلل واضحة إلى أسماعهم، فسأل سلطان ساركون قائلا أعتقد إنّه يوجد عندكم ضيوف يا صديقي؟ وأحسّ سلطان بشيء من الخجل خوفا من أن يكون هو ونورس ضيفين ثقيلين، فقال ساركون لا يا سلطان ليس ضيوفا وإنّما بيوتنا معظمها هكذا تعج بالضجيج والصياح

كوننا نعيش في بيوت عادة تكون على شكل مجمعات مصغرة تسكنها عوائل متعددة في البيت الواحد، فقالت له نورس بمعنى إنّ هذا بيتكم أشبه بالحارة وتوجد فيه أكثر من عائلة يعيشون سويا؟

فقال نعم نحن نعيش في مجمع سكني كبير على شكل حارة تقطنها مجموعة من العوائل وتسمّى حارتنا هذه حارة (كادنكررا) وكل واحد منّا له مكانه ويعرف مدى الحدود التي يجب ألا يتعدّاها، والواجبات التي عليه القيام بها دون أن يكون هناك تأثير أو مزاحمة أو مضايقة فيما بيننا

يا نورس لا تخافي فكل فرد في هذا البيت ملتزم بحدود وأخلاق لا يمكن تجاوزها أهمها احترام الضيف وإكرامه.

مدّ ساركون يده وطرق الباب الخشبي بقوة ففتحه صبيّ صغير أسمر اللون وعلى ثغره مرسومة ابتسامة عريضة فقال ساركون أعرّفكم على أخي موكاليم آخر العنقود وحبيب أمه، فسلموا عليه وقام موكاليم بتقبيلهما وقد بانت على وجهه إشارات الخجل فهو قد تفاجئ بوجود أناس واقفين على الباب لأول مرة يراهم، فقال ساركون أذهب ياموكاليم بسرعة إلى أبي وأبلغه أنّ الضيوف قد جاؤوا،فذهب موكاليم مسرعا ودخل الجميع وقد نزلوا عدة درجات أسفل الباب فواجههم بهو صغير مستطيل الشكل وقد وضعوا فيه حمّاما صغيرا ومغاسل وأباريق للماء أعدت للغسل ولتنظيف الأيدي والأقدام، نظر سلطان إلى

أقدامه فرأى بعض الطين المتيبس بين أصابع أقدامه، وبعض الطين الأسود قد لطخت به ثيابه، فتحرك صامتا وتناول إبريقا وغسل أقدامه ويديه ومسح الطين عن ثيابه وقال لساركون جميل جدا وجود مثل هذا البهو المعدّ للاغتسال في بداية البيت، هل أنّ جميع البيوت البابلية مصممة بهذا الشكل؟ فقال ساركون لا ليس جميع البيوت هكذا، فكل بيت في هذه المدينة متعلق بمكانة صاحب الدار المادية ووضعه الاجتماعي وعدد أفراد العائلة وصار يتقدّم بخطوات أمامهم متجها لغرف البيت الآخرى وكأنّه يقول اتبعاني، فدخلوا غرفة ثانية مفروشة بحصيرة مصنوعة من القصب وبعض الكراسي من الجرّيد، وأيضا في تلك الغرفة توجد نتوءات وأفاريز واضحة هنا وهناك تتخللها مشاكي ومشاعل للإنارة، وفي نهايتها يوجد باب خلفي يفضي إلى ساحة كبيرة عبارة عن فناء مكشوف تنتشر على جوانبها الأشجار والنباتات المتسلقة ضلالها الوارفة، ومعظم أرضية تلك الساحة كانت مفروشة بالعشب الأخضر التي تفوح منه رائحة طيبة، كان هناك الكثير من الأطفال الذين تراهم يتسابقون ويمرحون بين الأشجار، ويركضون في فناء تلك الساحة وتسمع لهم ضجّة وقهقهات عالية، وكانت هناك الكثير من النساء والصبايا والرجال وهم على حركة وانتقال بين الغرف والممرّات، وما إن خطوا بخطوات معدودة فوق العشب

الأخضر وإذا بموجة وسالاريا وبعض الفتيات أتينّ إلى نورس وسلطان وهنّ يرحبنّ ويهللنّ بهما بحرارة، فقالت موجة لنورس قسما إنّني خشيت عليك كثيرا حين بقيت لوحدك عند تلك البوابة خاصة عندما مضي الوقت وأنتما لم تحضرا؟ قولي لي لماذا تأخرتم هكذا؟ هل حدث لكما شيء؟ قالت نورس لا لم يحدث شيء لا تقلقي فقط خفت واستوحشت كوني بقيت وحيدة لا أكثر، وختمت كلماتها بابتسامة ساخرة وهي تنظر إلى سلطان!!!فقمنّ تلك الفتيات واصطحبنّ نورس معهنّ إلى داخل إحدى الغرف المخصصة للنساء، أما سلطان فبقي مع سيفيل وساركون وقام الأخير باصطحابه الى الجناح الذي يسكن فيه هو وعائلته، كان الجميع ينظرون إلى سلطان وهو يمشي بين الممرات والغرف والعيون تحملق عليه كأنّه يحمل في وجهه علامة غريبة

كان العم تراكسيس وموكاليم وشباب آخرون لم يعرفهم استقبلوا سلطان بحفاوة وترحيب وقد أقام العمّ تراكسيس وليمة متواضعة على شرف الضيوف الجدد، كانت غرفة الاستقبال محاطة جوانبها بالأرائك الخشبية، وأرضيتها مفروشة بحصران من القصب وهناك منضدتان مصنوعتان من جذوع النخيل قد وضعت عليها كؤوس وأباريق للشراب، وفي منتصف الجدران توجد نتوءات تحتوي على المشاعل والأسرجة التي تنير المكان وتملأه

بالضوء، وما يزيد المنظر بهجة وجمالا أنّ جدران تلك الغرفة مطلية بالطين الأحمر، كما تشاهد الكثير من الزخارف والرسومات التي توحي أنّها رسومات للآلهة ورموز مقدسة، فحين رؤية تلك الرسوم والتصويرات المقدّسة على الجدران تذكر إنّ هذه العادة مازال العراقيون يحافظون عليها فلا يوجد بيت في العراق الحديث إلا وتوجد فيه مجموعة من الصور المقدّسة سواء أكانت لأئمة أهل البيت أو صور للكعبة أو صور لكلمات الله أو أحد أسماءه، فهم يعتقدون أنّ وجود هذه الرموز والصور في البيوت تجلب الحفظ والأمان والبركة لهم...

جلس سلطان على أريكة مستطيلة وجلس بجانبه العمّ تراكسيس وبدأ يقدم له الماء بإناء فخاري بكلتا يديه كإشارة للاحترام والترحيب وهو يسأل سلطان عن بلاده وعن حالته الاجتماعية وكيف وصل إلى مدينة بابل، وصار يستلطفه بجميع أنواع اللطف، غير أنّ سلطان اضطر أن يكذب عليه في بعض الأجابات خوفا من أن يُكشف امره، وما أن مضت دقائق حتى جاء موكاليم وافترش خوانا مصنوعا من خوص النخيل ووضعوا عليه أشكال الأطعمة والأشربة، يتوسطه ديك رومي حنيذ، كانت تلك العائلة ما هي إلا نموذجا حسنا من العوائل البابلية الآخرى التي تتحلّى بهذه الصفات الرائعة.

بعد إتمام تناول العشاء ومضت ساعة من الزمن قال العمّ تراكسيس لسلطان هيا نذهب إلى فناء الحارة كي أعرّفك على بقية الساكنين فيها ونتسامر ونغنّي كما نفعل كل يوم؟ فقال سلطان نعم أتمنى ذلك وقام الجميع إلى الفناء الذي يتوسط الساحة الكبيرة حيث الجميع متواجدون هناك...

الحارة كانت تسكنها ما يقارب خمس عوائل وكل عائلة كانت تتكون على الأقل من سبعة إلى عشرة أنفار، لذلك كان البابليون يسعدون بكثرة الإنجاب خاصة إذا كان من الذكور، والعائلة التي كانت تنجب سبعة أولاد هي العائلة المثالية التي تغمرها بركات الآلهة كونهم يعتقدون أنّ الزواج هو أمر بيد الإنسان، يستطيع التحكم به، لكنّ إنجاب الأطفال أمره بيد الآلهة، وهي التي تتحكّم في وهب الذرية لمن تشاء كما جاء في مأثور أقوالهم :-**(إنحنِ لإلهة مدينتك التي سوف تهبك الذرية)** فهم كانوا ينصحون بأنّ على المرء أن يقدم الولاء للآلهة لأنّه سوف يحصل على ما يتمناه ويرغب فيه وأهمّه هو أن تمنحه الآلهة الذرية، أما الطمع بالمزيد أن ترزقه الآلهة أولادا أقوياء شجعانا، فهم يقولون من باب الدعاء بأن تهب الإلهة(عشتار) أولادا أقوياء حيث يقولون لها في بعض التراتيل

(هل يمكن أن تجعل الإلهة عشتار الزوجة ذات السيقان الدافئة أن تضطجع لك؟
هل يمكن أن تمنحك أبناء أقوياء؟
هل يمكن أن تبحث لك عن مكان للسعادة؟)

فأفكار المجتمع البابلي الكلداني عن الزواج والإنجاب تختلف تماما عمّا يفكر به سلطان أو ما هو مقتنع به، وكأنه قد أسرّ في قلبه خفية ألا يسأله أحد عن موضوع الزواج والإنجاب.

كانت الساحة التي يلتقي فيها ساكنو الحارة قد امتلأت بالرجال والنساء والأطفال وأنّك لتسمع لهم قهقهات وضجيجا فهم قد اعتادوا على مثل هكذا لقاءات بل وأصبحت من العادات اليومية التي يواظب عليها الكلدانيون فكانوا دائما ما يقضون لياليهم بالأنس والغناء، فترى الرجال متقابلين والحديث الطيب يجمعهم وترى النساء مشغولات بسماع القصص والطرائف فيما بينهنّ والأطفال دائما ما يكونون أصحاب الصوت العالي والضحكات الصاخبة والصراخ الذي يطغي على المكان،وحتى الكلاب والقطط تشاركهم هذا السمر، فترى الكلاب بأطراف الساحة وهي تراقب بدقة عالية كل إناء تفوح منه روائح الطعام حين كانت تنتقل لهم من الآواني المملوءة بالأكل ومن بين الكفوف والأفواه، وطبعا إنّ

الكلب الذي يكون ذو حظ سعيد هو الذي يحظى بلقمة تبقى في إناء ما

بعد مضي ساعتين من هذا الاحتفال اليوميّ قمنّ ثلاث فتيات من بينهنّ سالاريا الفتاة السمراء وأحضرنّ كل واحدة منهنّ آلة موسيقية" طبلة صغيرة وقيثارة ودفّ"، وحين وصولهنّ لمكان الاجتماع ورأى الشباب هؤلاء الفتيات يحملنَّ تلك الآلات الموسيقية صرخوا مبتهجين والسعادة واضحة على وجوههم وبسرعة عملوا لهنّ مكانا وسط المجلس.

كانت هناك من بين النساء مليكة جميلة قد وضعت بعض الزينة على وجهها وقد بانت الألوان الخضراء التي نقشت على أجفانها كضلال ساحر يتعانق من خلال ضوء القمر الذي ينير المكان،تراها أنّها ذبحت عينيها بخطوط قاسية من الكحل البابلي الطويل، فتشاهدها كغزالة المها التي تأسر عيون من يراها، كانت فتاة مختلفة كونها ذات بشرة بيضاء فضية، وشعر ناعم كالحرير كأنّه شلال أسود يتماوج من أعلى رأسها إلى أسفل مؤخرتها.

صار الجميع يهتف بنبرات عاشقة توحي بالحب والرجاء بأن تغني لهم تلك الفتاة الجميلة وتطربهم بصوت أنثوي عذب، ويبدو أنّ سكّان الحارة قد اعتادوا على سماع غنائها وهم دائما ما ينتظرون ساعات الليل تهبط على

المدينة حتى يجتمعون حولها ويسكرون بصوتها الرخيم تحت أجنحة الليالي المقمرة.

تقرّب سلطان إلى مكان العازفات فرأها عن قرب وإذا هي موجة التي رافقتهم برحلة النهر!!! رأها تمشي بهدوء وسكينة وقد لبست ثوبا أبيض فضفاضا وناعما وقد لفّت شعرها بقطعة قماش بيضاء كانت تستخدم للزينة حيث ربطت بها ضفائرها وذؤابات شعرها الأمامية، فجلست بين تلك العازفات وبدأت أوتار القيثارة ترنّ بين أصابع سالاريا بلحن رومانسي هادئ وساحر كأنّه ذوبان إلهي صار يتفشّى إلى القلوب ويسكرها نشوة وغرام، كانت تلك الألحان تشاركها نقرات رقيقة من طبلة فخارية وبعض النبضات الموسيقية من دفّ صغير، بدأت موجة تغنّي بأعذب الأحاسيس وأجمل الكلمات فترى الجميع قد سكروا عشقا وذابت خواطرهم بطعم صوتها الحنون، وفي لحظة هذا الرحيل مع الغرام والنغم وإذا بسلطان شعر أنّ هناك جسدا دافئا ويدا رقيقة تلتصق به وتفوح منها رائحة الغزل والأنوثة فالتفت وإذا هي نورس جاءت متخطية من بين ذلك الزحام إلى جنب سلطان ومسكت يده بهدوء، فقال لها يا نورس اسمعي صوت هذه الساحرة ما كنت أعرف أنّها موجة فصوتها جميل جدا؟

قالت نورس إنّها رائعة، وصار الجميع يهزّون برؤوسهم طربا ونشوة وهم يسمعون كلمات الأغنية التي تقول :-

سَأكونُ مُطِيعَة لكَ

سَأُوليهُ اهتِمَاما جَمّا...سَأُراقِبهُ

هل الفَتَى مَحبُوبِي؟

لا يَعرِفُ الفَتَاةَ التَي تُرَاقِبهُ؟

أنا مُنجَذِبَة كَثِيرا لكَ

أنا لم أخدَع أيُّ شَخص مِن قَبلُ

البَهجَةُ تَغمِرُنِي

اسرِع إليَّ أيُها المَحبُوبُ

عِذُوبَتِكَ جَعَلَت قَلبِي يَرقِصُ

بَقِيتُ أدعُ نَفسِي لِتَنسَى مَا كُنتُ عَازِمَة على قَولِهِ

لَيسَ لَدَيَّ سَيطَرَة على أَفكَارِي... كَما في حُلِم

أنا مُتَفَتِحَة وَمُزهِرَة وَمُعَافَاة...إلَهِي مَعَي

أُنَاشِدُكَ مِثلَ زَوجَة...حَتى لا أَتَضَرعُ

أَنا أُفَكرُ بِكَ بِاستِمرَار

أَنا ذَابِلَة... مُتَزَلزِلَة... مُعَذَبَة

مَرة أُخرى أَتُوقُ إلَيكَ

لقد تَرَعرَعتُ أَكثَرَ من أَيِ وَقت مَضَى
ثمَّ رَأَيتُ وَجهَكَ...أَنتَ إِلَه

أَنا أَتَوَجَهُ إليكَ...دَع قَلبي يَفرَحُ

أَنتَ مَن يَجعَلُني أَشعرُ أَنَّني مُتَجَدِدَة
وَأَقسِمُ أنَّ مُحِبة تَنتَظِرُكَ بِصِدق
أَنا اختَرتُ أَن أَكُونَ مُطِيعَة لكَ
في الحَقِيقَةِ إنَّ هذهِ المَرأةَ المُتَرَقِبَةَ مُنَاسِبَة لكَ
ثِمَارِي لَيسَت أَشياء يُمكنُ تَجَاهِلُها
سِحرِي ليسَ شَيئا يُمكِنُ أن يُؤخذَ بِسُهولَة
سَأكُونُ مُنَاسِبَة لكَ...سَأكُونُ خَاضِعَة...

مَهرِي هو حُبُكَ لي
العَاشِقُ يَجلِبُ الحَظَ إلى من يُحِبُ
النِسَاءُ اللائي يُثَرثرنَّ عَنّي ليسَ لدَيهنَّ من يَرعَاهنَّ لِيلا وَنَهَارا
عَسَى أنَّ قَلبَكَ يَنَعمُ بِالمَوَدَةِ
عَسَى أنَّ قَلبَكَ لا يُصَدّقُ أَكَاذِيبَهم

Eanstitre

كان الجميع مستمتعين ويشعرون بلذة الطرب والهيام، فالبابليون أصحاب ذوق رفيع وأحاسيس تنبع فيها أمواج المشاعر والإنسانية حتى تحسبهم دعاة مبشرين بالسعادة والسلام، فمضت ساعات ساحرة وجميلة من عمر نورس وسلطان وسوف يسجّلونها في دفتر الذكريات السعيدة، وما أن شارفت تلك الجوقة على الإنتهاء من هذا الحفل وبدأت العيون يغمضها الوسن وإذا بصوت عال وصراخ مرعب لطفلة صغيرة، صراخ يأتي من مؤخرة الساحة التي يجتمعون فيها لطفلة انقلب عليها مشعل مملوء بالزيت واحترقت يدها وأجزاء من رجلها، صار الجميع يركضون مرعوبين إلى تلك الطفلة فوجدوا أمّها تحاول إطفاء النار المتوقدة في جسدها، فكمية الزيت الموجودة في ذلك المشعل كانت كافية لإحراق أي شيء يقترب منه وكانت الطفلة ترتدي ثيابا خشنة وقوية وهذا ما ساعد على إذكاء النار فيها أكثر.

في تلك اللحظة والجميع مرتبك ولا يعرفون التصرف بسرعة لإطفاء النار وإنقاذ حياة الطفلة ركضت نورس إلى أطراف تلك الساحة وعملت من ثوبها كيسا وملأته بالتراب ورجعت به مسرعة ثم رمته على النار التي مازالت تأكل في جسد الطفلة فأطفئتها على الفور!!!

بعد ذلك قامت أمّ تلك الطفلة وركضت هي وزوجها بطفلتهم المحترقة إلى بيتهم الواقع جنوب الحارة بقلوب

واجفة ودموع هاملة ولم يبق خلفهم سوى آثار الزيت ورائحة اللحم المحترق مما جعل الجميع يشفقون أسفا ويتحسرون وجعا على تلك الطفلة المسكينة وصار هناك لغط وكلام ولوم، فمنهم من يقول السبب بأمها لأنّها لم تنتبه لطفلتها ومنهم من يقول أنّ أبا الطفلة قد ارتكب عملا سيئا وعاقبته الآلهة عليه ومنهم من يقول أن تلك الطفلة مشاغبة وكثيرة الحركة وصار الجميع يبحث عن مبرر يسكن به روعه من هول منظر الفتاة وهي تحترق.

عندما كانت نورس تركض وهي تحمل التراب كي تطفئ به النار كانت تتقافز في مخيلتها ذكريات وصور حدثت معها عندما كانت في مرحلة الطفولة!!تتذكر أنّها تعرّضت للحرق وشعرت بمدى الألم الذي أصاب هذه الطفلة وعرفت بإحساسها الذي كان يتلوى ويتألم مع كل ثانية تمرّ والنار مشتعلة في جسدها الرقيق، تركض وتتذكر إنّها عندما كانت في الخامسة من عمرها حين كانت المواقف القاسية تتوالى على قلبها وتطعمها مرارات الحزن وهي مازالت طفلة لم تبلغ الرشد بعد.

حيث تتذكر إنّ أباها كان يتكلم مع زوجته أم نورس عن تصرفات أهله معه وكيف كان أخوه الذي يصغره سنّا قد تمادى وقلّل من احترام أخيه الكبير قبل يوم مضى لإجل سبب تافه، وصار يشكو لزوجته موقف أخيه الذي أحسّ

من خلاله إنّه تعرّض للإهانة وعدم الاحترام وهذا ما ترك في قلبه جرحا قاسيا لا يستطيع كتمانه، في تلك اللحظات كانت نورس الصغيرة تستمع لكلام أبيها وفي قلبها تتولّد جمرات من الأسى والحرقة، وقد غضبت كثيرا من عمّها الذي أساء لأبيها وصارت تشارك أحاسيس أبيها المكسورة بحسرات تنفثها الروح والمشاعر، فالأب بالنسبة للفتاة خطٌّ احمر لا يمكن الاقتراب منه أو المساس به، وعلاقتها به علاقة حب صامتة لكنّ امرها ينكشف بأول فعل أو موقف حزين يقع على ذلك ألمحبوب، فنورس قد أسرّت غيضها بقلبها وامتلأت دواخلها بحقد بريء على عمّها، وما أن مضى يوم واحد حتى ذهبت نورس إلى بيت جدها القريب من بيتهم ورأت عمّها الذي ترك في قلبها شيئا من البغض والغيظ لأنّه قد أساء لأبيها يوم أمس، فجاءته بخطوات قلقلة ونظرت له بعيون يقفز منهما الغضب والعتب وقالت له: أنت لماذا لم تحترم أبي يوم أمس وسببت له ألما وحزنا لأنك أحمق ولا تعرف كيف تحترم أخيك الكبير؟

نظر عمها لها باستغراب ودهشة وكأنّه استطلف كلماتها العفوية وأعجبته ملامحها السمراء الغاضبة فقال لها:وكيف لم احترم أباك؟على العكس أنا أحب أباك فهو أخي الكبير

قالت له: لا أنت أحمق وقد آذيت مشاعر أبي يوم أمس أنا أكرهك كثيرا.

فقال لها: وكيف عرفت؟قالت له:أمس سمعت أبي يحكي لأمي بأنّك أّسأت الأدب معه وتجاوزت الاحترام والتقدير بسبب عصبيتك وتوترك المفتعل الذي ليس له من داعٍ!!

قال لها: أغربي عن وجهي الآن وصاح بوجهها بصوت عال مملوء بالغضب والحقد، فشعرت نورس بالخوف وبشكل لا إرادي وجدت أقدامها تركض بها خوفا ورجعت إلى بيتهم خلسة وهي تشعر بالرضا لأنها تعتقد قد أّخذت بثأر أبيها من عمّها المتهور، وما أن مضت دقائق قليلة حتى طُرقت باب بيتهم بضربات قوية ومتلاحقة مما جعل كل من في الدار يُذهل ويقفز من مكانه، وبسرعة ركض أبو نورس ونورس ليران من في الباب وإذا به عمّها واقف على عتبة الباب وعيناه تقدح بشرارات الغضب وقال لأبي نورس: أما تستحي أنت؟ ألا يوجد بداخلك خجل كي تتكلم عنّي بالسوء لزوجتك؟

فقال أبو نورس أنت عن أي شيء تتكلم؟ فما تقوله غير صحيح لأنّه متيقن أنّه لا يوجد أي شخص في الغرفة عندما حكى لزوجته عن تصرفات أخيه...

فقال له: لا إنّ نورس قبل قليل كانت في بيتنا وحكت لي كل شيء وبالأمارة أنّها شتمتني وتفوهت بكلمات غير

مهذبة، وأردف قائلا أما تخجل أن تقول عنّي هكذا وأدار وجهه ورجع لبيته!!

نظر الأب لنورس وقال لها لماذا ذهبت له وحكيت الذي دار بيني وبين أمك؟ وصار يتوعدها ويركض خلفها ليضربها عقابا على ما فعلت فتعالى صوته وأمسك بها وبدأ يضربها على وجهها وظهرها وكفوفها بكل قسوة وكأنّ ذّلكّ الأب تحول لوحش ضاري وبين كفيه تلك الطفلة البريئة تتقلب بضرباته وصفعاته، حتى أنّ أمّها لم تستطع تخليصها منه أو تنقذها منه كونه فقد عقله ورشده وصار لا يدرك ما يفعل وفي نهاية المطاف ذهب مسرعا إلى غرفة الملابس ونورس بين يديه تبكي وتصرخ فأخرج يشماغا بليدا كان يستخدمه في العمل وسحب نورس معه إلى فناء البيت وأشعل ذلك اليشماغ على جسد نورس!!! مبالغا بإنزال العقوبة عليها لأنّها سببت له الإحراج والخجل مع أخيه، حتى صار اليشماغ يشتعل فاحترقت أجزاء من قدميها ويديها.

كانت أمّها تقاتل حتى تخلّص ابنتها من براثن هذا الأب القاسي وصارت تصرخ بأعلى صوتها وتدفع بيديه عنها وهي تبكي وتسترحمه بأنّ يعفو عن نورس وما أن بدأت النار تسري أكثر على جسم نورس وطفحت بقع من جلّدها المحترق أسرعت أمّها ولقفت جسد ابنتها من بين يديه

وركضت بها إلى غرفة أخرى في البيت وأقفلت الباب بالمفتاح.

كانت نورس قد اقتلع قلبها الخوف وشتتت تفكيرها قسوة أبيها المتوحشة وكأنّ روحها كادت أن تخرج هلعا وخوفا، كان ذنبها أنّها تحب أباها ولا تريده أن يحزن،وما فعلتها إلا ردة فعل بريئة من فتاة صغيرة قادتها مشاعر الطفولة للدفاع عن أبيها فهو لم يفهم القصد الذي دفعها لارتكاب هذا الفعل، فكل الذي فهمه ذلك الأب المتسرع أنّ طفلته نمّامة وتحاول أن تفتعل الفتن ويجب عقابها

كانت موجة أمسكت بيد نورس وقالت لها ماذا بك يا نورس فهذا الصوت الرابع أناديك به وأنت لا تُجيبين مع إنّ عينيك تنظران بعيني؟ كأنّ موجة قد نبّهت نورس وأعادتها من رحلة الذكريات الحزينة وقالت لها أوه أنا أعتذر فأفكاري شردت إلى ماض سحيق...!! لا عليك يا موجة قولي ماذا أردت قوله؟

فقالت موجة: هيا بنا نذهب للسطح كي ننام فالوقت قد تأخر كثيرا ويوم غد لدينا عمل كثير

فقالت نورس:وهل أنتم تنامون على السطوح أيام الصيف؟

أجابت موجة نعم وهذه هي عادة البابليين الكلدان إنّهم ينامون على السطوح أو في أفنية البيوت أيام الصيف

فقالت نورس في سرّها فعلا أنّ الكثير من عادات الأجداد مازالت تمارس إلى وقتنا هذا لذلك أنّها تحب النوم على السطح فهي عادة موروثة فسألت موجة أين سينام سلطان؟ فقالت موجة سوف ينام على السطح أيضا لكنّ مع الرجال فهم لهم مكانهم الخاص، فقامت وأطفأت الأنوار وأغلقت الأبواب وصعد الجميع إلى السطح لأجل النوم لأنهم متعبون ناعسون لأنّ ليلتهم كانت صاخبة ومليئة بالأحداث والمفاجأت فنام الجميع بأمان المدينة الحنونة، ورعاية الآلهة المنتشرين بين الأزقة والأحياء

****

كان الشروق مازال يقطع طريقه عبر هضبات السماء،وقطع السحاب الأبيض تتحرك ببطء في أحضان الفضاء،كأنّها سفن محملة بالأمل، ورائحة الجدران الطينية وأصوات الحيوانات الداجنة تملأ أزقة المدينة، وتبعث شعورا طيبا في النفوس، بابل التي مازال يغمض عينيها غرام الفرات وتحملها أجنحة الآلهة الحافظين تستعد لليقظة والنهوض من مسيرة الأحلام الوردية،فتسمع الترانيم الصباحية يعزفها المتعبدون المبكرون كطقوس وعبادات فهم يفتتحون بها يومهم لجلّب المغفرة والبركة من الآلهة وقد صارت تلك الترانيم تتعالى شيئا فشيئا وهي تتسرب من أجواء المعابد المنتشرة في أرجاء المدينة التي تعجّ بدور العبادة وكثير من الآلهة.

فبابل تُعتبر مركز الثقل الديني في بلاد وادي الرافدين، والمنارة المقدسة التي تستهويها النفوس وتستقطب الناس المؤمنين بتلك الآلهة والمواظبين على عبادتها، فباعتقاد هؤلاء الناس أنّ الآلهة لها صلاحيات ومزايا خارقة وإجبارية في حياة الإنسان وتتدخل بأدق تفاصيل الحياة اليومية وإنّ هؤلاء الآلهة هم من يُسيّرون عجلة المعيشة ويقدّرون الأحوال والأرزاق وفق مشيئتهم ورعايتهم...

أما البشر ما هم إلا مخلوقات ضعيفة لا تستطيع دفع مكروه أو جلب منفعة إلا بتوفيق من الآلهة وقبولهم، ففكرة الإله هي فكرة أزلية تمسّك فيها الإنسان لشعوره بالعجز والخوف من الموت وجهله بعلّة وجوده على هذه الأرض ومدى عشقه وتمسكه بالحياة فأراد أن يستمر فاستحدث حياة أخرى له ما بعد الموت وتوقعها بأطار وبيئة معينة وصارت اعتقاداته تتطور جيلا بعد جيل ، لذلك ابتكر له إلهاً خفيا يتمتع بقوى خارقة لا يستطيع الإنسان فعلها وصار يعبده بأساليب مختلفة بعبادات وطقوس ويسأله أن يستجيب دعواه ويحقق ما عجز هو عن تحقيقها

ولم يقف عند هذا الحدّ بل صار ذلك الإنسان يبتكر آلهةً آخرين ومتعددين،وجعل لكل إله اختصاص ووظيفة تجعله يحكم من خلالها جانبا معينا من هذا الكون، فهناك الإله آنو الإله الأعلى ومحرك الخليقة ومجسد السماء،وهو إله الجنة والجدّ الأقدم لجميع الآلهة،وهناك الإله أنكي-أيا إله

المحيطات تحت الأرضية وقد ارتبط بالحكمة والسحر والفنون،وكذلك الإلهة عشتار إلهة الحب والحرب، والإله مردوخ الإله الوطني لبابل ورئيس مجمع الآلهة، والإله شمش إله الشمس والعدالة والقوانين، والإله سين إله القمر،والإله أدد إله الأمطار والعواصف، والإله نابو إله الكتابة والتعليم والثقافة وغيرهم الكثير من الآلهة الذين عبدهم سكّان بلاد الرافدين وقد تجاوز عددهم الألف.

كانت نورس وسلطان قد استيقظا ومعظم سكّان حارة (كادنكررا) بعد ليلة صاخبة مليئة بالأحداث والمواقف، فأهالي الحي من البابليين الكلدان كعادتهم دائما ما يصحون قبل شروق الشمس ومعظمهم يعملون موظفين بأجهزة الحكم ويُعتبرون من طبقة (الأويلم) التي هي من الطبقات الراقية ولهم من الحقوق والأمتيازات أكثر من أي فئة أخرى،فهم يتقلدون الوظائف الإدارية والعسكرية والقضائية، وأيضا هناك طبقة أخرى تسكن هذا الحي هي الطبقة الوسطى والتي تسمّى (المشكينوم) وهي أقل درجة من طبقة (الأويلم) فهم يمثلون الطبقة العامة من الناس الأحرار فمنهم العمّال والصنّاع والتجّار وأصحاب الحرف وهم يشكّلون طبقة وسطى بين (الأويلم) وفئة (العبيد).....

رفع سلطان رأسه من على مخدته الصوفية فرأى العمّ تراكسيس يجوب السطح بعينيه وكأنّه يفتش عن شيء أضاعه فقام وأيقظ موكاليم وبعضا من أفراد العائلة بعد إن أدّى تحية الصباح على سلطان وأشار له بالنزول.

وقف سلطان على سطح الحارة بعد إن نزل الجميع وصار يتخطّى أرجاء السطح حتى وصل الى الشرفة وإذا به يرى البنايات الشاهقة التي تحيط بالحارة، كانت بنايات ضخمة ومختلفة عن التي كان معتادا على رؤيتها في هذه المدينة، فالقصور العالية المبنية من الآجر واللبن الملون والطابوق المزجّج يتعب العين ارتفاعها السامق، وتبهج النفس تلك الألوان البرّاقة التي تتألق كالبلور المتوهج،فالطابوق المزجّج بالأصّفر والأزرق والأخضر يجعل المدينة تبدو كأنّها حلقات فنتازية لأفلام كارتون من الخيال

صار سلطان يمشي بخطوات بطيئة وهو يتأمل هذه المدينة بمتعة واشتياق، ويقول في نفسه ما أجمل بابل المزدهرة، وما أروع أن تشاهدها وهي في أوجّ عظمتها وغرورها، فكم أنا محظوظ يا ربي؟ جاء موكاليم مسرعا وقال له هيا يا سلطان أنّ الفطور جاهز في غرفة الضيوف وأبي بانتظارك حتى تفطر معنا، قال سلطان نعم لكن قبل النزول ما هذه البنايات التي تحيط بحارتكم؟ يبدو عليها أنّها منشأة أو مصانع فهي كبيرة الحجم وغريبة المنظر؟ فقال موكاليم لا إنّها قصور ومعابد وبيوت وقد أشار الى

بناية عالية مجاورة للحارة وقال هذا معبد الآلهة عشتار، نظر سلطان نحوه فرأى بناء ضخما وقد أحاطت به الأشجار والمشاعل وكانت جدرانه واضحة عليها لمسات الطراز الديني المختومة برسومات لأسود وبعض الرموز المبهمة،وأبواب ذلك المعبد مقوّسة ومنقوش عليها بعض التراتيل وكلمات التمجيد والتعظيم للآلهة عشتار، ثمّ أشار موكاليم الى بناية أخرى قبالة الحارة وقال أما هذا فمعبد الإله نابو، نظر له سلطان وإذا يرى أنّه مزين بالكثير من الكلمات بحروف مسمارية دقيقة وأشكال الحيوانات الأسطورية، والملفت بهذا المعبد أنّه ذات جدران بيضاء اللون وأقل ارتفاعا من البنايات المجاورة، وأيضا هناك بناية القصر الجنوبي مركز الحكم ومسكن الملك نبوخذنصر في المدينة والتي تقع فيها أعجوبة الزمان (الجنائن المعلقة) كذلك نظر سلطان إلى جهة الجنوب فرأى بناء ضخما جدا مكونا من عدة طوابق في كل طابق مجموعة من الغرف تعلو قمته غرفة زرقاء تشع من جوانبها أنوار منتشرة وبريق ذهبي يتألق ، فقال سلطان ما هذا البناء المرعب والبرج العالي يا موكاليم؟فقال هذا (الأيساجيل)قصر السماء ومعبد الإله مردوخ حامي بابل وصانع الوجود،أما هذا البرج الذي موجود ضمن بناية المعبد فهو(أتمنانكي)أي برج بابل العظيم

حدائق بابل المعلقة

انتبه موكاليم وقال مندهشا هيا يا سلطان هيا فالننزل أبي ينتظرك وأخذ بيديه مسرعا ونزلا سويا، كان فطور العائلة البابلية لا يختلف عمّا نأكله في زمننا هذا، فالمائدة ترفل بالحليب ومشتقاته والبيض والخبز الأسمر.

عندما كان الجميع يفطرون قال العمّ تراكيسس لموكاليم اسرع يابني فأنت تأخرت على حلقة الدرس في بيت الألواح وسوف يغضب منك المعلّم ويقرر لك عقوبة أنت بغنى عنها، سأل سلطان موكاليم وماذا تدرسون أنتم في بيت الألواح؟ فأجاب أنا في المرحلة الأولية ندرس اللغتين السومرية فهي اللغة المقدسة لغة الآلهة والأجداد، وكذلك ندرس اللغة الأكدية والحساب والمساحة والدين، وبعدها عندما نكمل المراحل الأولية ننتقل إلى المرحلة العالية لأتخرّج كاتبا (فأنا كل يوم استظهر اللوح الطيني القديم وأحظّر لوحي الجديد ثمّ أتسلم واجبي الشفهي وبعد الظهر يُعيّنون لي واجبي الكتابي وعندما أعود إلى البيت أجد والدي جالسا فأقرأ أمامه ما حفظت من دروسي، فيسرّه ذلك فأنام وأستيقظ في صبيحة اليوم الجديد) لأذهب مرّة أخرى إلى معبد الإله نابو؟ فقال له سلطان ولماذا تذهب إلى المعبد أليس تذهب إلى بيت الألواح؟ فقال موكاليم أنّ بيت الإلواح مكانه هو معبد الإله نابو راعي العلم وحافظ العلماء والأدباء إله القلم والكتابة.

التفتت نورس إلى العم تراكسيس وقالت له يا عم وهل أنت تتقن القراءة والكتابة حتى تُذاكر وتتابع دروس موكاليم؟ فقال لها نعم يا ابنتي فأنا أتقن القراءة والكتابة فأبي كان تاجرا ويمتلك المال الكثير، بالإضافة أنّه كان أحد كهنة معبد (الأيساجيل) معبد الإله مردوخ وقد حافظ أبي وأصرّ على تعليمي لكي أمسك تجارته وأكون عارفا بأمور الحساب وكتابة العقود التجارية والمصرفية وأتمكن من إدارة متاجر الفواكه والحبوب التي كان يمتلكها أبي، وهذا ما حصل يا ابنتي، وأنا أطمح أن أجعل ابنائي يسلكون طريق التعليم والمعرفة الذي سلكته أنا سابقا ويكونوا متعلمين، يا نورس أنّ التعليم في بلادنا ليس سهلا وليس مباحا لأي شخص فهو يتطلب أموالا كثيرة ومصاريف وضرائب عالية لذلك اقتصرت الدراسة على أقلية محدودة من المجتمع الكلداني بما فيهم أبناء الكهنة وكبار الشخصيات المدنية والعسكرية من أبناء الطبقة السائدة في المدينة غير إنّ غالبية الناس هنا من الأحرار والفقراء محرومين من ارتياد المدارس.

فقالت نورس لموكاليم هل أستطيع أن أذهب معك إلى بيت الألواح وأرى كيف تدرس وما هي المواد التي تحفظها ثمّ تبسمت قائلة وأرى كيف يضربك المعلّم هذا اليوم كونك تأخرت، فقبل أن يجيب موكاليم على نورس بادر العمّ تراكسيس بالإجابة مسرعا بأمكانك أن تذهبي معي فأنا بعد

قليل سوف أذهب إلى معبد الإله نابو لأنّني أريد أن التقي (بالأخ الأكبر) الذي يعلم التلاميذ لأجل أن أوصيه على موكاليم فقد وجدت عنده تراجعا في مستواه الدراسي، وفي هذه الأثناء قام موكاليم وأخذ معه لوحا طينيا وقلما من القصب وخرج مسرعا متجها إلى معبد الإله نابو المجاور لحارتهم، وكذلك قام ساركون من مكانه وقال استميحكم عذرا فأنا مضطر إلى أن أذهب لمقر الحرس الملكي لأنني أعمل هناك وسوف أعود لكم بعد الظهر، وكذلك قام العمّ تراكسيس وقال أنا ذاهب كي استبدل ملابسي لنذهب إلى بيت الألواح فقام الجميع ولم يتبق غير نورس وسلطان

فقالت له يا سلطان أتمنّى ألا تبتعد عني مثلما فعلت يوم أمس عندما ذهبت مع ساركون وسيفيل ولم تأت إلا بعد وقت متأخر من الليل، فنحن هنا بين قوم لا نعرف الكثير عن عاداتهم وطبائعهم ولا ندري ماذا ستكون ردة فعلهم لو عرفوا أنّنا نعبد غير آلهتهم التي يعبدون؟ وماذا نفعل لو طلبوا منّا أن نمارس ممارساتهم التي نحن نرفضها من الأساس ولا يحق لنا أن نمارسها؟ قال سلطان لها لا تخافي يا عزيزتي فبهذه البلاد لا يمكن أن يُظلم أحد أو يُجبر على فعل شيء لم يكن هو راضٍ عن فعله!!! يا نورس إنّ هذه البلاد قائمة على نظام قوي وتسيرها قوانين صارمة ويحكمها ملوك يحملون ضمير الأمّة المجتمعية التي يجمعها عيش مشترك ومصير واحد، فهؤلاء لا

يستخدمون السيف لأجل أن تدخل الناس في ديانتهم ولا يجبرون أحدا على الإيمان بمعتقداتهم، أو يقتلون من يعارضهم بالعقيدة، فكل شيء هنا يسير على مبدأ الاعتدال والمواطنة بموازين قانونية تنظّم حياتهم العامة والخاصة وتسري على الجميع...

جاء العمّ تراكسيس ونادى على نورس وسلطان للقدوم لكي يذهبوا إلى المعبد، فخرج الجميع من بناية الحارة،كانت نورس تسير وهي تلاحظ البابلين الكلدانيين الذين يملؤون الشوارع والساحات وقد ازدحمت المدينة بالحركة والأصوات، فترى سكّان الحي يتبادلون التحايا الصباحية والقبلات البريئة التي تفصح عن طيبة القلب وصفاء النفس، كانت هناك عربات تجرّها البغال والحمير وهي محمّلة بالتمر والحبوب ويبدو أنّها تعود لصغار التجّار من أهالي المدينة وكذلك كان رعاة الماشية والخنازير يتخطون أذرع الشوراع متوجهين بمواشيهم وخنازيرهم إلى خارج المدينة حيث الماء والعشب والكلأ، ورجال الدولة والكهنة والشرطة والموظفون يملؤون الأماكن كلٌ يمشي مسرعا إلى محل عمله ووظيفته، والأطفال الذين يلعبون في الشوارع وكذلك الزائرون والمتسوقون والمواطنون الذين يراجعون الدوائر الحكومية والمجاميع البشرية الداخلة والخارجة فهم جعلوا المدينة تنبض بالحياة والناس تشعر بالنشاط والاستمرار

كان العمّ تراكسيس معروفا بهذه المدينة ومبجلا ومحترما من قبل الجميع كونه تاجرا وابن كاهن معبد(الأسياجيل) الخاص بعبادة الإله مردوخ، فترى جميع ألبابليين يحترمونه على اعتباره وجيها من وجهاء المدينة، وشخصية مرموقة تتحلى بالوقار والتواضع، فالكل كان يؤدي التحية عليه والكل يبدي له التقدير والإجلال، كان الجميع يسيرون ببطء بسبب الزحام وكثرة الحركة والتوقفات التي استثمرتها نورس وصارت تكتشف لغة الناس وأشكالهم وتشاهد طبيعة حياتهم اليومية، وطريقة الكلام ونوع الملابس التي كانوا يرتدونها، فمعظم الرجال يرتدون سراويل وقمصان طويلة إلى ما دون الركبة ذات أكمام قصيرة وفتحة في منطقة الرقبة يتوسط أجسامهم أحزمة مصنوعة من الجلد وفوقه قد وضعت أدوات الصيد والأسلحة، وكثير منهم يرتدون عمامة صغيرة وعادة ما تكون بنفس لون القميص والسروال،وهناك من يرتدي ملابسا أشبه بالوزرة (وهي قطعة قماش غير مخيطة يلف بها الجسم ومعها شال) وكذلك كانوا ينتعلون صنادل جلدية وأخرى من الخشب ذي كعب مرتفع مع حلقات تُربط بأصبع القدم فيما يبقى الجزء الأكبر منه مكشوفا، أما النساء فهنّ كنّ يرتدين ثيابا ذي أكمام قصيرة جدا وتُرتدى فوقه عباءة خفيفة تلفّ أطرافها حول الأكتاف وينسدل

الجزء الآخر حول الجسم، أما الأطفال فلا تختلف أزيائهم عن أزياء الكبار إلا بالحجم.

كان سلطان ونورس يسيران مع العمّ تراكسيس حتى اقتربوا من معبد الإله نابو، كانت واجهة المعبد أقلّ ارتفاعا عن المعابد البابلية الأخرى، فهو يطلّ على شارع الموكب الرئيسي لمدينة بابل، وكان هذا المعبد قد شُيد فوق مسطاح مرتفع عن الأرض المحيطة به قليلا مشكلا بذلك مصطبة أو قاعدة مشيدة باللبن ومغطاة بطبقة من الطين وقد رسمت على جدرانه بعض الرموز والخطوط المسمارية....

وقفت نورس بالقرب من باب المعبد وعيناها تتفحص المكان بإعجاب ودهشة في حين كان العم تراكسيس يتكلم مع كاهن كبير في السّن التقى به عند الباب، سألت نورس سلطان قائلة من هذا الإله الذي تميز برعايته للكتابة والثقافة؟ ولماذا توجد بهذا المعبد مدرسة ونسّاخ وطلبة؟ فقال سلطان يا نورس إنّ الإله نابو يتمتع بعدة وظائف ومزايا تفرد بها عن غيره من الآلهة في زمنه، فهو في بداية عبادته كان إله خاصّ بالزراعة وكاتب ورسول الآلهة وفيما بعد تحول إلى إله للكتابة والحكمة والقلم والعلم والرقيم وحامي الأدباء والمنسوخات، الإله نابو هو ابن الإله مردوخ العظيم وحفيد الإله(أنكي) أو ما يسمّى

بالأكدية (أيا) إله العقل ومعبود المياه وهو الذي خلق البشر، فقالت نورس وهل إنّ لدى السومريين والبابليين الكلدان رؤيا أو معتقدا خاصا عن خلق البشر ووجوده الأول على الأرض، أنا سمعت سابقا عن بعض المصطلحات فيما يخص هذا المعتقد مثل آلهة (الأنوناكي والإيجيجي) الذين أوجدوا الإنسان الأول وقصة الخلق، لكنّني لم أعرف أو لا أمتلك المعلومات الكاملة عن هذه القصص الأسطورية، فهل أنت سمعت مسبقا بآلهة الأنوناكي؟ وهل تعرف أنّ هؤلاء الآلهة هم الذين خلقوا الإنسان الأول حسب ما تقوله الأساطير السومرية؟ فقال سلطان نعم فقاطعته نورس قائلة لكنّني أجهل دور الإله (أنكى - ايا) جدّ الإله نابو وأب الإله مردوخ في عملية خلق الإنسان الأول؟ فقال سلطان الأنوناكي هو مصطلح سومري يشير إلى مجلس جموع الآلهة الأوائل في السماء والأرض الذين هبطوا إلى الأرض وفي قراءة أخرى لهذا المصطلح هو يعني ذرية الأمير الإله (آنو) إله السماء الذي هو أبو الآلهة وينحدر نسلهم منه، كان السومريون الأوائل يعتقدون إنّ الأنوناكي هم طائفة من الكائنات الحية، لهم هيأة كهيأة الإنسان إلا أنّهم يفوقونه ولا ينال منهم الموت، وهم من يديرون دفّة العالم ويتحكمون به

وفقا لخطط رسمت بعناية ونواميس قدرت حسب الأصول، وتقول الأسطورة إنّ هنالك آلهة من بين آلهة الأنوناكي موكول إليهم أمر السموات والأرض والهواء والبحار، وآلهة موكول إليهم أمر الشمس والقمر والكواكب..... الخ

فالآلهة الكبار الذين يتحكمون بالعناصر الأربعة الرئيسية الذي يتألف منها الكون(السماء والأرض والهواء والبحار) ويمثل هذه العناصر الأربعة، أربعة من الآلهة وهم الإله (آن) إله السماء والإلهة (كي) إلهة الأرض الإله (أنليل) إله الريح و(أنكي)إله المياه والبحار والمحيطات وقد كانت وسيلة الخلق عندهم تقوم على استخدام الكلمة الإلهية، وكان كل ما على الإله الخالق حسب معتقدهم هو أن يرسم الخطط ويتفوه بالكلمة وينطق الاسم، فقالت كيف خلقت الآلهة البشر، أو ما هي الطريقة التي قامت بها وصممت شكل الإنسان الموجود الآن؟ فقال سلطان أنا أيضا لا توجد لديّ معرفة تامة عن هذا الموضوع لكن يا نورس ماذا تقولين لو نسأل العمّ تراكسيس عن أصل الخليقة وكيف تمّ خلق الإنسان الأول حسب معتقدات البابليين والسومريين كون أنّ العمّ تراكسيس هو ابن كاهن وينحدر من عائلة متعبدة ولديها ثقافة وافرة بهذا الشيء؟ فقالت نورس اليوم بعد العشاء عندما يجتمع سكان الحارة سوف

أسأله عن هذا الشيء وكيف تمّ خلق الإنسان في الأساطير وأعتقد يا سلطان أنّه في عيد الأكيتو البابلي يقوم أهالي المدينة بتمثيل مشاهد درامية بأعمال مسرحية تتكلم عن أصل الخليقة وكيفية هبوط الآلهة إلى الأرض

في هذه الأثناء جاء العمّ تراكسيس مسرعا وصار يعتذر على التأخير وقال تأخرت عليكم بسبب وقوفي وحديثي مع ذلك الكاهن العجوز (ناجايد) الذي كان صديقا لأبي في أيام الشباب، كان يريد مني أن استأجره بيتا صغيرا في حارتي كونه تعرض لأزمة مادية فقلت له أن يأتي بعد العشاء إلى بيتي نمضي كتابة عقد الإيجار، وكذلك نستأنس بطيب حديثه وكلماته فالكاهن (ناجايد) لا يُمل من الجلوس معه وسماع أحاجيه فهو موسوعة من القصص والأخبار ومليء بالمرح واللطف برغم كبر سنّه، وأردف قائلا هيا فالندخل المعبد ودخلوا جميعهم

كان معبد الإله نابو له مدخلان الأول هو المدخل الرئيسي تدخل الناس ويكون في بداية الواجهة الرئيسية، ويطلّ على الشارع الفرعي الذي يربطه بشارع الموكب في قسمه الجنوبي وقد دخل منه العمّ تراكسيس ونورس وسلطان،أما المدخل الثاني لهذا المعبد فهو مدخل صغير وثانوي يطلّ من الجهة المقابلة على حارة كادنكررا حارة العم تراكسيس

كان العمّ تراكسيس يسبقهما بخطوات قليلة وهم يسيرون برواق صغير يوصل بين باحة المعبد وبين مدخله الرئيسي حيث أن تلك الباحة مستطيلة الشكل متوسطة الحجم تطلّ عليها عدة غرف وبرجان متوسطان الحجم...

كما توجد باحة أخرى بجانب الباحة الأولى يفصلهما باب طيني محشور بين غرف صغيرة وفي كل ساحة من ذلك المعبد كانت تحتوي على صومعة ومكان مخصص لقراءة التراتيل والمدائح للإله نابو وزوجته الإلهة نيسابا،وكذلك تقع أمام كل مدخل دكة للقرابين والنذورات، وقفت نورس في قلب الباحة الأولى وهي ترى أولئك المتعبدين ينحنون أمام تمثال الإله نابو، معظمهم كانوا صبيانا لا تتجاوز أعمارهم تسع سنوات، وهناك متعبدون أكبر سنا يتألفون من نساء وشيوخ، غير أنّهم كانوا مختلفين بعض الشيء عن المتعبدين الذين رأوهم في المعابد الأخرى، فهؤلاء نظيفو الثياب حالقو الرؤوس مصففو شعورهم وهم يحملون ألواحا طينية أو ما تسمّى بالرقيم الطيني منها مكتوب عليها وأخرى فارغة وكأنّهم في حالة من الاستعداد للكتابة ويرددون كلمات خافتة كأن تكون دعوات أو تسابيح أو تراتيل تُتلى أمام الآلهة، كان ذلك المعبد ذات دقة في التخطيط والهندسة المعمارية، وما فيه من تعقيدات بنائية، فجدران المعبد كانت مصبوغة باللون الأبيض ومزينة بزخارف متمثلة بأشرطة سوداء وبعض

الرسومات الرمزية وهو يحتوي على عشرين غرفة مختلفة الأحجام والوظائف.

كان العمّ تراكسيس واقفا بجانب أحد الأبواب، فاقترب سلطان ونورس منه وطلبا منه أن يدعهم يتجولون بهذا المعبد ويكتشفوا أسراره وخفاياه، فقال لهم العمّ تراكسيس اذهبا وتجولا ولكن لا تتأخرا فأنا جالس هنا انتظر معلّم موكاليم وبنفس الوقت أنّ هذا المكان سوف يكون مكان لقائنا لو تهتم في المعبد، فقالا له شكرا لك سوف نأتي هنا بعد وقت قصير فذهبا وهما مستغربان بروعة المكان وقد بانت على تصرفاتهما إنّهما غريبان فدخلا معبد الإله نابو للمرة الأولى وكانت خطواتهما تتحرك ببطئ وحذر.

كانت هناك في الساحة الأولى مجاميع متباعدة من الصبيان كأنّهم يستعدون للدخول إلى غرفة الصف أو كما تسمّى غرفة الرقيم أو الألواح للبدء بإعطاء حصّة تدريسية من قبل أساتذة ذي اختصاصات متنوعة.

وصل سلطان ونورس إلى مجموعة من الصبيان لا يتجاوز عددهم التسعة وحين اقتربا منهم قالت نورس لصبي صغير أنتم هنا ماذا تفعلون ولماذا متجمهرين هكذا؟ هل ستقيمون طقسا للإله أم أنكم بصدد إقامة فعالية دينية؟ فقال لها لا وإنّما بّعد قليل سوف ندخل إلى غرفة الدرس كي نجري الامتحان النهائي لهذه السنة!!! اندهشت نورس

وسلطان وقالا بصوت واحد وهل أنتم تجرون امتحانات نهائية؟ فقال لهما نعم فبعد إنتهاء المقررات الدراسية لابدّ لنا من إجراء اختبار خاص لمعرفة مستوياتنا العلمية وما تعلمناه وحفظناه طوال السنة، فنحن هنا واقفين ننتظر الكاهن (سنگا) يجري لنا الامتحان، وكذلك ننتظر صانع الألواح التي سوف نجري عليها الاختبار كون أنّه ليس جميع الطلاب لديهم الواح، وفي هذه الأثناء وبشكل مفاجئ خرج رجل متوسط العمر ملتحي ويرتدي زيا دينيا من غرفة الكهنة واتجه صوب غرفة الدروس الواقعة بركن المعبد الشرقي، كان ذلك الرجل يسير بخطوات بطيئة وقد أشرقت على محياه علامات السطوة والوقار فرؤيته جعلت الجميع يلتزمون الصمت ويقفون بحالة من الاستعداد، فسألت نورس ذلك الصبي عن هذا الرجل المهيب فقال لها هششششش... اخفضي صوتك يا فتاة إنّه الكاهن والمعلّم (سنگا) نظرت نورس إليه بتركيز وشعرت بمدى تأثيره وسطوته وكيف إنّ هؤلاء الناس يوقرون المعلّم ويحترمون الأستاذ، لذلك عرفت نورس إنّ كلّ ما وصل من مآثر بابل القديمة من حضارة وعلوم كان حقيقيا وموثوقا كونهم حفظوا تاريخهم بالوثائق والرقم الطينية والتماثيل وكثير من الأشياء المادية التي من خلالها يثبت صحة ودقّة هذا التاريخ،فالشعب عندما يتعامل مع المعلّم

باعتباره إله منقذ للبشر من الضياع والتخلف فهذا شعب صادق بالعمل ومؤمن بالمبادئ

حين وصل الكاهن سنگا إلى باب غرفة الصفّ حيث سلطان ونورس وبعض التلاميذ الصغار فقال مرحبا أيها التلاميذ هل أنتم مستعدّون لأداء الامتحان؟ فقال الجميع نعم يا حضرة الأستاذ نحن جاهزون ومستعدّون، نظر الأستاذ سنگا مستغربا إلى نورس وسلطان وقال من هذان؟ ألم أمنعكم من أن يأتي أهلكم معكم في يوم الامتحان؟ فأجاب موكاليم من وسط المجموعة قائلا يا أستاذ إنهما ضيوف قد جاءا من بلاد بعيدة كي يقيما طقوس العبادة للآلهة وقد ساعدهما أبي للوصول إلى هذا المعبد، وصار موكاليم يمشي ويتكلم مع الأستاذ حتى وصل إليهما وقام بتعريف الأستاذ على سلطان ونورس، وبدوره رحب الأستاذ سنگا بهما وأظهر لهما الاحترام والتواضع كونهما ضيوف العم تراكسيس، فقالت نورس وسلطان أهلا بك يا أستاذ تشرّفنا بمعرفتك والوقوف أمامك ،وطلبا منه أن يدخلهما غرفة الصفّ مع التلاميذ ويطّلعان عليها وعلى طريقة الامتحان فقال الأستاذ سنگا نعم سوف أسمح لكما ولكن لوقت قصير جدا حتى تجهز ما تبقّى من الألواح الطينية التى سوف يجرى عليها الامتحان،وصار موكاليم يمسك بيديّ نورس وسلطان ودخلوا غرفة الصفّ.

كانت تلك الغرفة ذا مساحة متواضعة تحتل وسطها مصطبات واطئة مبنية من الآجر وأخرى من الطين ويختلف حجم وعرض كل واحدة من تلك المصاطب من حيث الاتساع فمنها من يتّسع لواحد أو لاثنين وأخرى من تتّسع لأكثر من ذلك ومعظمها تقع بوسط ساحة الغرفة وبمحاذاة الجدران وحول تلك المواضع قد نشرت مجاميع من الألواح الطينية الجاهزة للكتابة وبانتظار مجموعات الألواح الأخرى حتى تكتمل للاستخدام، وقفت نورس بمنتصف الغرفة وهي تتأمل الجدران المزينة برموز الإله نابو إله المعرفة بهيأة ماعز رابض بجانب عرش عليه صولجان، كما توجد بعض الكتابات المسمارية على جميع مسافات الجدران، سألت نورس موكاليم عن هذه الكتابات ولماذا تملأ جميع الجدران، فقال لها إنّ هذه الكتابات هي أقوال مأثورة لحكماء بابل وآلهتها، وإنّ هذه المقولات الإلهية هي وصايا تذكرنا بالرسالة الملكوتية التي حافظت عليها الإلهة كي توصل إلينا، رسالة النور السرمدي ووصية الآلهة العظام الذين يثيبون ويكافئون الإنسان المتعلّم ويفرحون ويباركون الطلبة الناجحن في بيت الألواح، انظري مثلا هذه المقولة السومرية وأشار إلى الجدار الشرقي حيث كان مكتوبا عليها **(من يعرف علما عليه ألا يبقيه مخفيا عن الناس)** وانتقل إلى مقولة أخرى

منقوشة على جدار أخر مكتوب فيها **(الكتابة أم للخطباء وأب للتلاميذ)**.

وقفت نورس بجانب موكاليم وقالت له لماذا عند قراءتك لهذه الحكم المنقوشة على الجدران أحسستك تترجمها للغتكم التي تتكلمون فيها حاليا؟ هل هي مكتوبة بلغة غير لغتكم؟ أجاب موكاليم نعم إنّها مكتوبة باللغة المقدسة، لغة الآلهة والأجداد السومريين الأقدمين هذه اللغة التي مازلنا نحافظ على استخدامها وندرسها بعناية وإلمام خوفا عليها من الاندثار والضياع!!! فقالت له نورس أذن وما هي اللغة التي تتحدثون بها الآن؟ فقال نحن نتحدث الأكدية التي تختلف عن السومرية الأم.

كان سلطان والمعلّم سنگا يتحدثان ويتناقشان عن الموضوع نفسه وما أن اقتربت منهما نورس حتى سمعت سلطان يسأل المعلّم سنگا عن كيفية تدريس هؤلاء التلاميذ بهذه المدرسة؟ فقال المعلّم سنگا نحن هنا في هذا البيت ندرس اللغتين السومرية والأكدية والأدب والموسيقى والرياضيات والمساحة بما فيها تخطيطات الحقول وخرائط القصور والبيوت ونهتم بقوة على ضرورة المحافظة على أدبنا السومريّ القديم وإحياءه باستمرار من خلال تعليم الطلبة على استنساخ النصوص الأدبية وإتقان مواد الإنشاء السومريّ من خلال تعليم الترانيم والشعر

ومجاميع الأمثال والنصوص الأسطورية والمحاورات والمفاخرات والمناظرات وأدب الفكاهة، وعلى الطالب أن يتعلم كيفية تحضير الرقم الطينية وتهيئتها للكتابة، ومن ثم تعليم الخط وكيفية مسك القلم، وفي ختام السنة الدراسية تنتهي مسيرة التعليم الإبتدائية بإجراء امتحان نهائي.

وفي إثناء حديث المعلّم سنكا طُرقت الباب ودخل مجموعة من التلاميذ يحملون رِقما طينية رطبة وقاموا بتوزيعها على جميع الطلاب ليبدأ الامتحان الأول في اللغة، سادت لحظات من الصمت المطبق وصارت عيون التلاميذ شابحة بنفاذ الصبر والحذر باتجاه المعلّم سنكا، فقال لهم نبدأ باسم الإله نابو راعي العلم والقلم وباسم الإلهة نيسابا معلّمة الآلهة وربّة الكتابة الأزلية امتحاننا الأول لهذه السنة، نسألهم البركات والمساعدة على اجتيازه حتى نحصل بقوة نابو ونيسابا على أعلى العلامات.

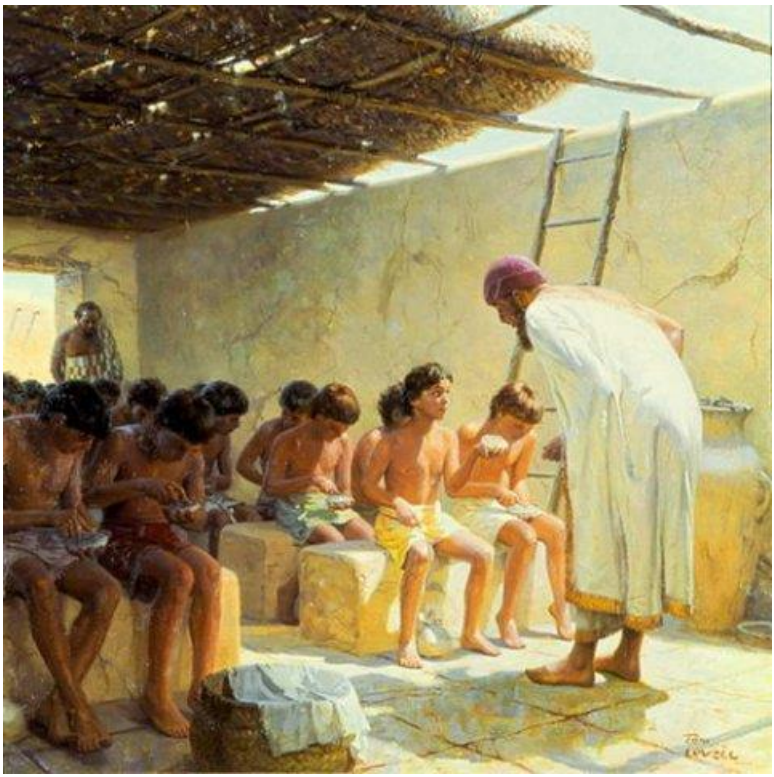

طلاب ومعلمون في معبد الإله نابو لإجراء الامتحان السنوي

كان سلطان ونورس قد تراجعا إلى نهاية الصف وأصبحا قريبين من الباب فقال المعلّم سنگا بصوت مرتفع سوف أطرح عليكم السؤال الأول في اللغة وعليكم أولا الإجابة عليه ومن ثم تترجمون السؤال وإجابته إلى اللغة السومرية فقال: -**(بيت بأساس كالسماء، بيت يبدو كأنّه مغطّى بالكتان، بيت كأنّه أوزّة واقفة على قاعدة متينة، بيت يدخله الإنسان بعيون مغلقة، ويخرج بعيون مفتوحة، فما هو هذا البيت؟)**

صمت الجميع كأنّهم أصيبوا بالحيرة والعجز وصار كل واحد منهم يطرق برأسه إلى ما بين أقدامه، وأفكاره تذهب هنا وهناك يا ترى ما هو هذا البيت الذي أسسه كالسماء وقائم على قاعدة متينة ويدخله الأعمى فيخرج بصيرا؟ وإذا بنورس تصيح وبصوت عال جعلت جميع الوجوه تقفز وتلتفت نحوها وقالت عرفت جواب السؤال إنّها المدرسة!!! وفجأة صمتت خجلا وحياء ووضعت كفيها على وجهها وأخفته بهدوء وهي محرجة على ما فعلت، نظر الكاهن سنگا غاضبا بوجه نورس وصرخ بأعلى صوته وقال أنتِ ماذا فعلتِ يا حمقاء هل وصلت بك الجرأة أن تُغشّشي طلّابي بحضوري؟ اخرجي وهذا الذي معك.

فخرجت هي وسلطان ركضا والرعب يملأ قلبيهما فقال لها سلطان أنت ماذا فعلت ألا تعرفين إن هذا امتحانا نهائي كيف أجبتِ على السؤال وبصوت عال جدا ألا تعرفين أن هذا يعتبر غشّا؟ فقالت لا أعرف ماذا حدث لي فبمجرد إن طرح السؤال في بادئ الأمر احترت ودخت به ولكن حينما أمسكت بالإجابة في عقلي وعرفت إنّها المدرسة تّشّطّرت وأردت أن أبرز ثقافتي وسط أولئك التلاميذ الحائرين فصرخت كأنّني حصلت على جائزة ثمينة وليست إجابة على سؤال، فلم أدر إنّ هذا الفعل هو محرّم وممنوع عندهم كما هو عندنا!!!

فضحكا وصارا يتجهان في سيرهما إلى فناء المعبد، حيث روائح الطين والبخور تملأ الأجواء، ومناظر المتعبدين وترانيمهم تجعل النفوس تسكر الأحاسيس بالخشوع، كان هذا المعبد يؤدي وظيفتين،وظيفة العبادة ووظيفة التعليم وهو المكان الذي يتخرج منه الكتبة والقرّاء الذين بفضل كتاباتهم وصلت بابل إلى ما وصلت له من عظمة وإبداع.

كانا يسيران على مهل بين المتعبدين وطلاب العلم وفي طريقهم التقيا بالعم تراكسيس وكان يروم الذهاب إلى الساحة الثانية من المعبد، فقالت له نورس دعنا نذهب معك فأنا متشوقة لأذهب إلى الفناء الآخر من هذا المعبد، فقال لها تعالي يا ابنتي فأنا معتاد على زيارة الإلهة نيسابا وكلّما أتيت لمعبد نابو لا أبرح حتى أزور الإلهة نيسابا

وأطلب الحاجة منها مذ كنت طفلا، فقالت نورس ومن هي الإلهة نيسابا؟ فقال العمّ تراكسيس هيا ننتقل إلى ساحة المعبد الثانية وصاروا يتجهون بالخطى نحو تلك الساحة وقال أنّ الإلهة نيسابا هي زوجة الإله نابو وأخت الإلهة نينسون أم كلكامش وهي كانت إلهة الحكمة والكتابة والثقافة قبل أن يصبح الإله نابو هو إله الكتابة والقلم.

فعندما نظّم الإله أنكي العالم بعد الخليقة وأعطى كل إله دورا في النظام العالمي فقد سمّى الإلهة نيسابا كاتبة الآلهة وبنى الإله أنكي لها مدرسة للتعليم كي تتمكن من خدمة المحتاجين على نحو أفضل وهي تحتفظ بالسجلّات وتؤرخ الأحداث وتؤدّي مختلف الواجبات المتعلقة بالكتابات الأخرى للآلهة، وهي أيضا مسؤولة عن وضع العلامات على الحدود الأقليمية وتعتبر معلمة الآلهة والكتّاب، وبعد ذلك تمّ استبدالها بالإله نابو الذي تولّى مهامّها، فأنا أتذكر عندما كنت صغيرا ودرست الرياضيات كنّا نختم حلول المسائل الرياضية بعبارة (الحمد لنيسابا).

كانت نورس تستمع لكلام العم تراكسيس وهي تسير بجانبه وهي موجهة أنظارها نحوه بكل ما تمتلك من تركيز، أما سلطان كان متخلفا عنهم بخطوات قليلة وهو منشغل بالنظر إلى معالم المكان وعيونه تحفظ كل شبر في ذلك المكان حتى وصلوا إلى باب مقوّس متوسط الحجم وعاري من الألوان والزخارف، وكان ذلك الباب يفصل

بين الساحتين والتي كانت الباحة الثانية أصغر من الأولى، كانت هناك دكّتان مستطيلتان مبنيتان من الآجر والقار، صار الجميع يمشي نحو خلوة خاصة بهذه الباحة يتصدّرها محراب متكامل عميق بعض الشيء، كانت الخلوة مزدانة بحليات هندسية قوامها مربعات ومستطيلات وأشرطة مصبوغة باللّونين الأسود والأبيض وتتقدم المحراب دكّة مستطيلة الشكل، الجدران الصلدة والملونة تزينها رسومات وزخارف دينية بأشكال منها ما يتبيّن أنّها رموز عبارة عن أشجار ونباتات وكذلك رموز لحيونات أسطورية ترتبط بآلهة الحكمة والتعليم القديمة نيسابا، كما توجد منحوتات ودمى على هيأة البشر ومنها على أشكال الحيوانات...

وقفت نورس بجانب نحت من الحجر لحيوان يشبه الثور له جناحان ويمتلك قوائم، الأمامية منها قوائم أسد، والخلفية تتمثل بأرجل نسر، وقد التفّت حول أرجله ومقدمة جسمه أفعى متوحّشة فاغرٌ فمها وأسنانها بارزة، وأيضا وقف العم تراكسيس وخلفه نورس وسلطان وبعض المتعبدين الذين لا يتجاوز عددهم خمسة وقال لنورس وسلطان أنا سأقرأ ترنيمة الربة نيسابا، فإذا كنتما تحفظناها فأقرآها بسركما، وإذا لم تحفظاها فرددها معي بصوت خفيض، فاستقبل العم تراكسيس النصب أمامه وحنا رأسه وأغمض

عينيه ورفع كلتا يديه وصار يتمتم بهذه الكلمات وسلطان و نورس يرددان الكلمات خلفه وهو يقول:-

أيَتُها السَيدةُ الزَاهيةُ اللاَمِعةُ مثلَ نِجومِ السماءِ التي تَحملُ لَوحَ اللازورد
نِيسابا،التي وِلدَت في الحظيرةِ الكبيرةِ في الأرضِ المُقدسةِ
طِفلة البَريةِ التي تَغَذت بالحليبِ الجيدِ والنباتاتِ النَقيةَ
التي تَفتَحُ فَمَها لِتعزفَ نايَاتُ القَصَبِ السَبعةِ
الكَاملةُ التَامةُ
صَاحِبةُ الصفاتِ الإلهيةِ العَظيمةِ الخَمسِين
يا سَيدتي، يا صَحِبةَ اليَدِ العُليا في إيكورا
التِنّينُ التي تَظهَرُ مَزهوة في الاحتِفالاتِ
الإلهةُ الأمُ للشَعبِ تَقضُمُ قُطعة مِنَ الطينِ
تُهدّئُ المَساكنَ بالمَاءِ البَارِدِ
تُزَوّدُ الأراضي الجَبَليةِ الأجنَبيةِ بالخَصبِ والوفرةِ
وَليدةُ الحِكمةِ مِنَ الجَبَلِ العَظيمِ (أنليل)
الامرأة الصَادِقةُ، رَئِيسةُ كَتَبةِ السَماءِ
أمِينةُ سجِلاتِ الإله أنليل

العَالمةُ بِكُلِ شيء، حَكيمةُ الآلهةِ
مِن أجلِ أنَّ تَنموَ الحُبوبُ والخضرواتُ في الحِقولِ
مِن أجلِ أنَّ تتَكاثرَ الذرةُ المُمتازَةُ
مِن أجلِ تَوفيرِ مَنَصّات للعروشِ العَظيمةِ السَبعةِ
جَعَلَت الحُبوبَ والخضرواتِ تنمو بِغَزارَة في الحَصَادِ
مهرجانُ أنليلَ الكبيرِ
تَقومُ بِتطهيرِ جَسَدِها لِتؤديَ دَورَها الأميري العَظيمِ
وَضَعَتِ المَلاَبسَ الكَنهوتِيةِ المُقَدَسةِ على جِذعِها
مِن أجلِ تَقديمِ القَرابينَ
ومِن أجل إرَاقَةِ الكَثير مِنَ النَبيذِ والقَمحِ الرَحيمِ
يا نيسابا العذراء، هو يُبارِكِ في الصَلاةِ
وفَتحَ بيتَ التعليمِ لنيسابا
ووضَعَ لوحَ اللازورد على رُكبَتِها

قطعة من إناء تصور الإلـهة نيسابا

الحرب الكونية لآلهة بابل الأزلية

كانت كفوف المساء الحمراء تمسح أجفان المدينة العاشقة، وتبعث أجنحة الفراشات المتطايرة قطرات شفّافة من العطور السحرية التي أتت بها من المروج والحدائق المنتشرة عند أطراف بابل، فترى الأرض كأنّها قد لبست ثوبها الأخضر، وتزينت السماء بإشراقات صافية وسحاب متناثر كأنّه عقد لؤلؤ انقطع خيطه فتبعثرت حبّاته في الفضاء

أجمل ما تراه في بابل خاصة في أوقات المساء امتزاج الوان الأشجار الخضراء المطّلة من الحدائق والبيوت مع بقايا الشعاع الأحمر المسافر خلف شمس المغيب الذي كأنّه قافلة محملة بذكريات الأحبة وابتسامات المشتاقين، أما المسير بين شوارع المدينة فأنّك دائما ما ترى دوريات جنود الملك الموكلة لهم مهام حفظ الأمن وهم متقلدون بسيوفهم ورماحهم ويركبون العربات الحربية ذي العجلتين التي تسحبها الخيول، وهناك ومن بين البيوت والقصور بدأت الأسرجة والمشاعل توقد شيئا فشيئا، وكأنّها طيور ذهبية تهفهف بأجنحتها ببطء، وصارت تخرج من البيوت والنوافذ لتنشر النور والألوان الضوئية، فتجد الجدران

وواجهات القصور المكسّوة بالزجاج الملون بدأت تتألق وتنعكس بداخلها تلك الأضواء فصارت كلوحات فسفورية تخطف الأبصار والنواظر

كانت نورس وسالاريا وموجة وموكاليم يجلسون على سطح الحارة وهم يراقبون ثياب الشمس وهي تلفها للرحيل، ويتأملون جمال المدينة وسحرها، وتجمعهم أحاديث الآلهة والأساطير، وبالوقت ذاته كانت نورس تتأمل في قصر الملك الذي يكون في مقابل الحارة ودائما ما كانت تستفسر عن كل شيء تقع عليه عيونها، كان قصر نبوخذنصر يزهو بأناقة التصميم وروعة البناء، فهو واحد من أهم الأنجازات المعمارية لملوك بابل، فهو المقرّ الملكي الأداري والسكني فضلا عن الحصن العسكري لأهم شخصية في المجتمع البابلي،الملك الكلداني العظيم نبوخذنصر القائد السياسي والحربي نائب الإله مردوخ والمنفذ الشرعي لقرارات الآلهة، ورمز السلطة الدينية والدنيوية، كانت نورس تلتقط صورا لهذا الصرح في مخيلتها وتفسر تفاصيله بإعجاب وشوق، فهو يعلو القصور والبيوت الموجودة في المدينة حيث تبرز عند رؤيته روحية الحضارة المؤمنة بقوى الأساطير، والسائرة على نهج الإبداع والعلم، كانت تشاهد الجانب المطلّ على الحارة من قصر الملك حيث تبرز جدرانه الشاهقة المبنية من الآجر المحروق، وقد تمّ تزيينها بأشكال الحيوانات

الآلهية الأسطورية كما ترى أغصان الأشجار وسعف النخيل قد تهدلّت منه وتشابكت برغم علوّ الجدران وسعة طبقاته، قالت نورس لسالاريا أتعلمين إنني أتمنى أنّ أزور قصر الملك وأشارت بيدها نحو القصر.

فمنظره من الخارج يأسر القلب ويا ترى كيف يكون من الداخل؟ حتما إنه يكون أكثر جمالا وروعة؟ قالت سالاريا نعم أن لهذا القصر وصف رائع ولو أنكِ دخلت يا نورس فيه سوف تتوهين بين زواياه ومرافقه، فهو مدينة قائمة بذاتها وقد اختصرها الملك بهذا القصر، ويمثل مجتمعا مصغرا يضم الأسرة المالكة، والشرائح الأدارية والحرفية وذلك لتوفير الخدمات، وكذلك توجد فيه معابد ومصلّيات صغيرة لتصبح وظيفتها مقرّا سكنيا للملك وأسرته، وأداريا لأدارة الدولة والمجتمع من قبل الحاشية الملكية ورؤوساء الدوائر فيها، فمن ناحية عمارته توجد فيه خمس ساحات منها المكشوفة وأخرى مسقفة ويحتوي على مجاميع من الغرف وأجنحة، وأنّ من أهمّها ساحة الاستقبال أو قاعة العرش التي تمثل مكان عرش الملك ويدير أمور الإمبراطورية منها، كما يوجد مكان الحريم الملكي، وجناح المخازن المخصصة للمواد الغذائية والمطابخ والمخابز، وكذلك توجد فيه مخازن الأسلحة والمستودعات العسكرية، كما إنه يحتوي على الجنائن المعلقة التي أهداها

الملك نبوخذنصر إلى زوجته الملكة (أميتيس)ابنة ملك الميديين الذين يسكنون الشمال
قالت لها نورس بنبرة مملوءة بالشوق والإعجاب،وهل سبق لك وأنّ رأيتِ حدائق الملكة من الداخل؟ قالت سالاريا لا يا نورس فهذا الأمر ممنوع على أيّ شخص يحاول الدخول إلى حدائق الملكية إلا من كان من عائلة الملك أو من يُكلف بمهمة رسمية للدخول وسط حراسة مشددة،فالملك يعشق الملكة المبجلة (أميتيس المديونية) إلى حدّ الجنون فهو انتخب فوجا خاصا يتألف من أمهر المقاتلين الشجعان لحماية العائلة المالكة ومنهم سيفيل المحارب، لكنّ حسب ما يتناقله الناس من أخبار هذه الحدائق إنها بغاية الجمال والروعة، فقالت نورس برأيك ما الغاية من إنشاء هذه الحدائق العجيبة في قصر الملك؟ فقالت سالاريا أنها هدية الملك نبوخذنصر لزوجته الجميلة، فالملكة أميتيس هي ابنة الملك الميدي، حيث كانت بلاد ماداي الواقعة شمال بلاد الرافدين في تلال بلاد فارس مزدهرة بالخضرة والأشجار الكثيفة، كما إنها منطقة جبلية تكثر فيها السواقي والأنهار والنباتات، وفي أحد الأيام شعرت الملكة بالحنين لبلادها ماداي وأحست بشيء من الاكتئاب، ولأن الملك شديد الحب لزوجته قرر أن يسكنها بمكان يشبه بلادها تماما، مكان مرتفع جدا،

أشبه بجبال (ماداي) يتألف من غطاء نباتي كثيف من أزهار وثمار وشلالات تنبعث منها روائح وعطور من جميع الجوانب مصدرها مختلف النباتات التي أحضرها من شتّى بقاع العالم، فكانت هذه الحدائق بمثابة لوحة إسطورية من جمال الطبيعة وسحرها الخلاب ذي الأجواء الشمالية الباردة المخضّرة على عكس أجواء بابل السهلية التي تغلب عليها الحرارة والجفاف، نظرت نورس إلى تلك الجنائن التي تلوح أغصان الأشجار منها، وكذلك مناظر النباتات والعشب الغارقة بمياه الينابيع المتدفقة من بين طبقاتها العالية وهي تتمنى أنّ تزورها عن قرب ولو لمرة واحدة في العمر...

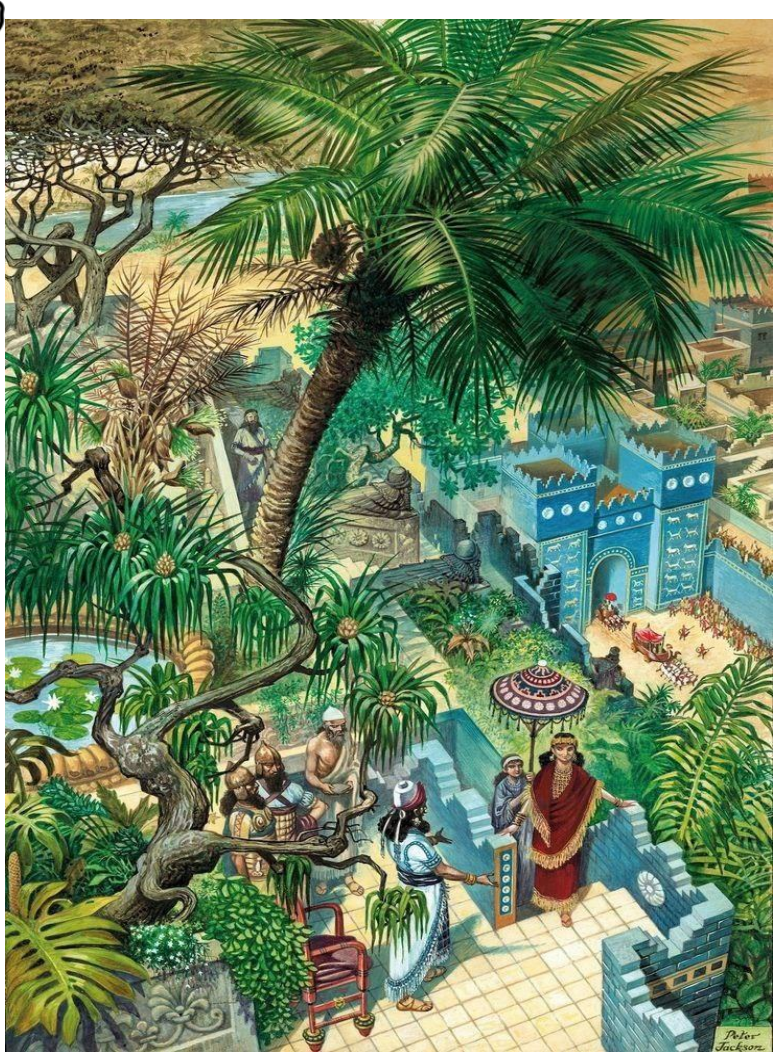

الملك الكلداني نبوخذنصر الثاني يهدي زوجته الملكة أميتيس جنائن بابل المعلقة

هبط الظلام أكثر وسار الناس إلى بيوتهم، وصارت نورس وموجة وسالاريا وموكاليم ينزلون إلى فناء الحارة، وكلٌ ذهب إلى بيته ومخدعه، كانت موجة قد ذهبت مع سالاريا على أمل أن يتلقي الجميع بعد العشاء في ساحة الحارة...

وكذلك كان سلطان قد عاد للتوّ من رحلة عسكرية قضاها مع سيفيل المحارب حيث أمسكوا بمجموعة من السرّاق وقطّاع الطرق على الطريق الرابط بين بابل ومدينة بورسبا مدينة الإله نابو حيث أصيب فيها سيفيل بجرح في عضده الأيمن وقد نزف كثيرا من الدمّ

عندما رأى العم تراكسيس جرح سيفيل ذهب مسرعا إلى خزانة صغيرة وأحضر منها قطعة من القماش أشبه (بالشاش) وأحضر أيضا مادة زيتية وقام بدلك الجرح فيها بطريقة بطيئة، وعندما أتمم هذه العملية أخذ يرتل تعويذة إلهة الشفاء "كولا" على جرح سيفيل قائلا:-

يا مُعلمةَ الأطباءِ والحُكماءِ

أيتُها السيدةُ الطَبيبةُ العَظيمَةُ

يا إلهةَ الشفاءِ والصَحةِ

ارحَمي العَبدَ الذي يُعظمُ سِمَتِكِ الإلهيةِ

تَقبّلي دَعواتهُ واسمَعي كُلَ ما يَتفوهُ بهِ

تَقَلّدي مَكانَكِ واحُكمي بالعَدلِ قضيتهُ
حيثُ أنّهُ يُمكنُ أنَّ ينزَعَ مَلابسَ الحُزنِ ويَرتدي العِبادةَ
للعَبدِ الذي أحنى هامَتهُ
ليَطولَ عُمرهُ للأمرِ الذي لا تأثيرَ لهُ على إلوهيتِكِ العَظيمةِ
كولا السَيدةُ العَظيمةُ التي دَعامتُها الإله ننورتا
دافِعي عن قَضيتهِ بِقوتِكِ
زَوجُكِ اللامِعُ الذي مِنَ المُمكنِ أن يُشفيهِ

بعد أنّ أكمل العم تراكسيس ذهب جميع الرجال إلى فناء الحارة أما نورس وسالاريا والنساء الآخريات ذهبن إلى المطبخ لإعداد العشاء، وكانت نورس تشاركهنّ في أعداد الطبخ، حيث كنّ يحضرنّ الثريد الأحمر والدجاج المشوي وبعض الخضار والألبان، سألت نورس سالاريا قائلة من هي الإلهة كولا؟ فأنا سمعت العم تراكسيس قد ردّد اسمها أكثر من مرة عندما كان يعالج سيفيل؟
فقالت سالاريا أن الإلهة كولا هي إلهة الشفاء والصحة، ابنة الإله أنليل الذي كان دائما ما يعهد إليها القيام ببعض المهمام الخاصة به، ومنها إنزل العقاب بالمقصّرين، وكذلك تكون قائدة للجند في الحرب، فهي دائما ما كانت تقول بوصف نفسها:-

عندما يثورُ قلبُ ذلكَ الجَبلِ الأشمُّ الإلهُ أنليل
وعندَما يَقطِبُ حاجبيه إزاءَ قُطر أجنبي
أو يُقررُ مصيرَ بلد تَمردَ عليهِ
يرسلُني أبي أنليلُ المُتمردُ والذي قَطبَ حاجِبيه أزاءهُ
فأخرجُ أنا البَطلةُ
أنا المُقاتلةُ الفاتِكةُ
أخرُجُ إليهِ وأُعاقبهُ ثُمَ أعودُ إلى مدينةِ "نفّر"
موطنُ الإلهِ أنليل لأخبِرهُ بما فَعلتُ

يا نورس أن الإلهة كولا هي من الآلهة الرئيسة والحامية لمدينة أيسن ولقبها (السيدة الطبيبة) ويرمز لها برمز الكلب، فقالت نورس وما هذه الكلمات التي قرأها العم تراكسيس على جرح سيفيل؟ فقالت سالاريا إنّها تعويذة الشفاء المعروفة لدى كافة الناس، فحينما يتعرض الإنسان لإي عارض صحّي عليه أنّ يتوسل بالإلهة كولا وأنّ يقدم لها النذورات ويقرأ التراتيل والتعاويذ حتى يتشافى بمساعدتها، لأنّه كل مرض يتعرض له الإنسان هو بسبب أعماله الشريرة فترسل عليه الآلهة أمراضا وعللا عقابا لما فعله من أعمال غير صالحة!!! فحتما يا نورس أنّ سيفيل قد ارتكب فعلا باطلا أزعج الآلهة منه فأرسلت عليه هذا العقاب!!!

قالت لها نورس لو كانت الآلهة هي التي تسلط العقاب على البشر فما دور الآلهة كولا في هذه الحالة؟ فقالت سالاريا نعم أنّ السعادة والشقاء يأتيان من الآلهة وهي من ترسل الأمراض وهي من تؤذي أجسامهم بالوجع والداء، عندها يظهر دور الإلهة كولا، فأنّها المسؤولة عن صحة البشر وهذه صلاحية تتميز بها عن الآلهة الآخرى، وهي من تشفي الإنسان المريض وهي من تعيد له صحته، فالناس تعتمد عليها بشكل أساسي لأنّها من الآلهات الصالحات التي ساعدت على بثّ الحياة من جديد بعد الطوفان العظيم، وفي هذه الأثناء جاءت موجة وبعض فتيات الحارة وصرنّ ينقلنّ الطعام إلى مكان الرجال في وسط الحارة، كانت نورس تحمل بكلتا يديها الأواني والقدور الصغيرة إلى جانب النساء الأخريات وهي في أثناء سيرها قد لمحت سالاريا وأحد فتيان الحارة يتبادلون النظرات والابتسامات، وعرفت إنّهما عاشقان ، فنظرات العشاق واضحة وضوح الشمس، وحركات أجسادهما وملامحهما لا يمكن أنّ تبقى في طيّ الصمت، أحست نورس ببعض المتعة والانجذاب بهذه المراقبة الشيقة حتى صارت تكثر من الذهاب والأياب بأروقة الحارة وهي تسترق النظرات من هذين العاشقين، ولا تعرف نورس لماذا بدأت تستيقظ بدماغها ذكريات صامتة

وفي هي اللحظة أحست نورس بكف تهزها بقوة وصوت أنثوي يصرخ أعاد لها رشدها وصحّاها من رحلة الذكريات هذه،انتبهت نورس لصوت سالاريا وأول ما نطقت به أين ذلك الشاب وهي تقصد الشاب البابلي الذي كان يتبادل النظرات مع سالاريا!!! استغربت سالاريا وقالت بارتباك وتلعثم كونها عرفت أنّ نورس قد اكتشفت سالاريا وذلك الشاب أنهما منجذبان لبعضهما ويعشق أحدهما الآخر-أ..أ.أأ نعم إنّه ذهب إلى هناك، وهي تشعر بالخجل والاستغراب، واردفت قائلة سوف احكي لك القصة لكن ليس الآن، هيا بنا إلى العشاء فالجميع قد بدأوا بالأكل، فذهبتا وصار الجميع يأكلون وسط أجواء من السعادة والمسرات وكأنّ قلوبهم تتورد فيها الأزهار ونفوسهم ترفرف فوق شواطئ الحب والسرور فكانت أجواء لا توصف....

كان سيفيل يرقد جريحا على سرير مصنوع من جريد النخل، ومغطى بشرشف أبيض وقد لفّ رأسه بخرقة من القماش بعد أن تمّ برمها بقوة لتصبح أشبه بالحبل القاسي، لأن سيفيل بدأت حرارته ترتفع وجرحه أُصيب بالالتهابات وصار يعاني من صداع مزعج، كان سلطان والعم تراكسيس وساركون وبعض أبناء الحارة ورجالها جالسين حول سيفيل في أحدى الغرف وهم ينتظرون الطبيب الذي

سوف يكشف على جرح سيفيل، وما أن مرت دقائق معدودة وإذا بالباب يُطرق، فقد جاء الكاهن العجوز (ناجايد) ومعه الطبيب اسمه (يارام-أدد)، وعند دخولهما إلى الغرفة قام الجميع مرحبين بهما، وعلى الفور قام الطبيب (يارام-أدد)، بفحص سيفيل وضع يديه على جبينه، ومرة على مكان الجرح وتارة إلى ما تحت أقدامه، وحتى قام بشمّ ثغره وشمّ الجرح، فقال له العم تراكسيس هل حالته خطيرة أيها الطبيب؟ فقال له مبدئيا لا داعي للقلق والخوف، أنّ مريضكم هذا سوف ينجو ولا يموت لإنه عندما جئنا إليكم أنا والكاهن ناجايد قد رأينا وفي طريقنا مجموعة من الخنازير رافعة ذيولها وآذانها وهذه علامة خير وأمل للمريض الذي سوف نقصده، سأل الكاهن ناجايد سيفيل قائلا هل تشعر أنّ آلاما في جهة رقبتك؟ فقال سيفيل نعم، فقال الكاهن هذه يد الآلهة، هذه يد الإله شماش-شمس.

فتح الطبيب (يارام-أدد) صرّةً له وأخرج بعض العقاقير وقارورات فخارية وفتح أحداهنّ وأجلس سيفيل وصار يسقيه من ذلك السائل الذي فاحت منه رائحة مثل رائحة القرنفل وبعدها أخرج من تلك الصرّة بعض الأعشاب وأطراف نبات العوسج وثوم وخردل فجمعهنّ في إناء صغير وقام بطحنهنّ جيدا حتى أصبحت مسحوقا بالغ

الصغر وأضاف عليها سائلا أشبه بزيت الزيتون وبدأ يرجّ بها حتى ذابت تلك المكونات ببعضها وصارت سائلا ثخين القوام، بعدها أعطى لسيفيل شربتين من ذلك الدواء وقال له أشرب من هذا الدواء مرتين في اليوم عند الصباح وعند المساء وأنا بعد ثلاثة أيام سوف آتي لرؤيتك وأرى مدى استجابة جرحك للعلاج...

جلس الكاهن ناجايد عند رأس سيفيل وصار يرقيه ويقرأ على رأسه بعض التراتيل والأدعية يتوسل ويرجو بها الآلهة أن تشفيه وتبعد عنه الأمراض والعلل، وبعد أن أتمّ الكاهن قراءة أدعية الشفاء، وأتمّ طقوس التضرع والابتهال، نظر في وجه سيفيل وإذا يجده نائما وكأنه سلّم أمره لمشيئة الآلهة، فقرّت عينه واطمئنّ وغاص في نوم عميق.

بعد أنّ نام سيفيل انسحب الحضور واحدا بعد الآخر بصمت وهدوء حتى لا يصحو وتجمعوا في فناء الحارة... بعد أن توافد الآخرون في جلسة معتادة من السهر والسمر، كان العم تراكسيس قد وعد الكاهن ناجايد بأن يؤجر له بيتا صغيرا في حارته المتواضعة كون أنّ موقع الحارة قريب عن مركز المدينة، وكذلك عن المعابد والأسواق، وبالفعل قام العم تراكسيس بإحضار رقيمين طريين من الطين وقلما من القصب، وشرع بتدوين عقد

الأيجار لمدة سنة واحدة مقابل (شيقل) واحد من الفضة شهريا أو بما يقابلها بالثمن من الشعير أو القمح، وقد دون العقد بشهادة سلطان والطبيب (يارام-أدد) وعند إتمام كتابة العقد ترك الرقيمان في الهواء كي يجّفا وبعدها يحفظا في ظرف طيني آخر وقد تمّ عمل نسختين لكل طرف نسخة.

أما نورس وبعض نساء الحارة قد تجمّعنّ في مجلس الرجال ذاته وقد أحضرنّ الشاي والحلوى والعصائر وصرن يوزعن هذه الضيافة على الحاضرين، كان سلطان جالسا بين العم تراكسيس والكاهن ناجايد وهو مشغول بالحديث معهما كأنّه وجد ضالّته عندهما، فهو شغوف بعلم الأساطير والأديان، ويحلم أنّ يجمع أكبر قدر من المعلومات والمعرفة عن أسرار الملكوت وأخبار الآلهة، ومن محاسن الحظّ أن جميع الحاضرين في ذلك المكان طلبوا من الكاهن ناجايد أن يتلو عليهم قصة (إينوما إليش) أو ما تعرف بقصة الخلق والتكوين الأولى، حتى يستأنسوا باستذكار مناقب الآلهة، وتهبط على مجلسهم هذا بركات الأرباب العظام، فالبابليون الكلدان قد اعتادوا على إقامة مثل هكذا طقوس روحانية يحافظون فيها على إرثهم الديني من الضياع ويثقفون الأجيال الجديدة من خلال سماعهم لقصص بطولات الآلهة، وعلى وجه السرعة عملوا للكاهن ناجايد مكانا مرتفعا عن الجالسين بنصف

متر وذلك برصف طبقات من الوسائد الصوفية، وعملوا دائرة جلوس حول الكاهن وصمت الجميع منتظرين الكاهن يبدأ بالحديث، فقال نعم سوف أحكي لكم قصة بداية الخلق(إينوما إليش) وبدأ قائلا:-

لم يكن هناك من شيء، حينما كان في العلى لم تسمّ السماء باسم بعد، حينما في الدنى لم تسمّ الأرض أرضا، لم يكن هناك سوى ثلاثة آلهة هم "أبسو" الماء العذب، وزوجته "تيامات" الماء المالح و"ممو" وزير الإله أبسو وهو الضباب المنتشر فوق تلك المياه والموجات المتلاطمة والناشئ عنها، وهذه الكتلة المائية الأولى كانت تملأ الكون وهي الركيزة الأولى التي انبثقت منها فيما بعد بقية الآلهة والموجودات، كانت الآلهة الثلاث تعيش في حالة من السرمدية والسكون والصمت المطبق، ممتزجة مع بعضها في حالة هيولية لا تمايز فيها ولا تشكيل حيث لم تكن مراعي خضر ولا حقول من القصب ولا الواح قدر ولا آلهة ولا سماء.

تزاوج أبسو وتيامات فولدا آلهة صغارا، وبعدها ولدت تلك الآلهةُ آلهةً آخرى وتكاثرت وهي تعيش في جوف الأم تيامات حتى صار لحركتهم ضجيج وصراخ مدوٍ أزعج الإله أبسو فقرر أن يتخلص منهم والقضاء عليهم.

اجتمع أبسو بزوجته ووزيره وصارحهما برغبته!!!
فرفضت الأم تيامات قتل أبنائها وصاحت بزوجها قائلة:
لماذا ندمّر من وهبناهم الحياة؟ لماذا تريد هدم ما صنعناه بأنفسنا؟ نعم تصرفاتهم كريهة ولكنّ لابدّ من التريث
بينما ممو إله الضباب وافق سيده وقال: نعم يا أبي دمرهم لتستريح نهارك وترقد ليلك...! سأل سلطان الكاهن ناجايد قائلا ومن هم الآلهة الذين ولدتهم تيامات وأبسو؟ فقال الكاهن عندما تزوج أبسو وتيامات ولد لهما إلهان هما لخمو ولخامو وهذان الإلهان بدورهما أنجبا أنشار وكيشار اللذين فاقا أبويهما قوةً ومنعة، وبعد سنين عديدة ولد لأنشار وكيشار أبنا أسمياه آنو وهو الذي صار فيما بعد إله السماء، وإنّ هذا الإله أنجب بدوره الإله أنكى إله الحكمة والذي عُدّ فيما بعد ذلك إله المياه الباطنية العذبة، وقد بلغ حدّا من القوة والهيبة جعلته يسود حتى على آبائه.
قال الكاهن ناجايد دعنا يا سلطان نكمل بقية القصة، فعند اجتماع أبسو وتيامات وممو ورفض تيامات لمقترح أبسو لقتل الآلهة الشباب، كان الآلهة الشباب عندما سمعوا بمخططات أبسو خافوا واضطربوا فذهبوا إلى إله الحكمة والعقل أنكي ينشدونه إفشال مخطط أبسو، وبالفعل استجاب أنكي لمناشداتهم، وقام بوضع تعويذة عبارة عن

حلقة سحرية حول هولاء الآلهة تحميهم من بطش أبسو، ثم صنع تعويذة سحرية ثانية ألقاها على أبسو جعلته ينام ويغوص بسبات عميق، وفيما هو نائم قام أنكي بنزع العمامة الملكية عن رأس أبسو وقام هو بارتدائها معلنا عن نفسه أنّه سلطان الآلهة الجديد، كما قام بنزع عن أبسو كافة رموزه الإلهية تاجه ونطاقه ثم قام بذبحه وبنى لنفسه بيتا فوق جسد أبسو، كما داهم ممو "الضباب المنتشر فوق المياه الأولى" وزير أبسو فسحقه وخرم أنفه بحبل يجّره وراءه أينما ذهب، ومنذ ذلك العهد صار أنكي إله المياه العذبة يدفع به إلى سطح الأرض بمقدار، وهو الذي يعطي الأنهار والجداول والبحيرات مائها العذب، وهو الذي يفجّر الأرض عيونا من مسكنه الباطني، ومنذ ذلك الوقت يُشاهد ممو "الضباب" فوق مياه الأنهار والبحيرات لإنّ أنكي قد ربطه بحبل فهو موثوق به إلى الأبد!!!

وفي خضمّ هذه الأحداث ولد الإله مردوخ أعظم الآلهة الذي سوف ينقذهم من بطش الآلهة القديمة، وكيف لا وهو ابن الإله أنكي الذي سيفوق أباه قوة وحكمة وبطشا، فكما كان الإنقاذ الأول على يد الأب الإله أنكي؛ كذلك سيكون الإنقاذ الثاني على يد الابن الشاب مردوخ.

قاطعه سلطان وقال له ألم ينته الخطر على يد الآلهة الشباب بموت الإله أبسو؟ خصوصا أنّ هذا الأمر جاء لصالح تيامات التي كانت رافضة جدا قتل أولادها الآلهة فما قصة إنقاذهم مرة أخرى على يد الإله مردوخ؟ نظر الكاهن ناجايد إلى سلطان بنظرة توحي بالإعجاب وقال سوف آتيك ببقية الحديث يا سلطان.

فتيامات التي تركت زوجها أبسو لمصيره المحزن دون أن تهرع لمساعدته وهو يُذبح، في النهاية تجد نفسها مقتنعة بضرورة قتل هؤلاء الآلهة المتمردين، وهنا اجتمعت الآلهة القديمة عند تيامات وصارت تحرضها على حرب أولئك العصاة المتمردين على التقاليد الكونية، وافقت تيامات فخلقت وحوشا لجيشها لمحاربة الآلهة الشباب، فأتت بأسلحة لا تقاوم، أفاعٍ هائلة أسنانها حادة ووجوهها مريعة ، ملأت جسدها سمّاً بدل الدمّ، وأتت بتنانين ضارية تبعث بالهلع وتوجتها بهالة من الرعب وألبستها جلالة الآلهة يموت الناظر إليها فرقا، خلقت الأفعى الخبيثة والأسد الجبار والكلب المسعور والرجل العقرب وعفاريت العاصفة والحشرات العملاقة والثور الكبير، ثمّ اختارت تيامات إله من الآلهة القديمة وهو الإله "كينجو" فتزوجته وجعلته قائدا على هذا الجيش وعلقت على صدره ألواح القدر التي تجعل لكلمته قوة الإله المقرر للأقدار..... .

علم الفريق الآخر بما تخطط له تيامات فاجتمعوا خائفين قلقين وأرسلوا الإله أنكي لمواجهة جيش تيامات لعله ينقذهم مرة ثانية ولكنّه عاد مذعورا مما رأى من هول هذا الجيش، فأرسلوا الإله "آنو" إله السماء فمضى لكنّه عاد في حالة هلع شديد حتى فشل جميع الآلهة بمواجهة تيامات وجيشها المرعب، فاجتمعوا خائفين وأطرقوا حائرين كلٌّ يندب مصيره الأسود القريب، وهنا خطر لكبيرهم أنشار خاطر جعل أساريره تتهلل وتبتهج إذ تذكر مردوخ، الفتى القويّ العتيّ فأرسل في طلبه حالا، وعندما مثل بين يديه وعلم سبب دعوته، أعلن مردوخ استعداده للقاء تيامات الشريرة وجيشها ولكنّه اشترط عليهم بأن يمنحوه امتيازات وسلطات استثنائية، فوافق جميع الآلهة على شروط مردوخ وأعطوه كافة الأمتيازات وجلسوا جميعهم حول مائدة الشراب وقد اطمئنت قلوبهم لقيادة الإله الشاب!!

التفت سلطان إلى الكاهن ناجايد وقال له عذرا على إلحاحي وكثرة أسئلتي، قال الكاهن بالعكس تفضّل سلّ ما بدا لك فأنا أحبّ الذي يسمع ويفهم ويتدبر، فقال سلطان ماهي تلك الصلاحيات والامتيازات التي اشترطها الإله مردوخ أن تكون له في مقابل موافقته على مواجهة تيامات؟ فقال الكاهن أحسنت ياسلطان إنّ الامتيازات التي

اعطتها الآلهة للإله مردوخ هي قوة تقرير المصائر بدلا من أنشار، واعطوه قوة الكلمة الخالقة...

ولكي يمتحنوا قوة كلمته الخالقة أتوا بثوب ووضعوه في وسطهم وطلبوا من مردوخ أنّ يأمر بفناء الثوب، فعمل مردوخ بما طلبت الآلهة منه فزال الثوب بكلمته، ثم أمره أن يعود للوجود مرة أخرى فعاد، وهنا تأكدت الآلهة إنّ مردوخ إذا أراد شيئا أن يقول له كُن فيكون!!!فنصّبت الآلهة مردوخ ملكا عليهم وأحضروا له عرشا ورداء ملكيا وصولجان، ثم أسلموه الطريق إلى تيامات، وقبل أنّ يمضي لمواجهتها صنع لنفسه قوسا وكنانة وسهاما وهراوة، كما صنع شبكة هائلة، ثم أمر الرياح الأربع الموكل بها أنّ تمسك الشبكة من أطرافها ثم ملأ جسمه باللهب الحارق، وأرسل البرق أمامه يشقّ له الطريق، فدفع أمامه الأعاصير العاتية، وأطلق طوفان المياه وانقضّ طائرا بعربته الآلهية وهي العاصفة الشيطانية التي لا تُصدّ، منطلقا نحو تيامات والآلهة تتدافع من خلفه ومن حوله وهي تشهد مشهدا عجيبا.

تقدّم مردوخ معلنا الحرب، وعندما رأه كينجو زوج تيامات وقائد جيشها تراجع وإنكمش محجما عن مواجهة الإله الشاب، فتقدمت تيامات وأعلنت عن غضبها فهي تريد مواجهة مردوخ بنفسها في مبارزة فردية أبتدأت أولا

بوِصلةٍ من الإهانات المتبادلة، ثم استطاع مردوخ إفقاد تيامات سيطرتها على غضبها فاندفعت تهاجمه وهي تطلق عليه اللعنات.

كانت المبارزة سريعة وقد نفذ الإله مردوخ خطة قتالية رهيبة، حيث قام بنشر شبكته في الفضاء احتوى تيامات داخلها، وأفلت الرياح الشيطانية في وجهها، وعندما فتحت تيامات فمها لإبتعلاع مردوخ دفع في فمها الرياح الشيطانية وامتلأ جوفها بالرياح الصاخبة، فبطنها منتفخ وفمها فاغر على اتساعه، وفي هذه الإثناء أطلق الإله مردوخ واحدا من سهامه مزّق فيه أعماقها وتغلغل في الحشا وشطر قلبها نصفين، فلما سقطت أمامه أجهز عليها وطرح جثتها أرضا واعتلى عليها، وعندما رأت الإلهة الموالية لتيامات مصير سيدتهم على يد مردوخ حاولوا الهرب لكنّ مردوخ ألقى القبض عليهم وأسرهم جميعا ثم سحق مسوخ تيامات وقيد أطرافهم، وقيد كينجو وأخذ منه الواح القدر ووضع عليها ختمه ثم علّقها على صدره، وهكذا أنتصر مردوخ في هذه المعركة الآلهية.

صاح جميع الحاضرين في مجلس العم تراكسيس بالتمجيد والتحميد بسم الإله مردوخ وكأنّ الجميع أصابته قشعريرة الخشوع، فقاموا على أطوال قامتهم ومعهم سلطان ونورس وهم يرددون"مردوخ القوي الحامي... مردوخ

الإله العظيم" وهم في حالة من الفخر والزهو والاحتفاء بإله مدينتهم الشجاع، وقف الكاهن ناجايد وتكلم بإعلى صوته وقال- بعد هذا الانتصار المؤزرعلى قوى الشرّ والفوضى التفت الإله الحامي إلى بناء الكون وتنظيمه وأخراجه من حالته الهيولية الأولى إلى حالة النظام والترتيب، حالة الحركة والفعل والحضارة، فعاد مردوخ إلى جثة تيامات يتأملها، فأمسك بها وشقّها نصفين، رفع النصف الأول فصار سماء، وسوى النصف الثاني فصار أرضا، ثم التفت بعد ذلك إلى باقي عمليات الخلق، فخلق النجوم وجعلها محطات راحة للآلهة، ووضع الشمس والقمر وحدّد لهما مساريهما، وأخذ لعابها فخلق منه الغيوم وحمّلها بالمطر والزمهرير وأولكلها إلى الإله "أدد" ثم عمد إلى رأسها فصنع منه تلالا وفجّر في أعماقها المياه فاندفع من عينيها نهرا دجلة والفرات، ومن فتحتي أنفها البحيرات، ومن ثدييها رفع الجبال السامقة.

تعالت أصوات الحاضرين بالتمجيد والتبجيل أكثر، وصار كل من في مجلس العم تراكسيس يرتعش خشوعا وحبا بالإله القدير حتى مضت أكثر من نصف ساعة وهم في حالة من الروحانية والتسبيح، قام سلطان وتخطّى بضع خطوات حتى وصل إلى الكاهن ناجايد وقال له: أيها

الكاهن كيف تم خلق الإنسان الأول؟ ومن هو الإله الذي قام بعملية خلق الإنسانية الأولى؟ ابتسم الكاهن بوجه سلطان وقال له لا تخف سوف نلتقي هنا في الأيام المقبلة لأنني سوف انتقل بالسكن لهذه الحارة واحكي لك قصة خلق الإنسان الأول، أما الآن فأنا قد تعبت وأشعر بالإرهاق فأنا رجل كبير بالسن ويجب أن اذهب إلى بيتي لكي استريح، فقام هو والطبيب (يارام-أدد) وودعوا من كان في المجلس وذهب كلٌّ إلى بيته.

معركة الإله مردوخ وتيامات

مردوخ يدمر تيامات التي تظهر هنا على شكل ثعبان ضخم

إينوما إليش ـ ملحمة الخلق البابلية

الذهاب إلى قصر الملك

كانت أجنحة الماضي في ذلك الضحى تهفهف في ذاكرة نورس، وتتصاعد في إنفاسها حسرات عمياء لا تعرف سبب وجودها،ولماذا تشعر بهذا الضيق، فأحيانا يجد الإنسان نفسه محاطا بسلاسل من المخاوف والهموم، سلاسل شفافة لا تراها العيون ولا تدركها التوقعات، وكأنّ هذه الأحاسيس ڤايروسات مؤقتة، تستيقظ متى ما شاءت وتضمحل متى شاءت، فبرغم أجواء السوق البابلية المليئة بالضجيج والحركة ومناظر الناس والحيوانات الداجنة، إلا أنّ نورس كانت في حالة الشؤم واللؤم، وبرغم وجود سلطان معها الذي يبدو عليه الفرح والاستمتاع وكذلك سالاريا وساركون وموكاليم جميعهم كانوا في شغل السعادة والمرح، إلا أنها كانت تعاني من طاقة سلبية جعلتها خارج سرب أصدقائها المسرورين.

في ذلك اليوم كانوا قد خرجوا من بناية الحارة متوجهين إلى السوق لشراء بعض الأغراض وبالوقت ذاته أن ساركون قد وعد سلطان أن يأخذه إلى قصر الملك نبوخذنصر أو بما تسمى القلعة الملكية كي يشاهدها من الداخل، يرى الملك والموظفين والمرافق الأدارية، ويرى الجنائن المعلقة التي كان يحلم أن يشاهدها عن قرب، كان

الجميع مستمتعين بهذه السفرة القصيرة إلى السوق الكائن عند أطراف المدينة، وهذه السوق لا يفصلها عن الشاطئ سوى السور الخارجي للمدينة، فترى كل فرد من هؤلاء المجموعة يتفحص البضائع، فمدينة بابل كونها تقع بين مفترق طرق العالم، وهي تتمتع بسوق اقتصادية منتعشة، سواء أكانت على المستوى الداخلي والخارجي، فالبابليون الكلدان كانوا لا يقتصرون على الاتجار بمنتوجاتهم الخاصة فحسب، بل كانوا يعملون مستوردين ومصدّرين في عالم التجارة، وكان الإقبال جيدا وعاليا على الأنتاج الزراعي البابلي من قبل البلدان المحيطة ببابل التي لها أنتاج زراعي ضعيف، لقد كانت هذه البلدان لا تستورد من بابل الحبوب والطحين والبقول فحسب بل التمر وزيت السمسم والأسماك، وكذلك الأقمشة البابلية والخزفيات خصوصا الكلدانيين الذين يشتهرون بصناعة الملابس والتطريز الفاخر إذ أنّها تمتاز بنوعيتها الجيدة وشكلها الحسن

وكذلك الصناعات ذات الطابع الديني مثل البخور والتمائم والتعاويذ المكتوبة أو المرسومة على الرقم أو المسبحات الطينية والتماثيل والرموز لكافة الآلهة كون أنّ بابل تشتهر أنّها مدينة دينية مقدسة...

وأيضا عمل الحرفيين البابليين الذين يصنعون مختلف المواد الخام من أدوات فنية جميلة للتصدير ومنها الأختام

الأسطوانية من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة، بالإضافة إلى الحلي ودهون التجميل والعطور، فترى التجار والبائعين الوافدين من البلدان والمدن الأخرى المحيطة ببابل منتشرين في أسواق المدينة ومرافقها التجارية، ودائما ما كان يأتي إلى بابل تجار أور وبورسبا ونفّر ولارسا وأيسن وهم محمّلون بالبضائع التي يأتون بها من بلدانهم فيبيعونها في بابل أو يقايضونها بسلع أخرى.

كانت نورس تراقب حركة الناس والتجار إلى جانب سلطان وساركون اللذين صارا يهمّان بالرحيل إلى قصر الملك، حيث قال ساركون أنا سوف اذهب إلى قصر الملك لأنني سأقابل رئيس الخبازين هناك وذلك كي أحضر له نماذج من نوعيات الطحين الداخلة من السوق الخارجية هذا اليوم إلى المدينة، قالت نورس دعوني أذهب معكما؟ فقال لها ساركون ليس من السهل دخولك إلى القصر يا نورس، وإذا أردت الدخول فيجب أن تكون لديك مهمة رسمية، أو تكون ضمن الحريم اللائي يعملن في حرملك القصر، وأردف بالقول مازحا وهو مبتسم في الحقيقة أنت جميلة جدا يا نورس ومن الممكن أن يأخذونك خادمة أو وصيفة في الحرملك إذا وقعت عيون المكلفين باختيار النساء الجميلات للعمل في قصر الملك!!! فنصيحتي لك

هو أن تذهبي مع سالاريا وموجة وموكاليم إلى البيت، وأنا وسلطان سوف نذهب إلى القصر.

أحست نورس بشيء من الانزعاج والتأسف وعلى الفور تراجعت بضع خطوات وانضمت لسالاريا وموجة اللتين كانتا تشتريان العطور وزيوت الزينة والتجميل، وحينما وصلت لهنّ وجدتهما قد اشترتا كمية كبيرة من أدوات ومواد الزينة فقالت لهما لماذا اشتريتما هذه الكمية الكبيرة؟ فقالت لها سالاريا أن هذه المواد ليست لنا فقط وإنما لفتيات ونساء حارتنا لأنه لم يتبق سوى خمسة أيام لعيد الأكيتو، وهذه المواد لتلك النساء اللائي سوف يستخدمنّها في أيام العيد، فيجب على النساء أن تظهر بمظهر حسن مليء بالبهرجة والزينة، وأضافت قائلة يا نورس أنا سوف أتبرع لك بكافة أعمال الزينة والتجميل في أيام العيد لأنني وبلا فخر معروفة لدى الفتيات بفنّي وإتقاني تجميل النساء وتبسمت ابتسامة مصطنعة، فقالت لها نورس شكرا لك كثيرا ياسالاريا فأنا متحمسة جدا لأيام العيد وأجواء الاحتفالات.

فقال لها موكاليم مُمازحا نعم يا نورس فعلا ما تقوله لك هذه المخلوقة فهي تجيد فنّ تزيين النساء بطريقة سحرية، فهي بإمكانها أن تجعل العجوز الشمطاء تظهر وكأنّها

شابة بعمر العشرين!!! وصار الجميع يضحكون ويمشون وهم متجهون صوب الحارة.

أما ساركون وسلطان فهما قد عبرا بوابة عشتار الزرقاء الموجودة بجوار القلعة الملكية، حيث كانت هناك الكثير من الدوريات العسكرية ونقاط التفتيش، ولا يوجد شبر واحد في هذا المكان إلا ووجدت فيه عسكريا أو مكلّفا بمهام الحراسة، فالقصر الملكي يمثّل المركز السياسي والأداري والعسكري للدولة، وفيه تُتخذ الأحكام ومن هذا المكان تُدار شؤون المملكة وشؤون المستعمرات والبلدان التي خضعت للإمبراطورية الكلدانية العظيمة، كما تقام فيه الاحتفالات الرسمية واستقبال الوفود القادمة إلى مدينة بابل لتقديم الجزية وغير الجزية أمام الملك.

وما أن وصل ساركون وسلطان إلى البوابة الأولى والرئيسية للقصر والتي تسمى "باب السيدة" التي تكون قبالة معبد الإلهة الأم ننماخ، ولذلك جاءت تسمية هذه البوابة لقربها من ذلك المعبد، كان هذا القصر قد بُني على مصطبة اصطناعية قليلة الارتفاع في موقع منيع مستحكم، تحميه من جهة الشمال امتدادات سوريّ المدينة، ويحيط به من جهة الغرب نهر الفرات، أما من جهة الجنوب فقد

كانت تحده قناة مائية يطلق عليها قناة "ليبل خيكالي" التي تستمد مياهها من نهر الفرات.

وقف ساركون وسلطان عند بداية المدخل وهما بانتظار موافقة رئيس الحرس الملكي للدخول، همس سلطان بأذن ساركون وقال له عندما كنّا في السوق قد اشتريت خنجرا كيشي لغرض استعماله في الصيد عندما أذهب معكم كل مرة، تفاجئ ساركون من كلام سلطان هذا وقال له أنت ماذا تقول إلا تعلم إنّه ممنوع دخول الأسلحة مع الناس العاديين إلى قصر الملك؟ وبدأت علامات الخوف والارتباك تظهر على وجهه فقال له ارجع إلى الخلف بسرعة ولا تلفت انتباه الحراس وأنا سوف اتبعك، لأنّه لو أمسكوا هذا السلاح لدينا فسوف يحكمون علينا بالأعدام أو نصبح عبيدا مسخّرين لخدمة المملكة، لعنتك الآلهة يا سلطان سوف يقضون على حياتنا بسبب جهلك بقوانين القصر والملك!!! عندما سمع سلطان هذا الكلام خاف جدا وارتعدت فرائصه وصار يتراجع بخطوات بطيئة حتى لا يشعر به حراس القصر، وما إن وصل إلى نهاية البوابة نادى عليهما رئيس الحراس بصوت عال-هيّ...إنتما...تعالا إلى هنا؟وقف ساركون وسلطان والتفتا إليه فنادى عليهما مرة ثانية-تعالا إلى هنا...!!؟ فذهبا إليه وهما صامتان،

فقال لهما مالذي جاء بكما ولماذا تراجعتما فجأة؟ تبدو عليكما الريبة والشكوك... هل تخفيان شيئا ما؟ أجاب ساركون أنا ساركون الصياد وأعمل مع "نابوزير" رئيس الطباخين في القصر كمتوسق، وأجلب له يوميا قائمة بالمواد والأسعار لكافة أنواع الأطعمة، ومن ثمّ يرسل هو عبيد القصر لإحضار ما يتم شراءه من السوق، وأشار إلى سلطان قائلا وهذا مساعدي جاء معي!!فقال رئيس الحراس ولماذا تراجعتما عندما رأيتماني؟ فقال ساركون في الحقيقة نحن اشترينا بعض الأدوات المنزلية وأحببنا أنّ نتركها في بيوتنا وبعدها نعود للقصر!!نظر رئيس حراس البوابة وكأنه لم يصدّق ما يقولانه وقال لهما لا بأس عليكما ضعا حاجياتكما في غرفة الحرّاس وادخلا القصر وعندما تنهيان عملكما داخل القصر تعالا وخذا أغراضكما منها؟ فقال ساركون فكرة جيدة، وبالفعل توجه الاثنان إلى غرفة الحراس ووضعا أغراضهما وقام ساركون بلفّ الخنجر في خرقة صغيرة وأخفاه بين الأغراض، وبعد أن خرجا من غرفة الحراس تم تفتيشهما ودخلا القصر بهدوء وسكينة.

كان مدخل القصر يحتوي على ساحة كبيرة ومكشوفة وهي محاطة بصفوف من الغرف كأنّها دائرة حكومية،

وكذلك تجد مجاميع من الناس واقفين بطوابير أمام كل غرفة منتظرين دورهم في الدخول، ويحمل كل منهم الواحا طينية!! سأل سلطان ساركون عن وظيفة هذه الساحة؟ فقال له إنّها دار القضاء وكل غرفة في هذه الساحة تمثّل محكمة معينة.

تعجب سلطان وكأنّه لم يصدّق من شدة الشوق لهذا المكان، فهو دائما ما كان يحلم أنّ يطّلع ويرى سير القضاء والقانون في عصر هذه المدينة، وكيف كانت تتم المحاكمات وإجراءات التقاضي، فطلب من ساركون أنّ يعطيه وقتا قصيرا كي يدخل إلى إحدى هذه المحاكم ويرى كيف تقوم المحكمة فيها، قال له ساركون إذهب يا سلطان ولكن لا تتأخر لأن (نابوزير) ينتظرنا؟ قال سلطان لا لن أتأخر وذهب مسرعا حتى وصل إلى غرفة تتعالى منها الأصوات ومزدحمة بعض الشيء، فدخل فيها وصار يتخطى ببطء وعيونه تنظر إلى الجميع، كانت في ذلك المكان قد أقيمت مرافعة قضائية ويبدو أن وصولّ سلطان جاء في بداية المرافعة.

ففي بداية الغرفة كانت هناك أماكن مخصصة لإعضاء القضاء يتسوطهم القاضي الذي يبدو عليه الوقار والهيبة، فهو ملتح ويرتدي ثيابا فضفاضة وتعتلي رأسه عمامة وشارة من الذهب تتوسط تلك العمامة كعلامة للوظيفة

القضائية و إلى يمينه شخص آخر يرتدي مثلما يرتدي القاضي الأول، ومن الظاهر إنّه نائب للقاضي لمساعدته بالفصل بهذه القضية، وإلى جانبه أربعة أشخاص يعرفون بهيأة التحقيق، أما على يسار القاضي فكان هناك شخصان جالسين يمثلان الإدعاء العام، وفي هذه الأثناء جاء رجل شاب وتوسط قاعة المحكمة وقال بصوت رفيع **(بسم الإله شمش، راعي العدالة وباسط القسط، ومرسي القوانين في الملكوت، أقيمت هذه المحكمة في يوم القمر من شهر الإله آنو ملك السماء، في زمن انتصارات الملك العظيم نبوخذنصر، الأمير المستشار الراعي، أكثر الناس سعة، الذي هو مثل الإله، مثبّت الحق والعدالة، هو مثل الإله شمش، مبيد الأشرار والأوغاد، في القضية المقامة من قبل المدعي "خوزالوم" ضدّ المدعى عليها "أخوشينا" والمدعي عليه "موداشو" أمام قاض القصر الملكي "إيدنم-سن" فتحت الجلسة)**

ساد القاعة هدوء وصمت مخيف، وما أنّ مرت ثوان قليلة حتى بدأ القاضي (إيدنم-سن) بالكلام موجها السؤال الأول إلى المدعي خوزالوم قائلا أنت في هذه القضية المطروحة أمام المحكمة تتهم زوجتك (أخوشينا) بممارسة الرذيلة المحرمة مع أبيك (موداشو) في وقت متأخر من الليل

حيث دخلت غرفتك في وقت متأخر من الليل ووجدت أباك (موداشو) نائما على صدر زوجتك (أخوشينا) وقمت بضربهما كليهما في عصا الصفصاف حتى كسرت يدّ أبيك؟ فقال (خوزالوم) نعم سيدي القاضي ما تقوله صحيح، فقال القاضي وهل تثبّت كلامك في محضر الجلسة؟ فقال (خوزالوم) نعم.

التفت القاضي إلى (موداشو) والد المدعي وقال له لماذا اغتصبت زوجة ابنك في وقت متأخر من الليل؟

فقال (موداشو) سيدي القاضي أنا لم اغتصب زوجة ولدي وما يقولونه عني زورا وبهتانا، فأنا استيقظت في ساعة متأخرة من الليل على أثر صياح زوجة ولدي فقمت من مكاني لكي اكتشف الأمر حتى وصلت إلى غرفة ولدي ووقفت بجانب الباب فبدأ صراخها يعلو أكثر، فما عليّ إلا أن اقتحمت الغرفة فوجدت زوجة ولدي مختبئة خلف الباب، وعندما رأتني جاءت مسرعة نحوي وأغلقت الباب وطلبت مني أن أمارس الرذيلة معها،أما أنا رفضت رفضا قاطعا هذا الأمر وحاولت أن أخرج من الباب فورا، فقالت لي إذا لم تمارس معي سوف أصرخ بإعلى صوتي وأقول إنّ والد زوجي قام بالاعتداء عليّ!!! أنا يا سيدي القاضي كررت الرفض لكنّها عندما شعرت أنني سوف لا

ألبي رغبتها، سحبتني لها وقامت باحتضاني حتى سقطنا سويا على الأرض، فقامت بسحبي مرة ثانية بطريقة أقوى إلى جسدها واحتضنتني بقوة، وفي تلك اللحظات دخل علينا ولدي (خوزالوم) فوجدنا على تلك الحالة، فاستشاط غضبا ولم يعطني فرصة لكي أشرح له ما فعلته زوجته معي، لكن دون جدوى فهو قام بضربي بالعصا وكسر يدي بكل قسوة وتسرع، وأختم كلامي أنني متنازل عن حقي القانوني لو كان لي حق قانوني إزاء ما فعله معي عندما ضربني وأهان مركز الأبوة الاحترام معي!!!

كان جميع الحاضرين في قاعة المحكمة ينظر إلى تلك الفتاة بنظرة حقد واشمئزاز كونها استخدمت حيلة شيطانية وحاولت أن تغوي أبا زوجها البريء، فصاح الجميع اعدموا هذه العاهرة إنّها من سلالة الشيطان، أشار القاضي إلى الجميع بالسكوت فسكت كل من كان في المحكمة ووجه السؤال إلى المتهمة (أخوشينا) وقال لها لماذا فعلت فعلتك هذه في حين أنّه لم يمض على زواجك من (خوزالوم) سوى أسبوع واحد؟ هل كان في زوجك عيب جعله يسقط في نظرك فتخونينه مع أبيه؟

كانت (أخوشينا) تبكي بمرارة وعبراتها كأحجار من الرمل الساخن تحشرج في حنجرتها وقالت سيدي القاضي

أقسم بقدسية الآلهة وأرواح الملوك والصالحين إنني مظلومة وما يقوله هذا الرجل العجوز غير صحيح ومنافٍ للحقيقة، فقال القاضي أذن احكي لنا الحقيقة؟ فقالت سيدي القاضي أنا في ذلك المساء بعد أن انتهينا من العشاء أنا وزوجي خوزالوم قال لي سوف أذهب إلى بيت أحد الأصدقاء بأطراف المدينة، وأعتقد إنني سوف أتأخر فلا تنشغلي أو تخافي، أنا قلت له لك ذلك يا عزيزي سوف أبقى بانتظارك مستيقظة، وإذا تأخرت كثيرا سوف أنام، فقال لي نعم يا حبيبتي وأردف قائلا هل قدمت العشاء لوالدي؟ فأنا انتبهت متأسفة جدا وقلت له لا كيف أنني نسيت هذا؟ لا تؤاخذني ياعزيزي؟ سأقوم حالا وأحضر العشاء له، فقال زوجي مستغربا ألم تعرفي إنّه اليوم لا يوجد أي فرد في البيت سوى أنا وأنت وأبي لأنّ بقية العائلة ذهبوا إلى بيت جدي وأخوالي في مدينة أور؟ سامحتك الآلهة يا أخوشينا قمي بسرعة وقدمي العشاء لأبي وأنا سوف أذهب إلى بيت صديقي، وبالفعل ذهب خوزالوم وأنا قمت بسرعة وقدّمت العشاء لوالد زوجي بعد إن اعتذرت منه أشد الاعتذار على التأخير، وفي الحقيقة سيدي القاضي أنا أحسست بشيء غريب يصدر منه، كانت نظراته جريئة وحركاته وقحة، فهو كان يحدّق بكلّ شبر في جسدي وعيونه تأكلني شغفا وشهوة، وعندما شعرت بما صدر منه أسرعت بالخروج من الغرفة التي

كان فيها ودخلت وأغلقت الباب بإحكام، وما أن مرت ساعة وإذا بباب غرفتي يُطرق فقلت من الطارق؟
فقال أنا مودابشو.

قلت له ماذا تريد.

قال جئت أسأل عن خوزالوم أهو بجانبك؟
فقلت لا ياعم أن خوزالوم ذهب عند صديقه وقال إنّه قد يتأخر
قال وهل تعرفين من هو صديقه الذي ذهب عنده؟
فقلت له لا لكن قال لي أنّ بيت صديقه يكون موقعه في خارج المدينة.

قال تمام شكرا لك، وذهب، وفي الحقيقة يا سيدي القاضي أن والد زوجي هذه أول مرة يأتي فيها لعند غرفتي ويسأل عن خوزالوم.

قال القاضي اكملي كلامك يا أخوشينا بعدها ما الذي حدث؟
قالت بعد ساعة أخرى أحسست أنّ هناك شيئا يقترب من غرفتي،وكأن عيونا تتلصص من خلف الباب، لكنني ما كنت مهتمة لذلك لأنني حسبتها بعض القطط أو الجرذان وشيئا فشيئا مضى الوقت وغشاني النعاس فنمت، وما أحسست إلا على صوت باب الغرفة الخشبي قد دُفع بقوة وإذا به عمي مودابشو واقفا فوقي وبدأ يعتدي عليّ بطريقة

حيوانية متوحشة، فقاومته بشدة ودفعته بكلتا يديّ ورجليّ وصرخت واستنجدت لكن ما من مجيب أو منقذ حتى أنني عضضت ساعده بإسناني بقوة، وخدشت رقبته بأظافري، وبقيت أقاومه حتى آخر لحظة!!

في تلك الأثناء دخل علينا زوجي خوزالوم وشاهدنا في ذلك الوضع المشبوه، أما أبوه على الفور صار يبكي ويتمسكن واتهمني بأنني من قام بالاعتداء عليه، أما خوزالوم قد فَقَدَ السيطرة على أعصابه، وبدأ يضرب أيّ شخص أمامه فضربني وضرب أباه بعصا الصفصاف القاسية...

في تلك المحكمة كان الجميع بحالة من الشك والريبة من خلال سماع أطراف الدعوى يا ترى من هو الصادق بكلامه؟ هل والد الزوج مودابشو الذي أدّعى بأنّه مظلوم، وأنّ هذه التهمة هي أفعال مفبركة قامت بها امرأة محتالة!!؟ أم يصدّقون كلام أخوشينا زوجة المدعي خوزالوم التي أقسمت بقداسة الآلهة والملوك العظام بأنّها مظلومة وقد سقطت بحبال الاتهام والاعتداء من قبل والد زوجها الذي قادته شهوته إلى اغتصاب زوجة ولده.

قال القاضي بعد إنّ استمعنا إلى أقوال أطراف الدعوى نوجه السؤال إلى الهيأة التحقيقة هو أن يدلوا بما توصلوا إليه من نتائج وحقائق، فقام أحد عناصر الهيأة التحقيقية في

هذه الدعوى ويبدو أنّه رئيسهم، مُبتدأً كلامه بحمد الآلهة والثناء على الإله شمس وقال سيدي القاضي من خلال جمع الإدلة والتحريات بهذه القضية فقد تبين على ما يلي

أولا- عندما ذهبنا إلى المكان الذي حصل فيه الاعتداء وجدنا باب الغرفة قد كسر من الخارج، أي تمّ من الجهة التي قدم موادبشو

ثانيا- أكد لنا العرّاف إنّ الخدش الذي كان برقبة موادبشو كان بفعل إنسان، أي ليس بسبب حيوان وليس هو من قام بخدش نفسه

ثالثا- تأكد أيضا وجود عضة إنسان بساعد موادبشو، عضة ليست بفعل حيوان أو أي مفترس آخر، لأنّ الأسنان التي تمت بها عملية العضّ هي أسنان عريضة لإنسان وغير عميقة وهذا يوحي أنّ هناك مقاومة قد حدثت من قبل المعتدى عليها

رابعا- أن جميع الجيران المحيطين ببيت أصحاب الدعوى قالوا أنّهم سمعوا صوت امرأة يخرج من البيت وصراخا يقول ابعد عني... ابتعد عني، وهذه الدلائل والقرائن كلّها تكون ضدّ المتهم موادبشو!!! التفت القاضي (أيدنم-سن) إلى يساره وقال لهيأة الإدعاء وما هو رأي الإدعاء العام بهذه القضية؟ وما هي القناعات التي توصلتم إليها؟ فقام

شخص من الإدعاء العام وقال قبل أن يعطي الإدعاء العام رأيه وقراره سوف أتوجه بالسؤال إلى المدعي خوزالوم والمدعى عليها أخوشينا فسأله هل أنّه دخل بزوجته المدعوة بأخوشينا أم لا؟ أيّ هل تمت عملية الدخول فعلا بينكما؟ فقال خوزالوم نعم لقد تم ذلك وكذلك قالت أخوشينا نعم قد تمّ ذلك، فقال ممثل الإدعاء العام بعد الحجج والدلائل التي ثبتت على المتهم المدعو موداشو فإنّه هو من قام بالاعتداء على المدعى عليها أخوشينا ويجب إنزال العقوبة القاسية على المتهم موداشو حتى يكون عبرة لأيّ شخص يعتدي على محارمه ولا يراعي قوانين شمش العظيم!!نظر القاضي إلى أعضاء هيأة المحكمة وطلب بعض الوقت للمداولة والنطق بالحكم، وما أنّ مرت دقائق حتى عادت الهيأة وافتتحوا الجلسة مرة أخرى بسم الإله شمس والملك فوقف الجميع لاستماع الحكم في القضية، فقال القاضي:

(بسم عدالة شمش الكبير،صاحب شريعة العدل، ومنجّي المظلومين،ومؤدب الأشرار،بعد الطّلاع على كافة تفاصيل الدعوى والإستماع إلى أطرافها والمعنيين بها، حكمت محكمة القصر الملكي العظيم بتوثيق المتهم موداشو من أقدامه ويديه وقذفه في نهر الفرات حتى الموت،عملا بالمادة 155 من قانون حمورابي الكبير-رفعت الجلسة).

انتهت هذه المحكمة وخرج الجميع من تلك القاعة وذلك استعدادا وتحظيرا لمحكمة أخرى، خرج سلطان مع الخارجين وهو يفكر في نفسه عما رأه في قاعة المحكمة ويقول عجبا كيف أفهمونا أنه في زمان بابل القديم كان نكاح المحارم جائزا؟ وكيف قالوا لنا أنّ الناس هنا يتبادلون المعاصي والرذائل فتجد الأخ ينكح أخته أو أمه،والأب ينكح أمه أو ابنته!! فلو كان هذا صحيحا فلماذا وجدنا شرائعهم وقوانينهم تحرّم هذه الأفعال؟ وكيف أفهمونا أنّ هذه البلاد ملعونة والعدلُ غائب فيها ؟ قسما أنّها لمؤامرة تاريخية حيكت على هذه البلاد كي يدفنوا مجدها وحضارتها التي سُرقت في وضح النهار!!

صار سلطان يتلفت يمينا وشمالا وسط العشرات من الموظفين والمراجعين ومرتادي القصر باحثا عن ساركون ويبدو أنّه أضاعه في ذلك الزحام، وبعد عناء طويل من اجتياز جمهرة من القضاة والشرطة والموظفين بشقّ الأنفس وجد سلطان نفسه مندفعا إلى ساحة أخرى مجاورة لساحة القضاء مباشرة، وهي الساحة الثانية من ساحات القصر الملكي، وإذا بها لا تختلف كثيرا عن الساحة الأولى إلا أنّها تحتوي على عشرات الغرف موزعة على جانبي الساحة الشمالي والجنوبي، فالتي في الشمال هي غرف خاصة تستعمل لخزن الأغراض اللوجستية وكذلك تحتوي على المطابخ والمخابز وأماكن

خزن المؤن والتبريد، أما في الجهة المقابلة فكانت مخصصة لإعمال إدارة الموظفين وتنفيذ القرارات والأوامر الملكية.

كانت هذه الساحة أقلّ ازدحاما من التي قبلها وبها نوع من التنظيم والانسابية، فتش سلطان في الجناح الجنوبي من هذه الساحة فلم يجده، ففكر في نفسه وقرر أن يكتشف هذا القصر ويطّلع عليه أكثر، وصار يمشي متجها إلى الأمام إلى عمق القصر فخرج من تلك الساحة حتى وصل إلى الساحة الثالثة، وإذا بها أكبر الساحات وأهمها،يوجود فيها مقر الحكم وقاعة عرش الملك نبوخذنصر، فحين تتوسط هذه الساحة وتنظر إلى الشرق منها فسوف تواجه جدارية كبيرة زرقاء اللون أشبه باللوحة السماوية قد غلفت كل الجدار الخارجي لقاعة العرش بأكمله، وكأنها لوحة خزفية تحتوي على أشكال الرسومات والمنحوتات منها أشجار النخيل التي تحورت سعفاتها إلى ما يشبه الأشكال الحلزونية الزرقاء اللون، وكذلك في المنظر نوع من الأزهار البرية بيضاء اللون ذات المراكز الصفراء، وقد ربطت أشجار النخيل العملاقة بهذه الجدارية بخزفة نباتية ملتفة عليها البراعم النباتية ومتشابكة.

وكذلك المشهد الأسطوري العجيب لصفوف من الأسود كأنّها تسير ببطء على طول واجهة القاعة، كانت تضم الكثير من الجنود والحراس والموظفين كونها الساحة

المهمة التي يقع فيها المقرّ الرسمي الملكي، وفيها تنظم الاستقبالات وفيها يمتثل دافعوا الجزية والسفراء الأجانب.

كان سلطان متشوقا إلى حدّ الشغف لرؤية ولقاء الملك الكلداني نبوخذنصر أو يلقي عليه نظرة واحدة حتى وإن كانت من بعيد!!فصار يسرع الخُطى متجها نحو قاعة العرش، حتى وصل إلى بوابة تلك القاعة التي تعجّ بصفوف الحرس،أراد الدخول لكنّهم منعوه كونه لم يأت بصفة رسمية ولم يكن أحد موظفي القصر!!!

وفي هذه الأثناء وصل موكب من عشرة رجال يرتدون ملابس ليست بابلية وقد جردوهم من أسلحتهم وهم يرومون الدخول على الملك، فوقفوا لدقائق على تلك الباب وهم ينتظرون الدخول كون أنّ الملك لديه ضيوف آخرون، بدأ سلطان يخفي نفسه بين رجال هذا الموكب البشري كي يدخل معهم دون أنّ يشعر به أحد، وبالفعل جاء دور هولاء الناس بالدخول فدخلوا ودخل سلطان معهم!!! وعند دخوله من باب قاعة العرش جاءت نسمة من العطر الملكي جعلت الجميع ينتعشون وتستريح أرواحهم اطمئنانا وحبا.

كانت قاعة العرش مزينة من الداخل بلوحات جدارية مزججة عبارة عن حيوانات أسطورية بألوان مختلفة،

وهناك صفوف مربعة من أعمدة الرخام وهي تحمل مزهريات من الزمرد والياقوت وتحمل الزهور والبخور الحجري.

صار أشخاص الوفد يسيرون على السجادات الأرضية الفاخرة مختلفة الألوان والأحجام، وسلطان يسير خلفهم وعيونه تنظر إلى بهاء القصر وروعته، كانت هناك تماثيل متقابلة في قاعة العرش لإسود وثيران إلهية قد صنعت من الذهب وأخرى من الأحجار الكريمة، وستائر ذات الوان ناصعة جعلت المكان يفوح بالجمال والاطمئنان، إضافة إلى السقوف المبنية من خشب الأرز اللبناني التي تنبعث منها الروائح الزكية.

عندما وصل ذلك الوفد إلى مكان قريب من عرش الملك ورأوه جميعهم انحنوا بنصف سجدة تعبيرا عن الاحترام والخضوع، وما أن هبطوا بالانحناء له حتى انكشفت صورة الملك أمام سلطان وإذا به يرى الملك الكلداني نبوخذنصر جالسا على كرسي فخم مصنوع من الذهب وقد ترصّعت جوانبه بأحجار من العقيق والزبرجد، وقد ارتفع ذلك العرش مسافة مترتين عن مستوى الجالسين، وحول العرش كان هناك غلامان يافعان كلُ واحد منهما يمسك بيده مروحة كبيرة مصنوعة من ريش النعام ويحركها بهدوء ورقّة اتجاه الملك.

كان الملك نبوخذنصر يتمتع بكاريزما متجبرة رهيبة ملأت ذلك المكان بالوقار والحضور، وكان فوق رأسه تاج متوسط الحجم مرصع بالأحجار الثمينة تشعّ منه بروق تتألق وتخطف الأبصار ويرتدي عباءة سلطانية زرقاء تحتها قميص أبيض طويل موشّى بخيوط ذهبية وقد طُرزت حوافه بزخارف بابلية، بعد أن أكمل الضيوف سجدتهم بحضرة الملك، أشار لهم بالسماح بالكلام، فقال الذي يتقدمهم أنا يا سيدي بعثني ملك (عمون) وهو يقرؤك التحايا وقد أحضر لك ما هو مطلوب من مملكته من الجزية، فأنا أتيتك محملا بالجواهر والأموال التي يجب أنّ ندفعها لكم سنويا، وقام شخص آخر وقال له أنّ ملك (يهوذا) يقرؤك التحايا وقد بعث معي الجواهر والأموال والحبوب والصوف تسديدا للجزية المفروضة على المملكة، وقام مبعوث ملك (كيلكيا) ومبعوث (أيدوم) وقالا مثلما قال السابقان..

تراجع سلطان بضع خطوات وهو يهمّ بالخروج فسمع الملك يكلم مبعوث مملكة (يهوذا) وهو يقول له: بلغني أن في أورشليم بدأت تظهر حركات مناوئة لسلطة بابل العظيمة وصار ملككم (صدقيا) الذي وليناه عليكم يتمرد مع ثلة وقحين من الممالك الآخرى المجاورة (ليهوذا)!!!

فقل له يقول لك إمبراطور بابل إذا لم تخضع لأوامرنا وينفذّ ما تمليه عليه مملكة بابل الجبارة، فسوف نأتيه بجيش جرار لا تصدّه عربات الفراعنة ولا توقفه أسوار أورشليم!!! انحنى مبعوث يهوذا احتراما للملك وقال حاضر سيدي سوف أبلّغ مولاي صدقيا بهذا الأمر، اسمح لي بالانصراف جلالتك، فخرج وخرجت جميع الوفود وكذلك سلطان من قاعة عرش الملك.

كان ساركون يبحث عن سلطان في ساحات القصر وإنه عرف أنّ سلطان دخل قاعة العرش لأنّ سلطان كان قد ألحّ عليه للمجيء لهذا القصر لكي يرى الملك، وبالفعل كان ساركون واقفا عند باب الساحة الرئيسية منتظرا خروج سلطان من تلك القاعة، وعندما رآه صاح بصوت عالٍ تعال إلى هنا يا سلطان أنا هنا بانتظارك، وفور وصوله قال له كيف استطعت أنّ تدخل لقاعة العرش فهذا الأمر ممنوع ويستوجب العقاب إذا تمّ بصورة غير رسمية؟ فقال سلطان دخلت متخفيا مع هذا الوفد وأشار إلى مجموعة من الناس يخرجون من بوابة الساحة، أندهش ساركون وقال له أنت ماذا صنعت يا أبله؟ أتعلم لو عرفوا بك أنّك دخلت على الملك بصورة غير رسمية، فسوف تعاقب بعقوبة قاسية، هيا بنا نخرج من هذا القصر فلو بقينا أكثر فسوف تتسبب بإعدامنا، وصار يمسك بيده ويمشي نحو باب الخروج، توقف سلطان عند باب

الخروج واستحلف ساركون أنّ يدعه يدخل إلى ساحات القصر الآخرى، فقال ساركون يا سلطان إنّ هذا القصر هو قصر الملك وتوجد به العائلة الملكية، وفيه خمس ساحات متوزعة بشكل عمودي، وكل ساحة تتبع الساحة التي تليها، الساحات الثلاث قد اكتشفتها أنت، وما تبقّى ساحتان، وهما مخصصتان لعائلة الملك وخدمه وحواشيه فلا أنت ولا أنا نستطيع الوصول إليهما، هيا يا سلطان فالنخرج أنت اليوم تسير بنا إلى الهلاك وأمسك بيده بقوة وعصبية وخرجا من القصر صامتين.....

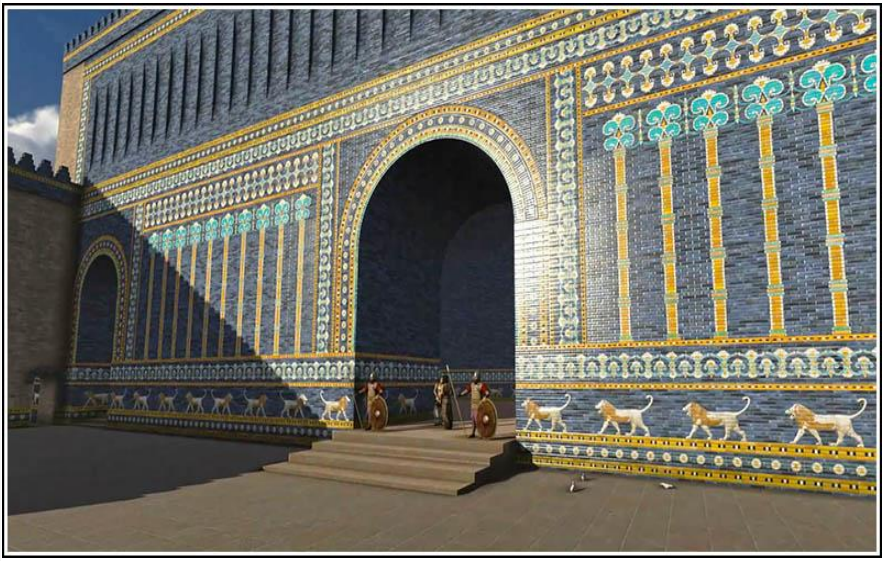

قاعة عرش الملك نبوخذنصر

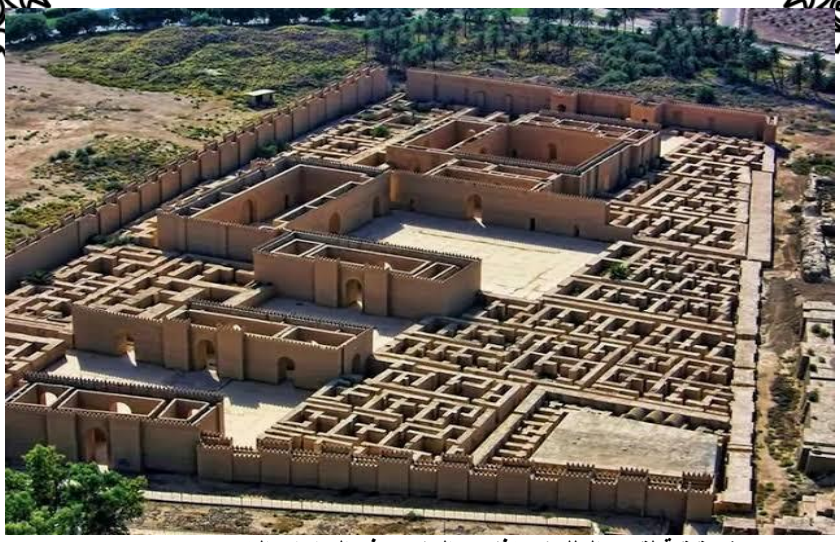

صورة حقيقية لقصر الملك نبوخذنصر الجنوبي ذو الساحات الخمس

صورة تخيلية للقصر الجنوبي والذي تظهر فيها الساحات الخمس تتوسطها قاعة العرش،وهذا القصر محاط بالسور الداخلي وتظهر إلى جانبه حدائق بابل المعلقة

تظاهرة الآلهة وقصة خلق الإنسان الأول

مازال سلطان لم يرو شغفه من سلافة العشق والحنين لنسيم التاريخ العتيق، ولم يتعب من الإبحار في لجج الزمن الإسطوري، الذي من أينما تدخل له تجده يحاكي العقل والحقيقة، زمن مُضيء بنجوم الحضارة والإنسانية، ويتمجد بشوق أبدي خالد لأخر غفوة للأرض باحضان الوجود، فترى سلطان يخرج وحيدا في كل يوم منذ الساعات الأولى من كل صباح سائرا بين الحارات والبيوت، بين المعابد والقصور، بين الأنهار والبساتين، كأنّه قد أضاع شيئا أو فقد عزيزا ومضى يبحث عنه بلا ملل أو كلل، فالتجوال بين معالم المدينة، والنظر إلى إبداع ما يصنعه هؤلاء الناس يترك في روح سلطان سحرا يفوح بالمتعة والرضا...

كان سلطان دائما ما يتطلع للذهاب إلى بيت الكاهن ناجايد، ويحاول أنّ يحتكّ به ويكوّن معه علاقة ألفة وصداقة أو يكون مقرّبا منه، لأنّ سلطان وجد بالكاهن ناجايد ضالته بالبحث والاطلاع على ثقافة هذه البلاد، ورأى أنّ هذا الكاهن سوف يأخذ بيده إلى ضفاف الأسرار التي تحيط بتاريخ الكلدانيين وآلهتهم، فصار سلطان يتحين للذهاب

لعنده دائما، وفي أحد الأيام قرر سلطان أنّ يزور الكاهن ناجايد في بيته وقت العصر خصوصا أنّ الكاهن ناجايد قد أصبح قريبا جدا من المكان الذي يوجد فيه سلطان في تلك الحارة، كون ذلك الكاهن قد استأجر بيتا متواضعا في حارة العم تراكسيس، وفعلا ذهب سلطان إلى بيت الكاهن، وقبل أن يصل إلى بيت الكاهن بمسافة قصيرة كأنّه سمع صراخا وبكاء لطفل صغير وأن هناك من يقوم بضربه وتعنيفه، صار سلطان يُبطء الخُطى ويتأكد من ذلك الصوت، فيسمع صوت الطفل يقول له ارحمني أحلفك بمن تؤمن به...لا تضربني أرجوك... أه أوجعتني لا تضربني، وما على ذلك الذي يقوم بضربه إلا أنّ يزيد بقسوته عليه، كان ذلك الطفل يركض في غرفة طينية ويختبئ بين زواياها هربا من سياط ذلك الجلاد اللعين وهو يسترحمه ويتوسل له بأنّ يكف عن الضرب ولكنّ دون جدوى فالجلاد بكل ثانية يحمل عليه بحزمة موجعة من الضربات القاسية، أراد سلطان أنّ يتجاهل الأمر ويحسب أنّ ذلك الجلاد هو أبو الطفل ويبدو أنه قد ارتكب خطأ بحق أبيه وهو الآن يعاقب،على اعتبار أن المجتمع هو مجتمع أبوي ويعطي صلاحيات للأب بممارسة مثل هكذا أساليب مع أبنائهم، فمشى بضع خطوات لكنّ قلبه بقي عند ذلك الطفل المسكين وقد أوجعت خواطره توسلاته وصوت بكاءه...

وصل سلطان إلى باب بيت الكاهن ناجايد رفع يده كي يطرق الباب وهو يرمق البيت الذي تخرج منه صرخات الطفل بنظرات حزينة ويائسة؟ أراد أن يطرق الباب لكنه لم يستطع فرجع راكضا وقلبه يستشيط غضبا وانكسارا، فهو قد نفذ صبره واندفع بلا شعور نحو البيت، فدفع الباب بقدمه ودخل البيت بلا استئذان وهو يفتش في الغرف ويتبع مصدر الصوت حتى وصل إلى الغرفة التي يوجد فيها وإذا هي مغلقة بإحكام ويبدو أن ذلك الجلاد قفلها بالحديد فصاح سلطان يارجل افتح الباب؟ لماذا تضرب هذا الطفل؟

عندما سمع ذلك الطفل صوت سلطان كأنه استعاد الأمل بالنجاة واستبشر قلبه وتخيل إن سلطان منقذه ومخلّصه من براثن ذلك الجلاد، فصاح مسترحما ومتوسلا بسلطان وهو يقول يا عمّ تعال وخلصني من سياط هذا الظالم، أنا سوف أموت تحت يده، أراد سلطان أنّ يفتح الباب المقفل فلم يستطع، حاول أن يكلم ذلك الرجل الذي يضرب الطفل ويهدئ من عصبيته ويقنعه بأن يفتح الباب، فلم يقبل ذلك الرجل وكأنه وحش يمزق فريسته بكل قسوة، وقف سلطان محتارا ماذا يفعل لإنقاذ هذا الطفل، يجب أن يتصرف وما عليه إلا أن يتراجع بضع خطوات وينطلق كالسهم نحو الباب فضربه بقدمه ضربة قوية فكسر الباب وتمكن من الدخول، فرأى رجلا أصلع الرأس عظيم الجثة ماسكا بيده

طفلا لا يتجاوز أحدى عشر سنة، وبيده الأخرى سوطا أسودا كذنب الثور ويضرب فيه ذلك الطفل بطريقة عجيبة!!! والطفل يبكي ويتلوى من شدة الألم، وقد تركت تلك السياط أثرا دمويا على جسده.

أسرع سلطان نحوهما وفكّ ذلك الطفل من يديّ الجلاد واحتضنه وخرج به مسرعا إلى فناء الدار، نظر سلطان في عيون الطفل وكأنّه رأى فيهما حكايات تعاتب الزمن بنظرات صامتة وأسئلة حزينة تستجوب الإنسانية والضمير، فلا يوجد مخلوق في هذا الكون أكثر وحشية من الإنسان، ولا يوجد مفترس في الوجود ينافسه على هذه الصدارة

قال سلطان لذلك الطفل من هذا الرجل؟ ولماذا يضربك هكذا؟

فقال له الطفل هذا عمي الذي تزوج أمي بعد وفاة أبي...

قال سلطان أين أمك وأخوتك فبيتكم هذا لا يوجد فيه أحد؟.

فقال الطفل أنا لديّ أختان فقط، مات أبي وترك لنا هذا البيت وأرضا زراعية خارج المدينة، وفي هذا اليوم أيقظنا زوج أمي قبيل الفجر وأجّبرنا جميعنا على الذهاب معه إلى العمل في المزرعة، وقبل قليل أرسلني إلى البيت كي أحضر له الفأس،ولأنني ضعيف ولم أنم جيدا ليلة أمس وجدت نفسي قد غفوت على السرير فأنا كنت نعسا ومتعبا

جدا ولم أقصد أنني أنام ولكن هذا الذي حدث؟ أنا أقسم ياعم لا أعرف كيف نمت؟ فعظامي مرتخيات وبنيتي ضعيفة وليس لديّ طاقة على العمل في الحقل وعندما تأخرت جاء زوج أمي إلى البيت ورأني نائما على السرير فأيقظني بصياحه وسياطه،وبدأ الطفل يختبئ بين أحضان سلطان وهو يرتعش خوفا وفرقا....

مسح سلطان على رأسه وقال له لا تخف يا صغيري فهو قد ذهب بعيدا وأنت الآن بأمان، كان سلطان وهو يشاهد هذا الطفل يتلقى السياط من ذلك الرجل الظالم، يتذكر أنه قد مرّ به بمثل ما مرّ بهذا الطفل عندما كان صغيرا في الخامسة عشر من عمره!! يتذكر أنّ ابن عمه ضربه بالسياط بعد أن أغلق باب الغرفة وأحكم على سلطان بالجلد والعذاب.

ابن عمه الملقب "أبو نقروزة"حيث كان يتحجج على سلطان ويبحث عن أيّ سبب لكي يضربه حتى وإن كان سببا تافها، كون أنّ سلطان وأخته كانا يسكنان عندهم، وهذا ما شجع "ابو نقروزة" أن يخلوا له الجو فيمارس قذارته النفسية بلا محاسب، بمعنى إنّه لو ضرب سلطان وأخته لا يوجد من يُحامي عنهما، فتولّدت عنده أفكار شيطانية بأن يتشفّى بضرب سلطان ويرضي غريزته

السلطوية بجلد إنسان ضعيف وعاجز حتى عن الدفاع عن نفسه وبلا سبب.

وفي أحد الأيام وجدّ "ابو نقروزة" سلطان يلعب عند باب البيت فقال له اتبعني إلى بيتي لأنني أريد أن أرسلك إلى السوق كي تشتري لي بعض الأغراض، وما أن مرت دقائق معدودة حتى ذهب سلطان إلى بيت "ابو نقروزة" الذي يبتعد عن بيت عمه مسافة مئة متر.

عندما وصل إلى بيت ابن عمه وجده في البيت وكأنّه كان مخططا لهذه الفعلة الدنيئة، فهو قد أرسل زوجته وأطفاله إلى بيت جدهم ليخلوا له البيت ويتمكن من ضرب سلطان فلا يوجد أحد يمنعه، وفعلا إنّه كان جالسا في نهاية غرفة الاستقبال وعندما رأى سلطان قال له تعال، فجاءه سلطان وهو يحسب أن "ابو نقروزة" يريد أن يعطيه نقودا كي يشتري بها أشياء هو يحتاجها وما أن وصل سلطان قريبا منه فقام "ابو نقروزة" مسرعا وانقضّ عليه ومسك بيده بقوة وأخرج سوطا أسودا وهو عبارة عن "قايش" سير مصنوع من المطاط دائما ما يستخدم لتحريك الدواليب في محركات السيارات.

عندما رأى سلطان ذلك السوط يتلوى كأنّه ثعبان مذعور، نظر في عيون "أبو نقروزة" فرأها تشتعل حقدا وكرها ومتعطشا لضربه ، أو كأنّه كلب جائع يريد أن ينهش جسد سلطان ويشبع غريزته الحيوانية بجلد طفل لا يعرف لماذا يعاقب بهذه الطريقة، وصار يضرب سلطان بأقصى ما يمتلك من قوة وقذارة!!

يتذكر سلطان إنّه كان يسترحمه ويتوسل له أن يكفّ عن ضربه بهذه الهمجية، لكنّ "أبو نقروزة" كان فاقدا ومستمعا بجلد سلطان الصغير ذي الجسد الضعيف الذي لا يحتمل لسعات السياط.

استمر "أبو نقروزة" بجلد سلطان بما يقارب عشرين دقيقة دون توقف!!! كان سلطان يشعر مع كل سوط ينزل على جسمه ينهش معه قطعة لحم نيئة فيشهق إلى الله وجعا وندبا لكن ما من مجيب!!! كان ذلك الموقف المرعب قد أثر في سلطان وشخصيته ودائما ما يتذكره ويردد في نفسه أبشع عبارات التساؤل والعتب.

لماذا هذا الظلم يا بني البشر؟ لماذا تنكلبون عندما تكون السلطة بإيديكم فتعبرون عن النقص والفراغ الذي يعتري نفوسكم بقتل بعضكم والاعتداء فيما بينكم؟ وما كان "أبو

نقروزة" هذا إلا كلب بشري ونموذج قذر لأولئك الذين ينتزعون ضمائرهم وإنسانيتهم ويستسلمون لغرائزهم الحيوانية!!!

وفجأة جاءت أمّ ذلك الطفل وأختاه وهنّ يركضنّ مذعورات فدخلنّ الدار فوجدنّ سلطان جالس القرفصاء وبين أحضانه ذلك الطفل وهما يبكيان سويا، فالطفل يبكي من شدّة آلام السياط، وسلطان يبكي من وجع الذكريات التي لا تفارق مخيلته أبدا، فلا فرق بين وجع الضرب على الجسد وبين وجع الذكريات الحزينة فكلاهما يترك أثرا مشوها بذاكرة الإنسان.

قالت تلك المرأة لسلطان أنا أشكرك كثيرا على ما قمت به من فعل نبيل وأنقذت ولدي من براثن ذلك الكلب الحقود، فهو لعنة سلطتها علينا الآلهة، فقال لها سلطان لا عليك...لا عليك، وخرج من ذلك البيت حزينا وهو يكفكف دموعه ويخفي نشغاته وصار يمشي هادئا حتى وصل إلى بيت الكاهن ناجايد فطرق الباب، واستقبله الكاهن كأنّه عرف إنّ سلطان يعاني من وجع في القلب وانكسار بالخاطر.

بعد أن دخل سلطان وجلس في الغرفة وحكى قصة ذلك الطفل، وما قام به من فعل وكيف أنقذه من بين يديّ ذلك الجلاد، قال له الكاهن ناجايد أحسنت فعلا ولا تخف فأنا

سأكون بجانبك لو فكّر أحد أن يتعرض لك وأردف قائلا لقد جئت بوقتك يا سلطان فأنا كنت احتاج إلى من يساعدني في نقل وترتيب أثاث البيت، وأنت تعلم أنني رجل كبير في السنّ وليس معي سوى ابنتي وهي لا تستطيع أن تنقل الأثاث كونه ثقيل جدا، فأنا أحتاج لشخص قوي مثلك...

فقال له سلطان أنا موافق بكل رضا وقبول في أن أساعدك، ولكن لي طلب منك؟

قال الكاهن أطلب يا سلطان لعلني أستطيع...

فقال سلطان أريد أن تحكي لي قصة خلق الإنسان الأول؟ وكيف عملت الآلهة هيأته؟ ومن هي الآلهة التي تكفلت بخلق أول إنسان؟

فقال الكاهن هذا الأمر سهل جدا، سوف أحكي لك ما طلبت معرفته، وأنت بالوقت نفسه ترتب الأثاث؟ ولكن اعلم إن قصص الخلق وصناعة الإنسان الأول وردت عنه روايات كثيرة موزعة على شتى الثقافات والحضارات، فقصة الخلق السومرية تختلف بعض الشيء عن قصة الخلق عند الآشوريين وكذلك اختلافها في الثقافة الأكدية والبابلية الكلدانية، لأن كل حزب يرويها بحسب ثقافته الدينية والسياسية ولكنني سوف أُحاول أن احكي لك

قصص خلق كل الحضارات والثقافات الموجودة في بلادنا وما هي الغاية والكيفية من الخلق البشري.

فقال سلطان نعم موافق.

وبدأ الكاهن ناجايد يقصّ على مسامع سلطان قائلا: فيما مضى قبل أن يتم خلق الإنسان كان الملكوت كله بيد الآلهة حيث لا يوجد بشر، وكان هناك نوعان من الآلهة هما آلهة الآنوناكي السبعة وهي الآلهة الأرضية، وآلهة الأيجيجي وهي الآلهة السماوية، وقد عمل هذان النوعان سويا على الأرض وفي السماء، ولكنّ كان الجهد الأكبر والتعب والإرهاق على الأيجيجي، وعلى أية حال كانت الآلهة قوية في سمائها، ومسرورة على الأرض حيث كانت الأرض مكان عيش الآلهة، وكانت المدن مرتعا لها، وكانت هناك أيضا آلهة أخرى تحت الأرض في العالم الأسفل، وفي أحد الأيام تجاسرت آلهة العالم الأسفل، واختطفت الإله تموز وعشتار، فقال له سلطان ومن هو الإله تموز؟

قال الكاهن ناجايد الإله تموز هو الإله الرعي والطعام، فهو كان موفّر الطعام والشراب للجميع، وهو كذلك زوج آلهة الحب والخصب عشتار، وعند اختطاف زوجها الإله تموز قررت النزول إلى العالم الأسفل لتحريره، وفعلا نزلت عشتار إلى ذلك العالم الموحش، وباختطاف الإله

تموز ونزول الآلهة عشتار عمّ القحط والخراب على الأرض وساد الجوع والعطش، فلا زرع ينبت، ولا ماء يغدق، ولم يعد الثور مع البقرة، ولا الحمار مع الأتان، وافترق كل ذكر عن أنثاه، وأجدبت الأرض واكفهرت وجوه الآلهة وحزنت وقلّ سرورها، فالطعام لا يكفي والشراب لا يكفي!! من يحرث؟ من يزرع؟ من يسقي؟ من يحصد؟ومنذ ذلك الحين كُتب العمل على الآلهة،وفرضت عليها الخدمة وتحضير الطعام والشراب، أما الآلهة العظام كانت تراقب العمل،وترى الآلهة الصغار تحمل السلال والمعاول وتحيي المدن وصاروا مثل الخدم ووجب عليهم حمل السلة، فكانت سلّتهم كبيرة وعملهم شاقا، وفي الحرّ لامس التراب وجوه الآلهة من أجل شق القنوات والأنهار، وكانوا يعملون بالليل والنهار.

بعد أربعين سنة من العمل كانت الآلهة يئنون.. يبكون..يصرخون، فقرروا أن يتظاهروا ويعلنوا العصيان، فتظاهروا أمام مسكن الإله أنليل، إله الهواء والعواصف، فأضرموا النار في معاولهم ومساحيهم وسلالهم، وحملوها مشتعلة إلى باب البيت، وعلى أثر تلك التظاهرة حضر الآلهة الكبار آلهة الأنوناكي وعقدوا اجتماعا طارئا بمعبد أنليل المحاصر، فقال لهم أنليل إني أرى إنّ واحدا من

الآلهة وراء هذه الثورة، فأمر وزيره (نسكو) ليكتشف أمر هؤلاء المتظاهرين، خرج (نسكو) ورأى الآلهة الصغار غاضبين وهم يحملون السلاح ويشعلون النار،وهي عاقدة على إنهاء الظلم الذي أحاط بهم، فقال لهم (نسكو) من منكم حرّض على هذه الفتنة؟ فأدرك هولاء الآلهة أنّ انليل يريد إنزال العقوبة على واحد منهم،وإخماد نار الثورة، فهتف الجميع: كلنا نريد خوض المعركة لقد أنهكنا العمل الشاقّ، أنهكنا الشغل!!

عاد نسكو إلى مجلس الآلهة وأخبرهم بما رأى وسمع، فتململ الآلهة وأدركوا كبر معاناة الآلهة المتمردة فوقفوا إلى جانبهم، وقالوا للإله أنليل أنّ عملهم شاق حقّا، وأنّ أصوات بكائهم كانت تُسمع من بعيد، وعندما سمع أنليل هذا الكلام رقّ قلبه، وسالت الدموع على خديه إشفاقا عليهم وقال دعونا نتدبر حلّا لمشكلة أبنائنا، دعونا نذهب إلى الإله أنكي فهو المدبر الخارق الذكاء لعله يأتي بحل لهذه المشكلة!!!

قال سلطان للكاهن ناجايد وهو يحمل بعض حصران القصب كي يفرش بها أرضية غرفة الضيوف أنت قبل قليل ذكرت في مستهل حديثك الإلهة عشتار وتموز، وقلت إنهما قد تمّ خطفهما من قبل آلهة الشر الموجودة في العالم

الأسفل ماهي قصة تموز وعشتار؟ ولماذا حدثت المأساة لهما وتأثر الكون بقصتهما؟

فقال الكاهن يا سلطان أنّ الإلهة أرشيكشكال سيدة العالم الأسفل والتي هي أخت الإلهة عشتار، هي من قامت بعملية الخطف وقد حدث إرباك وتشويش بعمل الطبيعة نتيجة ذلك الخطف وتغييب أهم آلهين لهما تأثير كبير على قوى الطبيعة بما في ذلك الزرع والرعي والنماء والحصاد والخصوبة والإنجاب والسقي، وبغيابهما توقف عمل هذه القوى، وسأحكي لك يا سلطان قصة مأساة تموز وعشتار في الأيام المقبلة وكذلك سوف تقام أعياد الأكيتو قريبا وفي هذه الأعياد سوف تقام الشعائر والطقوس تجسد قصص الآلهة العظام بما في ذلك قصة تموز وعشتار ومأساتهما، فقال سلطان نعم وأنا متشوق جدا كي أشهد هذا العيد، وأعتقد أنّه سيكون لك دور بارز ومهم بتجسيد الأدوار وإقامة الشعائر والطقوس في هذا العيد لأنّك كاهن وابن كاهن لذلك سوف تكون قطبا مهما فيه؟

فقال له الكاهن نعم ما تقوله صحيح.

قال سلطان أتمنى أن أكون مرافقا لك على مدى أيام عيد الأكيتو ولا أفارقك لأنه سوف تكون هناك طقوسا خاصة للكهنة ولا يسمح للناس العاديين حضورها، وفي الحقيقة أنا أتمنى أن أشهد كافة الطقوس والأعمال الدينية معك؟

قال الكاهن ممازحا له أنا سوف أقبل باصطحابك معي ولكن بشرط أن تتمم عملك هذا اليوم!؟

تبسم سلطان وقال له سوف أتممه حتى لو بقيت هنا لإسبوع كامل، وأردف قائلا نعم أيها الكاهن نعود لتكملة القصة الأولى حول ثورة الآلهة الصغار الذين تظاهروا أمام معبد أنليل وذهبوا بعدها إلى الإله أنكي ليجدوا حلّا لمشكلتهم؟ أكيد أنه سوف يخلق لهم الإنسان ليكون بديلا عن الآلهة التي أتعبها الشقاء والعمل؟

قال الكاهن ناجايد أحسنت يا سلطان فعلا تمّ خلق الإنسان لهذا الغرض لكي يتحمل العناء عن الآلهة، وأيضا أن يقيم العبادة والطقوس لهم، لكن يا سلطان دعني أخبرك بشيء مهم جدا حول رويات خلق الإنسان الأول، فهناك في موروثاتنا العقائدية خمس رويات تتكلم عن خلق الإنسان وبداية تكوينه.

فالرواية الأولى تحكي أنّ الإنسان الأول خلقه الإله أنكي من الطين بمساعدة الإلهة ننماخ ونمو وطين الأبسو.

أما الرواية الثانية فهي تصور أنّ الخلق الأول للبشرية تمّ عن طريق حشيش الإله أنليل، حيث تقول الرواية إنّ الإله أنليل وضع بدايات البشرية على شكل بذور نثرها في شقوق الأرض وبعدها بدأ البشر يظهرون من هذه الشقوق مثل الحشيش.

الرواية الثالثة إنّها تقول أنّ الإنسان الأول كان حيوانا يمشي على يديه ورجليه وعاريا تماما ويعلف الحشيش مثل الخروف، وقد تمّ خلقه في جبل الكون أي قبل أن تنفصل السماء عن الأرض، وقبل أن تخلق الآلهة الكبار الآلهة الصغار.

أما الرواية الرابعة فهي تحكي عن ذبح الآلهة إله منهم واستخدام دمّ ذلك الإله وشراييه بتكوين خلق الإنسان وهذه الرواية البابلية الكلدانية التي كان بطل قصتها الإله مردوخ.

وفي الرواية الخامسة والأخيرة فهي رواية المشيئة الألهية والنطق بالكلمة، أي أنّ الإله يقول للشيء كنّ فيكون بلا عمل أو تعب ولا عناء، وقد تمّ خلق الإنسان في هذه الرواية بكلمة أنليل ومشيئته، فقال كنّ إنسانا فكان الإنسان!!! فقال له سلطان اكمل حديثك أيها الكاهن فأنا متشوق لسماع بقية القصة.

فقال الكاهن: بعد الفوضى والثورة التي أحدثتها الآلهة الصغار بتظاهرتهم تلك ذهب الجميع إلى مخدع الإله أنكي فوجوده نائما وغارقا في سباته، فأرادوا الدخول عليه لكنهم لم يستطعوا بسبب الوعاء الذي يتدفق منه الماء المحيط بالإله أنكي وهو أيضا المكان الذي لا تستطيع

الآلهة دخوله، فاضطروا أن يخبروا أمّه الإلهة (نمّو) التي أنجبت الكثير من الآلهة، فأخبروها وقصوا لها قصتهم فذعرت الأمّ الكبرى وأيقضت الإله أنكي من نومه وقالت له يا بني هل إنّك نائم حقا؟ فالإلهة العظام تضرب أجساد الآلهة الصغار، يا بني قم من فراشك وتدبّر الأمر، إنّك تدرك من خلال حكمتك كل فنّ، فاصنع بديلا عن الآلهة من يحمل السلّة عوضا عنها، فنهض الإله من رقدته، نهض بعد أن سمع كلمات أمه وضجيج الآلهة ودخل القاعة المقدسة، وأخذ يضرب على فخذه وهو يفكر، أنكي الحكيم العليم البصير الذي يدرك كل شيء وكل فنّ، المدبر لقد خطرت له فكرة، لقد صنع المدن والأدوات والزرع والحيوان والمطر، فلماذا لا يصنعون كائنا على هيئتهم يكون خادما لهم؟ لماذا لا يملؤون به الأرض ويحمل عنهم عناء العمل وحمل السلة والفأس؟ يوفّر لهم الطعام والشراب، ففرح الإله وقال في نفسه سأصنع الإنسان فما الذي من الحكمة فيه؟ ونادى أمه إلى القلعة المقدسة وقال: أمي.... المخلوق الذي أصنعه اربطي به عمل الآلهة، بعد أن أخلط من الطين الذي نأخذه من مياه الأبسو "العذبة" عليك أن تصبغي جسده بالماء والطين وتكوّني"الإنسان" وعسى أن تساعدك في ذلك الربة ننماخ وآلهات الولادة السبع.

قال سلطان ومن هؤلاء الآلهات السبع أيها الكاهن؟ وما دورهنّ في عملية الخلق؟أليس الخالق هنا هو الإله أنكي؟
فقال الكاهن إنّه بعد أن قرر الإله أنكي شكل الإنسان وطبيعته وأعطاه في داخله شيئا من حكمته وترك أمر ولادته للآلهة ننماخ والآلهات السبع اللائي ساعدنّ ننماخ على ولادته، ومن هذا الوصف يا سلطان قد ظهر الإنسان وقد قرر الإله أنكي شكل الإنسان الطبيعي، ثم صنع روحه وزرعه في رحم ننماخ وبعدها تمت ولادته بمساعدة آلهات الولادة السبعة،ثمّ على الإلهة الكبرى (نمّو)أن تقرر مصيره، أما الإلهة ننماخ فهي سوف تقرر للإنسان العمل الذي سوف يقوم به من أجل الآلهة،وبعد إن تمّ صنع الإنسان الأول أقام الإله حفلة كبيرة للآلهة ليريهم أنتاجه الجديد "الإنسان" وقامت الآلهة الكبرى (نمّو) بصنع القالب الأول له، وهكذا تم خلق الإنسان الأول من قبل الإله أنكي وساعدت على ولادته سبع آلهات، فالإنسان هو ابن الآلهة لكنّه ليس كمثل قوتها وجبروتها، صحيح هو ابن الآلهة لكنّه أقل شأنا وعمرا وقوة، مخلوق ضعيف وعاجز ومحكوم عليه بالموت والفناء، كما أن واجبه هو خدمة الآلهة وتنفيذ أوامرهم وعبادتهم، وليس العيش معهم أو يكون مشاركا لهم ولصفاتهم

عيد الأكيتو

ها قد انكشفت عن أثداء الصباح نقوش النوم العميقة، وأزهرت على شراشف الهواء أحلام العصافير الصغيرة، فتسمع أغنيات الأشجار وحرارة خطوات أشعة الشمس يملآن الفضاء بالأضواء والدفء.

ها قد عاد الربيع بعد رحلة طويلة ترك فيها بابل تعاني لسعات البرد ورطوبة الشتاء، تركها تتعذب في غبار يتناثر من أفواه الجفاف والحرارة، فهي كانت أياما متقلبة وساعات ذهبت مع الطيور المهاجرة، وقد جاءت بشريات الربيع مرة أخرى لتسقي الحياة من رحيق السعادة وعبير الفرح.

كان أهالي بابل ينتظرونه على مسافات الزمن، ويشتاقونه منذ فصول طويلة، ففي الربيع ترتدي مدينتهم ثوبها الأخضر،وتفوح بيوتهم بعطور الأشجار والأزهار،وفيه تمتلئ الشواطئ والأنهار بالنوارس والبط البري، فتجد نهر الفرات مبتسما سعيدا بعودة الأصدقاء والأحبة، وتجد فيه الطيور المغردة تبدأ بصناعة أعشاشها ومنازلها الجديدة فوق وبين الأغصان والبيوت لتقوم بالتزاوج، وتضع البيض وهي تخطط لحياة مليئة بالحب والأمل، وتعود الطيور المهاجرة إلى أوطانها وكلّ المخلوقات التي

كانت تعيش في بيات شتوي تقوم بالخروج من جحورها وتخرج لترى الشمس.

في الربيع تتبرج الطبيعة وتشرق الصباحات مبتهجة وتشعر أنّ السماء تتبسم لك، فهو الفصل الأقلّ صرامة بين الفصول الذي يرسم لك طالعا جديدا وأمانيات مزينة بالسعادة، فتحسب أنّك قد انتهيت من قطع طريق طويل ومتعب، فتهدأ الرياح وتستريح العواصف وتحلق الفراشات وتغسل الزهور وجهها بنسائم الضحى.

فالربيع هو سيد المواسم ودرّة العصور التي تفتخر فيها الأرض، ففيه تتحجب الحقول بالألوان الخضراء، وتظهر السماء صافية كأنها بحر من الزجاج الأزرق الذي يجذب النفوس ويسرق الخواطر، وفيه تعود بابل إلى أحضان السماء الأولى لتزينها الآلهة بحلل الفردوس وتغمرها الملكات بعشق إسطوري قديم، فبهذا الفصل يستعد أهالي بابل للاحتفال والمرح؛ فيصبغون الجدران والأسوار ويزينوها بالأغصان وبسعف النخيل، ويطهرون البيوت والمعابد من الأرواح الشريرة، ويحرقون البخور، ويذبحون الأضاحي، ويعزفون ويرقصون وتقام المسرحيات وينشدون ويرتّلون الصلوات بحضرة الآلهة، فبهذا الفصل يقْدم عيد الأكيتو-عيد رأس السنة البابلية الكلدانية الذي فيه يحي البابليون ذكرى تحرر الإله مردوخ

من قبره في ظلمات الأرض ليظهر إلى السطح؛ ويخصّب زوجته صربانتيوم الإلهة الأنثى، وعلى أثر ذلك تقام طقوس الزواج المقدس فتنبثق الحياة ويظهر النور، وفي هذا العيد تخرج مواكب الآلهة من معابدها لتزور أرضها وتعمل جولة تفقدية للمزارع والحقول والأسوار والأنهار، وفيه يقوم الكاهن الأعظم بالصلاة للإله مردوخ، ويقوم الكهنة الآخرون بالطقوس الدينية الأخرى لأيام متتالية حيث يستمر هذا العيد لأثني عشر يوما تتم فيه قراءة إسطورة الخليقة وتتلى التراتيل وتقدم القرابين وفيه يقدم الملك تقريرا عن إنجازاته للسنة المنصرمة أمام إله المدينة، ويطلب المغفرة لذنوبه وآثامه ويسأله القوة والبركات، وفي هذا العيد يذبح الثور الأبيض الذي تصبغ بدمه الجدران والأسوار.

في هذا العيد يقوم الشعب البابلي الكلداني بالنواح واللطم على الإله مردوخ عندما تأسره آلهة العالم السفلي، ويندبون الإله المظلوم بإقامة مراسيم العزاء والبكاء، وفيه تنظم المسيرات الضخمة من الناس والآلهة في شارع الموكب، ويتمّ إحراق الدمى الملونة، فبهذه الأيام توّدع المدينة سنة من عمرها، سنة مليئة بالأحداث منها سعيدة وأخرى غير ذلك لتوقد بعد ذلك شموع الأمل والرجاء للأعوام القادمة، فأهل هذه المدينة منصهرين باعتقادات وأحاسيس روحانية تجمعهم مع آلهتهم بمصير واحد،

ولديهم علاقاتهم المقدسة وإيمانهم الوثيق فيما يعتقدونه ويؤمنون به، فكلّ ما يحدث في هذه البلاد مأخوذا بنظر الاعتبار، ولكلّ ظاهرة طبيعية تفسير ومعنى، فقد كانت كلّ دقيقة أو ثانية تمرّ في عيد الأكيتو لها إشارة وتأويل، ولهذا كان إلحاح سلطان على الكاهن ناجايد بأن يصطحبه معه عندما تبدأ إقامة طقوس وشعائر هذا العيد لكي يشهد كل تفاصيله ويفهم الرسائل والغايات من إقامته.

كانت نورس وموجة قد عادتا للتوّ من الحارة المجاورة لحارة (كادنكررا) حارة العمّ تراكسيس فهما كانتا عند الخياطة لعمل فساتين العيد الذي لم يتبق لدخوله سوى يوم واحد، كانت جميع نساء حارة العمّ تراكسيس قد اشترين الأقمشة وكل تفاصيل الزينة استعدادا للاحتفالات، حتى نورس وجدت نفسها ترتدي زيّا كلدانيا وإكسسوارات تمّ عملها بشكل خاص لعيد الأكيتو، وبعدها قامت جميع الفتيات المتواجدات في الغرفة بارتداء الأزياء الخاصة بالعيد وسط أجواء الفرح والغناء والتصفيق حتى ملأت أصوات الأغاني الحارة بأسرها...

سيفيل تعافى مؤخرا من إصابته وهو الآن مع سلطان في بيت الكاهن ناجايد يستعدون لاستقبال العيد وقد أحضرا جميع المستلزمات الخاصة للاحتفال وإقامة الطقوس حتى أنّ الكاهن قد أعطى سلطان ملابسا خاصة بالكهنة وقال له

بعد ساعة سوف نذهب أنا وأنت إلى الايساجيل معبد الإله مردوخ كي نبدأ أول أيام العيد فيه ونقيم أول الطقوس الدينية هناك، فقال سلطان نعم سوف آتي أليك بعد العشاء لنذهب سويا إلى الأساجيل وخرجا من بيت الكاهن وقت الغروب وفرحة سلطان لا توصف فهو سوف يشاهد ما كان يحلم به ويتمنى أن يراه، وما أن مرّت ساعة من الوقت حتى طرقت الباب وإذا به الكاهن ناجايد جاء ليأخذ سلطان معه إلى معبد مردوخ

كان معبد الأساجيل يقع جنوب المدينة ويرتبط معها بشوارع وساحات متصلة مكونة هذه المدينة العظيمة و إلى جوار المعبد برج بابل المعروف بلغة أهل المدينة (أيتمنانكي) ومعناه بالعربية (بيت أسس السماء والأرض) الذي لاح لسلطان من بعيد برج شاهق يزهو بقمّته الزرقاء العالية حيث يتألف من سبع طبقات مرتبة من الأكبر إلى الأصغر ينتهي بقمة رفيعة عبارة عن غرفة صغيرة يوجد فيها تمثال ذهبي للإله مردوخ حيث تعتبر مكان منامه الخاص وقد جهزت بسرير فاخر ومائدة من الذهب!!

أحس سلطان بنسمات الهواء المسائية تدغدغ ملامحه وتجعل نفسه تطيب وتنتعش، فتبسم ابتسامة خفيفة وكأنّ في داخله بدأت تستيقظ العصور التي لم يعرف عنها شيئا سوى ما كان مكتوبا بطريقة ناقصة في المناهج التي درسها، أمسك الكاهن بسلطان وكانت يداه ترتعش وجسمه

خاو كأنه لا يستطيع المشي أكثر وقال: ياسلطان اسندني فأنا أشعر بالدوار!!! كانت هناك صخرة وضعت بجانب الطريق، فحمله سلطان وأجلسه عليها وأحظر له ماء غسل بها وجهه ونثّ رشات قليلة على صدره وأقدامه، قال له الكاهن أنّ نوبة الدوار هذه تأتيني كلما أجهد وأتعب فطاقتي ليس كالسابق ياسلطان فهي سرعان ما تنفد!!!قال له سلطان ممازحا مازلت شابا أيها الكاهن الجميل، نعم قد تكون مريضا ولم تشعر بنفسك بعد؟ فقال الكاهن لا عليك يا سلطان فنحن لم يتبق من طريقنا سوى القليل، وأردف قائلا عندما نصل إلى المعبد يوجد هناك مكان خاص ننام فيه هذه الليلة لأننا سوف نستيقظ قبيل الفجر لإقامة أول الطقوس في عيد الأكيتو، فقال له سلطان وماهو أول الطقوس؟ فقال الكاهن اليوم الأول مخصصا لتعيين الكهنة وأعمالهم بحسب مراتبهم أي يبدأون بتنفيذ الخطة المرسومة أو البرنامج الذي تم إعداده مسبقا من قبل الكهنة والملك وجهازه الإداري والتنظيمي لجميع التفاصيل المتعلقة بالعيد، وكذلك تنظيف المعابد وحرق البخور فيها وإكسائها بكسوة جميلة وتلاوة التراتيل وإقامة الصلوات ويقوم الكاهن الأعظم (الشيشكالو) بوضع الرداء الأبيض على تمثال الإله مردوخ، قال سلطان وما هي أنواع الكهنة وأدوارهم ومراتبهم في العيد؟ قال الكاهن ناجايد هناك

الآلاف من الكهان منتشرين بانتشار المعابد في البلاد متخصصون في مجالات عبادية مختلفة وتوظيفات متعددة، فالكهّان المهمون منهم الشيشكالو الذي هو كاهن رفيع الرتبة ويعدّ الكاهن الأعلى في معبد مردوخ وله مهام كبيرة في عيد الأكيتو، في حين يوجد هناك سدنة المعبد أو البيت وهم في العادة يشكلون أعدادا غير قليلة في كل معبد ويقومون بمختلف الأعمال إلى جانب مهمة حمل تماثيل الآلهة، وكذلك هناك كهنة غسّالون ومنظّفون ممن كانوا معنيين بنظافة المعابد وبيوت الآلهة، أما الكهنة الدهّانون فكان عليهم الاعتناء بالأدوات المقدسة والتماثيل ومسحها بالزيت، وهناك الكهنة الموسيقون والمنشدون لمراسيم العبادة والأعياد ومناجاة الموتى، كل هؤلاء يشكّلون قسما صغيرا من العاملين في خدمة المعبد بالقياس إلى العدد الهائل من العمال والحرفيين والخدم والكتّاب والمراقبين والعبيد، بالإضافة إلى ذلك كانت في المعابد نساء كاهنات تناط بهنّ واجبات ومسؤوليات وأعمال دينية منهنّ الموسيقيات والنائحات والممثلات، وكما يوجد رئيس للكهنة ورئيسة للكاهنات، ومجموعة خاصة في المعابد يمارسن الزواج المقدس.

قام الكاهن ناجايد وقال هيا يا سلطان فالنتابع المسير فالمعبد قريب من هنا، قام سلطان وصار يمشي بجانب الكاهن حتى وصلا بوابة المعبد فاعترضهم الحراس

المنتشرون حول المعبد، والمرابطون في ربايا الحراسة فوق الأسوار والجدران، وما أن رأووا الكاهن ناجايد وعرفوه فتحوا له البوابة مسرعين دون كلام فدخل الكاهن وسلطان في ذلك المعبد الذي يتميز بسعة مساحته وضخامة بنايته وأبّهته، كان الجدار الخارجي مزودا بأبراج عالية، وعند المدخل كان هناك برجان خاصّان بصومعة الإله مردوخ، وهما مغلفان بالذهب تتخللهما أعمدة خشبية ملونة بالذهب الأصفر حتى أنّ الذي يراهما يحسبهما يضيئان مثل الشمس وقد أطلق على هذه الرائعة المعمارية ب(الأيكو)، صار الكاهن ناجايد وسلطان يتوغلون داخل المعبد بخطوات بطيئة على أرضية مستقيمة كأنها شارع صغير مبلط بالرخام ومحاط بالعشب والنخيل وأشجار السدر، وترى الأضواء والمشاعل في جميع جهات وزوايا المعبد حتى تظنّ أن هذا المكان الوحيد الذي لا يرى الظلام.

كانت عيون سلطان تسرح إعجابا في المكان فهناك الكثير من الغرف والقاعات الفارهة المليئة بالمواد المقدسة، وكان الزائر لا يجد في ذلك المعبد محراب الإله مردوخ فحسب بل فسحة ثانية لعبادة الإلهة صربانتيوم زوجة الإله مردوخ كذلك عدد غير قليل من الإلهة الآخرين، حيث توجد تماثليهم المقدسة وقد وضعت على قواعد خاصة، أما جالسة على عروش مخزرفة، أو واقفة تتقدمها موائد

القرابين المصنوعة من الاحجار الكريمة والذهب وهي معدّة للقرابين اليومية، وكان الكهنة يعدّون الشراب في أباريق رفيعة يملؤونها من أحواض صغيرة،وكانت العطور والبخور تُحرق في أواني وأطباق حجرية مخزفة تثبت على حمالات تمتد على جوانب الهيكل قال الكاهن ناجايد تعال معي يا سلطان إلى جناح الكاهن الأعظم لكي اعلمه بوجودي ونعرف أهم التعليمات والواجبات المطلوبة في طقس يوم غد، فقال سلطان نعم هيا بنا

كان جناح الشيشكالو أو ما يعرف بالكاهن الأعظم مكانا فخما عليه الحراس والخدم، وهو عبارة عن قاعة كبيرة ومجزءة إلى فواصل من الخشب ويبدو أن هناك استعلامات تفصل بين الشيشكالو والزائر، وعليه أن يمرّ بتلك الاستعلامات للحصول على الموافقة

كان الكاهن الأعظم رجل مسنّ أسمر اللون مائلا إلى البياض تصل لحيته إلى ما تحت عنقه وقد زينت بالشيب ولون الحناء الأحمر، أصلع الرأس يرتدي جلبابا أبيض بلا أكمام فوقه وشاح أزرق مربوط إلى كتفه الأيمن، وعندما رأى الكاهن ناجايد قام له الشيشكالو احتراما وتبادلا التحايا وصارا يتحدثان همسا،وما أن مرّت عشر دقائق حتى عاد الكاهن ناجايد وخرج هو وسلطان من ذلك المكان وذهبا لمخدع خاص قد أُعدّ لهما مسبقا وناما فيه على أمل الاستيقاظ قبل الفجر.

أعمال اليوم الأول من الأكيتو

كان الهواء يتحرك ببطء في ساعات الفجر الأولى،وأوقدت المشاعل المنتشرة حول أسوار معبد مردوخ وبرج المدينة العالي، وصار الكهنة النائمون في غرف المعبد يستيقظون ويتجمعون عند صومعة الإله مردوخ، كانت رائحة البخور تتسلل إلى أنف سلطان فتُنعّمش أنفاسه وتبعث في روحه إحساسا طيبا يعانق عبق الماضي ويغازل ملامح المكان بالشوق والرضا، استيقظ جميع من كان نائما في تلك الغرفة بما فيهم الكاهن ناجايد وسلطان، قام سلطان متمشيا إلى حوض صغير فيه نافورة فخارية صغيرة الحجم واغتسل منها، كانت نجوم الفجر تسحب أذيالها للرحيل وانقشع شيء من الظلام وصار بالإمكان الرؤية والتمييز، وبدأت اصوات العصافير المبكرة تشارك خرير الماء الذي يصل من النهر المجاور للمعبد،تجمّع الكهنة الكبار والكهنة الآخرون في ساحة المعبد، وبدأت أنغام القيثارت ترنّ بعزف بطيء وصار جميعهم يتجهون بخطوات متقاربة على نبض الموسيقى وهم يرتّلون ويمجدون الإله مردوخ يقودهم الكاهن ناجايد وهم يدخلون ساحة المعبد ليصلوا إلى مكان البوابة ذات المفتاح الخشبي الواقعة في الجانب الشرقي من معبد مردوخ إذ تُعدّ هذه البوابة المدخل الرئيسي الذي يؤدي إلى مخدع مردوخ

المقدس،فُتحت البوابة فدخلت مجموعة قليلة من الكهنة والمساعدين لإقامة طقس التطهير والاغتسال، وهذا الطقس خاص بهولاء الكهّان باعتبارهم المعنيين والواسطة الأولى والمباشرة بين الإله وشعبه وأرضه!! وما أن مرّت خمسة عشر دقيقة حتى اكتمل هذا الطقس وإذا بمجموعة كبيرة من الكهنة الآخرين يسمون بالمطهّرين وهم أيضا من يذبحون الأضاحي بدأوا ينتشرون في كافة غرف وقاعات المعبد وحتى الساحات والمناور، منهم من يحمل بيديه أوعية خاصة تشبه المخاريط الصغيرة أعدت لحرق البخور والأعشاب المقدسة وخاصة الحرمل لإيمانهم أنّ هذه النبتة عند حرقها تقوم بطرد الأرواح الشريرة لأنّ رائحة البخور والحرمل عندما تملأ المكان فإنها تحاصر هذه الأرواح وتجعلها تخرج من الأبواب والشبابيك، كانوا يحملون المباخر وهم ينتقلون من غرفة إلى أخرى وهم ينشدون التعاويذ والتراتيل حتى اكتمل تبخير وتطهير المعبد

جاء الكاهن ناجايد مفتقدا سلطان وقال له هل شاهدت طقس التبخير والتطهير، فقال سلطان نعم أيها الكاهن فروحانية المكان ومشاهدة الطقوس جعلتني أشعر بالرضا والمتعة، قال الكاهن سوف نستريح لوقت قصير حتى نقوم بإقامة طقس آخر، صمت سلطان وذهبت ذاكرته للحظات قصيرة لأهله وأمه وكيف كانت وقت الغروب تبخّر البيت

وتحرق الحرمل، وفي أحد الأيام سأل سلطان أمه لماذا تُحرق البخور والحرمل خاصة وقت الغروب أو عند الفجر أو حتى عندما يزورون المقابر عند رؤوس الأموات، فقالت له أن حرق البخور والحرمل يبعد الشياطين عن المكان ويقرّب الملائكة وتحلّ فيه البركة والرزق، وكذلك ينفع لصدّ العين عن المحسود ويطرد الأرواح الشريرة وقد أسندت كلامها بأحاديث وردت عن السلف الصالح، ولهذا عرف سلطان أن معظم العادات والمعتقدات التي كان يمارسها العراقيون القدماء هي مازالت تمارس في العصور الحديثة ولكن بدوافع مختلفة ومسميات جديدة!!!

جاءت مجموعة من الكهنة الشباب وطلبوا من الكاهن ناجايد معرفة إذا ما حلّ وقت إقامة الطقس التالي؟ قام الكاهن معهم وقسّم الكهنة على شكل مجاميع صغيرة متساوية وأعطى لكل رئيس مجموعة جرسا متوسط الحجم كما أعطى الإشارة إلى كهنة آخرين مكانهم فوق سطح المعبد وعلى طوابق البرج ليبدأوا سويا بدق الأجراس بلحن واحد ودقة واحدة، وبالفعل صار كل من كان في المعبد والبرج يهزّ بجرسه وهم ينشدون بكلمات الشعر والابتهالات معلنين قدوم الأكيتو للناس؛ حتى وصل رنين الأجراس وأصوت الكهنة من ذلك المعبد إلى آخر بيت بأطراف المدينة وتم الإعلان من المعبد أنه قد بدأ

الاحتفال وإنّ هذا اليوم هو اليوم الأول الذي حلّ فيه وعلى الناس أن يكونوا مستعدين للاحتفال بالأيام المقبلة، كون إنّ الأيام الاربعة الأولى من الأكيتو تقام فيها طقوس خاصة في المعبد بين أنواع معينة من الكهنة ولا يسمح لغيرهم الحضور أو المشاركة، أما بعد الأيام الأربعة الأولى فيعلن الشيشكالو بدء مراسيم الاحتفالات جماهيريا ويشارك جميع أهالي المدينة والمدن المجاورة، صار الكهنة يقرعون الأجراس ويقرؤون التراتيل حتى أشرقت الشمس وأضحت في كبد السماء، وسمع ذلك كل من كان في المدينة.

كان سلطان يقارن ما بين حضارة بابل وزمنها في كيفية إعلان قدوم العيد وكيف تمت عملية قرع الأجراس حيث اعتبرت طقسا ضروريا من خلاله يعرف الناس حلول العيد، وبين ما يحدث في هذا الزمن في العراق حيث أنه يتم الإعلان عن العيد بواسطة مكبرات الصوت وقيام إمام الجامع بترتيل كلمات معينة وخلفه مجموعة من الناس يرددون ما يقوله ذلك الأمام، وعادة ما تعرف بالتلبية (لبيك اللهم لبيك....) بلحن غنائي جميل متّبعين أحد المقامات الموسيقية، فالغاية هي الغاية نفسها بالإعلان عن العيد وإنما الطريقة هي التي اختلفت...

بعدها تجمّع الكهنة حول تمثال مردوخ الكبير وأحضروا معهم رداء أبيض وجاء الكاهن الاعظم ومسك ذلك الرداء من أطرافه وقام بتغطية التمثال من جميع الجوانب والحاضرون يرددون ترتيلة التمجيد مع صدى نغمات القيثارات ونقرات الطبول ويرددون هذه الكلمات: -

مردوخ في غضَبهِ لا مثيل لهُ
مردوخ الملكُ سيدُ كُلِ البلادِ
الإلهُ الذي لا نظيرَ لعَظمتهِ
الذي كرّسَ الوئامَ بينَ الآلهةِ العظامِ
الذي يسقطُ الأقوياءَ بنظرة منهُ
سيدُ الملوكِ، نورُ البشريةِ، الذي يُقدّرُ الأقدارَ
آه أيها السيدُ
بابلُ هي مسكنُكَ، وبورسبا تاجُكَ
كلُ السمواتِ الواسعةِ هي مقرُّ إقامتكَ
آه مردوخ
بعينيكَ ترى كلَ شيء
بوحيكَ تستقرُ النبوءةُ
وبيدكَ قصَمتَ كلَ الأقوياء
وبنظرة منكَ تغمرهم الرحمةُ
أنتَ من يُنيرهم، وهم يلهجونَ بعظمتكَ

سيدُ كل البلادِ
نورُ الإلهِ الأيجيجي المُقدس
إلهُ جميعِ البلدانِ، من يسكنُ في معبدِ السماءِ
من يأخذُ بيدِ الضعيفِ
واهبَ الرحمةَ لمدينةِ بابل
انظر نحو معبدِكَ الأيساجيل
امنح لشعبِ بابلَ وتابعيهم الحريةَ

أما الطقس الأخير من هذا اليوم فهو كان عبارة عن وليمة كبيرة ومائدة واسعة أنضم اليها جميع من كان في المعبد، مائدة تحتوي على كميات ضخمة من الوجبات الغذائية وأشكال أصناف الأطعمة والمشروبات، وبهذا قد انتهى اليوم الأول من أيام عيد الأكيتو، عند الخروج من باب المعبد كان سلطان ينتظر الكاهن ناجايد حتى يعودا سويا إلى الحارة وما أن جاء الكاهن وصار الاثنان يمشون عائدين، قال الكاهن لسلطان اليوم مساء بعد العشاء بساعتين سوف اصطحبك معي مرة أخرى للمجيء إلى المعبد ونبيت فيه لكي نقيم طقوس اليوم الثاني، قال سلطان أكيد سوف تجدني انتظرك عند باب الحارة فأنا متشوق جدا فتبسم الاثنان ومضى كل إلى بيته.

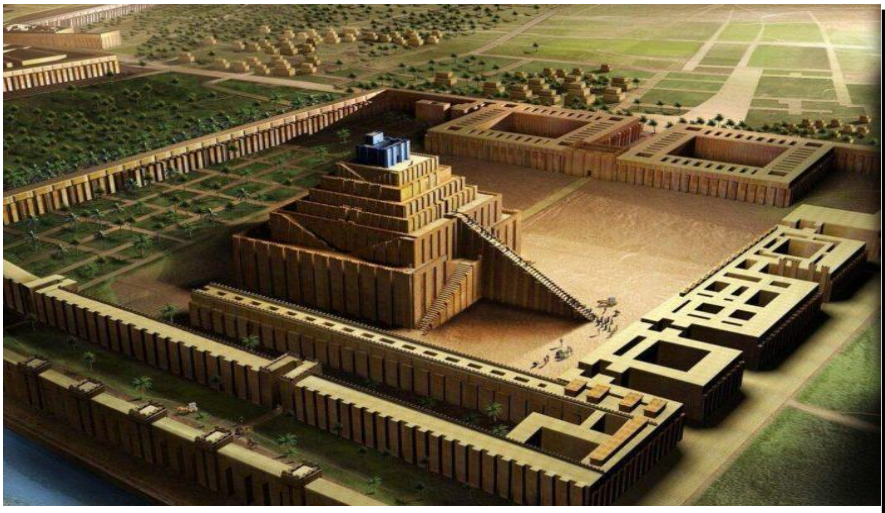

برج بابل (إيتمينانكي) ذو الطبقات السبع وتحتوي الطبقة السابعة من الأعلى على غرفة زرقاء وهي مخدع الإله مردوخ وزوجته صرباتينيم واختار هذا المكان العالي لكي يشرف على مدينة بابل ويشرع بحمايتها،يقع البرج وسط معبد الأيساجيل

أعمال اليوم الثاني

في تلك الغرفة المغلقة منذ سنوات التي عشعشت فيها الخفافيش والعناكب،وتساقطت بعض قشور جدرانها وتآكل سقفها، يرقد سلطان بكل أحلامه وما يحمل من عشق حيث أكرمها له العم تراكسيس بعد أن أمر بتنظيفها وترتيبها، لكن تلك الغرفة المتهالكة أصبحت قصرا فاخرا في مخيلة سلطان، ورائحة التراب المنبعثة من الأرضية المغطاة بحصيرة من القصب والحلفاء صارت عطرا مقبولا تستحسنه روحه وأنفاسه، وحتى أغطية الكتان وأفرشة الصوف والقطن وسرير الجريد والأسرجة الزيتية والمناضد المصنوعة من جذوع النخل، بدأ يشعرها إنّها من أهم أغراضه وأفضل أثاثه، فكان ذلك المكان هو المكان الذي يتقبله سلطان ويرى فيه الإنتماء الحقيقي...

في تلك الغرفة كان سلطان جالسا على السرير وبيده تمثال صغير لا يتجاوز حجمه ثلاثين سنتمتر يعود للإلهة ننماخ وهو عبارة عن مجسم لأنثى ممتلئة الجسم كبيرة الثديين والبطن، يقلّب به وإلى جانبه نورس جالسة تستمع له بما شاهده في معبد الأساجيل من طقوس وعبادات يمارسها الكهنة في عيد الأكيتو،وقالت له عند شروق الشمس من هذا اليوم سمعت أصوات رجال من بعيد كأنّهم يقرؤون

التراتيل أو يغنون وأصوات مصحبوبة بدقات الأجراس،فكان بودّي أن أحضر للمعبد لأشاهد تلك الطقوس وليس اسمعهم من بعيد فقط، قال سلطان أنّ هذه الطقوس خاصة يقوم بأدائها الكهنة والعاملون في المعبد فقط،ولكن تبدأ احتفالات الجماهير ومشاركتهم في اليوم الخامس من أيام العيد، سوف أحكيها لك فيما بعد، ثم بادرها قائلا أريد أن أسئلك سؤالا قد يكون غريبا بعض الشيء؟ ماذا تقولين عن شاب يحب فتاة منذ زمن طويل ولكنه لم يعترف لها ولم يقل لها بأنه يحبها؟ قالت له وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ولماذا لم يعترف لها؟ فقال سلطان لأنّه يعرف أنّها لا تصبح له في يوم ما،ولا تكون من نصيبه أبدا؟ فقالت له فاليبتعد عنها ويتناساها قدر المستطاع، فالحب لا يناله الخائفون ولا يظفر به المتقلبون!!فقال لها لا فهو ليس خائفا منها ولكن قد خطبها شخص ما وهي وافقت عليه!!فقالت نورس إنّ قلب الفتاة مثل الأرض الخصبة سرعان ما تنمو عليها أعشاب المشاعر وأشجار الأحلام التي تنمو مع أول زخة مطر ترسلها سحائب الحب، ومع أول رشفة عشق تأتي مع رياح العمر المجهولة، لكن يا سلطان هناك الكثير من القلوب والمشاعر سرعان ما تنطفئ فيها شموع السعادة وتظلّم فيها مخادع الأماني والأمال حينما توقفها عواصف المفاجئات التي تكن في الحسبان، أو تصدمها حوافر الحظ

العاثر والأخبار المشؤمة، يا سلطان مهما كانت طرقات الحياة سالكة إلا إنّها تبقى غير آمنة، ومهما تعبنا وقاتلنا لكي نرمم أنفسنا وواقعنا سوف يبقى هناك جانب ناقص فيها غير مكتمل، أو بالعبارة الأصح لم يكن في هذه الحياة هناك شيء كاملا أبدا، فالأجابة على سؤلك واضحة عن تلك الفتاة الأفضل أن يتركها ذلك الشخص ترى طريقها مع زوجها الموعد، فلا فائدة من النفخ على الرماد المحترق سوى أن يذر في العيون ويخنق الأنفاس!!! قال لها سلطان أن القلب كالطفل الأحمق إذا أحبّ شيئا يتعلق به إلى حدّ الغباء ويبقى يطلبه ما دام إحساس الحب يسري في عروق قلبه، فعندما يريده لا تنفع معه الأعذار ولا يقتنع بالأقدار، فلا أعتقد أن ذلك الشخص الذي أحبّ تلك الفتاة المخطوبة سيكون من السهل عليه أن يتناسى حبها، وإذا فعل وصمت ولم يظهر ما في قلبه فهو سوف يتعذب كثيرا وتبقى حسرة عشقها تخنق أنفاسه وأيامه ولياليه؟

قالت له نورس فعلا أنا أؤيد هذا الكلام، فإذا كان يعشقها بصدق فهو سوف يتألم كثيرا وأردفت قائلة دعنا نعود إلى حديثنا الأول حول طقوس عيد الأكيتو، هل لديك فكرة عامة حول أعمال اليوم الثاني منه؟ فقال سلطان في الحقيقة لا أعرف شيئا عنها، ولكن سوف يأتي الكاهن ناجايد بعد المساء ليصطحبني معه إلى معبد مردوخ لكي نقيم طقوس اليوم الثاني، وما أن مضيت ساعات قليلة

وحلّ الظلام وسكن كل فرد في المدينة إلى بيته وعائلته، طُرقت الباب فقد جاء الكاهن ناجايد لاصطحاب سلطان معه وفعلا ذهبا سويا إلى ذلك المعبد في ساعة متأخرة من الليل، وعند وصولهما وجدا الجميع نائمين ما عدا الحراس وبعض الكهّان الذين يقيمون الليل بالعبادة، مشى الكاهن بخطوات حذرة بين النائمين وخلفه سلطان حتى وصلا غرفة صغيرة فيها فراش لشخصين وبعض أدوات العبادة الخاصة بالمعبد وفيها ضوء ضعيف جدا يكاد أن ينطفئ، وقبل أن يناما قال الكاهن نم جيدا يا سلطان فنحن سوف نستيقظ بعد صيحة الديك الأخيرة أي قبل الشروق كي نقيم قداس اليوم الثاني للأكيتو، فقال سلطان نعم سوف أنام فأنني متعب جدا وقام بتغطية جسده بشرشف خفيف وأغمض عينيه فنام ونام الجميع.

مضت ساعتان من الليل وكان كل من كان في المعبد تسمع له شخيرا مزعجا وغطيطا يصمّ الأذان مما جعل سلطان يستيقظ قبل الجميع، أراد أن يعود إلى النوم حاول أن يغفو مرة أخرى لكن كان صوت الشخير قد جعل عليه النوم شبه مستحيل ولم يستطع العودة، فقام من فراشه وخرج من الغرفة متجها إلى مكان النافورة الموجودة في وسط فناء المعبد كي يشرب الماء وما أن وصل إلى الحوض وشرب الماء واغتسل، كأنه سمع صوتا وهمهة رجل لا يبعد كثيرا عنه، كان يحسب أن هذا الصوت لأحد

حراس المعبد فتجاهله وأراد الرجوع إلى فراشه وصار يخطو خطوات متقاربة، بدأ ذلك الصوت يصل صافيا إلى مسامع سلطان وكأنه تراتيل أو تمجيد لحضرة الإله مردوخ، سلطان تملّكه فضول صامت وأراد أن يكتشف مصدر ذلك الصوت وصار يمشي بأتجاهه حتى خرج من بناية المعبد وصار يمشي بين التلال العشبية الصغيرة وبين الأشجار المنتشرة حول المكان حتى وصل إلى النهر المحاذي للمعبد فرأى الكاهن الأعظم الشيشكالو يغتسل من النهر ويغترف الماء بفخارة صغيرة، ومع كل غرفة ماء يسكبها على جسده يقرأ كلمات مقدسة تُعنى بالطهارة والنقاء، وما إن أتمّ الشيشكالو الاغتسال دخل إلى المعبد وحده وهو ينفض ثيابه من الماء وسلطان يسير خلفه صامتا دون أن يشعر به الكاهن، وكأنّ سلطان وجد شيئا من المتعة في مراقبته وصار يتتبع خطواته خطوة خطوة حتى دخل إلى عمق الأساجيل ووصل إلى غرفة قدس الأقداس حيث تمثال الإله مردوخ وهو مغطى بذلك الرداء الكتاني الأبيض وإلى جانبه زوجته الإلهة صربانتيوم، وبدأ الشيشكالو متفردا يقوم بإزاحة الرداء عن تمثال الإله وهو يؤدي الصلاة له تعرف بصلاة بيل وبيل هو أحد أسماء الإله مردوخ حيث كان يقول:-

بيلُ في غضَبهِ لا مثيل لهُ
بيلُ الملكُ سيدُ كُلِ البلادِ
الإلهُ الذي لا نظيرَ لعَظمتهِ
الذي كرّسَ الوئامَ بينَ الآلهةِ العظامِ
الذي يسقطُ الأقوياءَ بنظرة منهُ
سيدُ الملوكِ، نورُ البشريةِ، الذي يُقدّرُ الأقدارَ
آه أيها السيدُ، بابلُ هي مسكنُكَ، وبورسبا تاجُكَ
كلُ السمواتِ الواسعةِ هي مقرُّ إقامتكَ
آه بيلُ، بعينيكَ ترى كلَ شيء
بوحيكَ تستقرُ النبوءةُ
وبيدكَ قصَمتَ كلَ الأقوياء
وبنظرة منكَ تغمرهم الرحمةُ
أنتَ من يُنيرهم، وهم يلهجونَ بعظمتكَ
سيدُ كل البلادِ، نورُ الإلهِ الأيجيجي المُقدس
إلهُ جميعِ البلدانِ، من يسكنُ في معبدِ السماءِ
من يأخذُ بيدِ الضعيفِ
واهبَ الرحمةَ لمدينةِ بابل
انظر نحو معبدِكَ الأيساجيل
امنح لشعبِ بابلَ وتابعيهم الحريةَ

كان سلطان قد سمع هذه الكلمات التي رتّلها الشيشكالو أراد أنّ ينسحب من ذلك المكان بهدوء، فقام خلسة ومشى ثلاث خطوات وإذا يسمع الشيشكالو يصرخ عليه وهو في حالة من الغضب والتذمر وقال له لماذا أنت هنا أذهب بسرعة وألا حكمت عليك بالموت!!! ركض سلطان بأقصى سرعة دون أن يتكلم بحرف واحد وما أن خرج من الغرفة المقدسة ووصل إلى فناء المعبد رأى جميع الكهنة قد تجمهروا في ذلك المكان وهم يحملون المباخر والتمائم والآلات الموسيقية والصولجانات والرموز المقدسة وهم ينتظرون الشيشكالو يتمم الطقوس الخاصة به حتى تبدأ طقوسهم...

كان سلطان قد اتخذ له موضعا بينهم دون أن يشعر به أحد ووقف منتظرا مع المنتظرين، وما أن مرّت دقائق قليلة حتى قام الشيشكالو بفتح أبواب المعبد وسمح لهم بإقامة الطقوس الخاصة بهم فتعالت أصواتهم بالتمجيد والتحميد للإله القوي وظلوا يقرؤون التراتيل حتى أنكشف ضياء الشمس واستبشرت المدينة بصباح يوم جميل، ورجع الجميع إلى بيوتهم وأعمالهم.

أعمال اليوم الثالث

كان في اليوم الثالث من أيام الأكيتو لا يختلف عن اليوم الثاني بإقامة الطقوس والصلوات حيث قيام الشيشكالو بالاغتسال في ماء النهر بوقت متأخر من الليل، وقيامه بإزاحة الستار عن تمثال الإله مردوخ مرة أخرى وتلاوة الصلاة المعروفة بحق الإله الحامي وقيامه بفتح أبواب المعبد وتلاوة التراتيل والغناء من قبل كهنة وموظفي الأساجيل إلا في اليوم الثالث سوف تحصل بعض الأضافات، من أعمال الاحتفال ومراسيم القدّاس، وذلك بحسب ما قاله الكاهن ناجايد لسلطان، فعند شروق الشمس كانا قد ذهبا إلى المعبد، فوجدا جمهورا غفيرا من الكهنة والكاهنات وعمال وموظفي المعبد، حتى أندفع الكثير منهم إلى الخارج بسبب الزحام

كان الناس بمجرد أن يروا الكاهن ناجايد وهو يرتدي الزي الكهنوتي وإلى جانبه سلطان الذي هو أيضا مرتديا زيّ الكهان يفسحون لهما المجال ويفتحون لهما الطريق إينما اتجها، حتى دخلا فناء المعبد فوجدا طوابير من الكهنة واقفين على شكل مربع يتوسطهم الشيشكالو وبعض الكهان رفيعي المقام والناس حولهم يرتلون بصوت خفيض صلاة لمردوخ الإله الأكبر وزوجته صربانتيم.

وقف سلطان في الصف الأول من صفوف الكهنة وصار يرتل معهم ويردد بما يرددونه، وما أن مضت ساعة من الزمن في العزف وقراءة التراتيل والطواف حول تمثال الإله كان هناك وقت مستقطع للراحة توقفت فيه انامل العازفات عن الرنين على أوتار القيثارات، وسكنت حناجر المنشدين والمرتلين عن التمجيد للآلهة، وصار الجميع يستثمر هذه الدقائق بالراحة والسكون، كان سلطان يبحث عن الكاهن ناجايد وسط ذلك الزحام ويفتش في الوجوه ويتلمّس الكفوف فلمحه عند باب غرفة الشيشكالو هو ومجموعة صغيرة من الكهنة الكبار وهم ينظرون نحو الباب الرئيسي للمعبد كأنهم ينتظرون شيئا أو شخصا ما، وما أن وصل سلطان لهم وصارعلى بعد ثلاثة أمتار عنهم سمع أحدهم يقول ها قد وصلوا...ها قد وصلوا.. والجميع ينظر نحو الباب، التفت سلطان صوب الباب الرئيسي وإذا يرى ثلاثة أشخاص دخلوا المعبد كل واحد منهم يحمل كيسا نصف ممتلئ ويبدو أن في هذه الأكياس أدوات أو عدّة يستخدمونها في أعمالهم،يغلب على مناظرهم إنهم من أصحاب المهن أو الصناعات، فعند وصولهم إلى مكان الشيشكالو أدّوا عليه التحية ودار حديث بينهم غريب بعض الشيء على سلطان، فهم تحدثوا مع الشيشكالو والكاهن ناجايد عن صناعة تماثيل حجرية وأفاع خشبية وعقارب

من الذهب وبعض الرموز الإسطورية التي يجهلها سلطان.

بعد إتمام حديثهم جاء العامل الموكل بخزينة الإله مردوخ برطلين من الذهب الخالص وخمس من الصرر الصغيرة في الصرّة الأولى حجر الزمرّد وفي الثانية حجر الزبرجد والثالثة ياقوت والرابعة من العقيق الأحمر والأخيرة حجر الدرّ الأبيض المخلوط بالأزرق، وكذلك أحظر معه خشب السدر والطرفاء وبعض الألوان والاكسسوارات وأعطاها لهولاء الثلاثة فحملوها وذهبوا إلى غرفة خاصة للأعمال المقدسة في الجانب الآخر من بناية المعبد، أما سلطان صار يمشي بخطوات ثعلبية حتى وصل إلى الكاهن ناجايد وسأله عن هؤلاء الصناع الثلاثة الذين أعطوهم هذه الأشياء الثمينة؟ فقال له الكاهن إنّ هؤلاء الثلاثة هم حرفيون (نجار وصائغ ونحّات) جاؤوا لصناعة تمثالين من الخشب والذهب والأحجار الكريمة ليكونا جاهزين لطقوس اليوم السادس من أيام عيد الأكيتو!!! فقال له سلطان وما يمثلان هذان التمثالان الذي سوف تتمّ صناعتهما؟ فقال الكاهن إنهما يمثلان الصراع الأبدي بين الخير والشر، بين الدم والحياة، بين آلهة الخير والشر، فهذان التمثالان سوف يقطع رأسهما في اليوم السادس ويرميان في النار في علامة لانتصار الخير على الشر

عندما يأتي الإله نابو لتخليص والده الإله مردوخ من ظلمات العالم الأسفل، أطرق سلطان قليلا وكأنه عرف أنّ الغاية من صنع هذين التمثالين هو إيصال رسالة دينية مشفرة لحالة انتصار القوى الخيرة على قوى الظلام، رفع سلطان راسه وقال أنا سوف اذهب لعند أولئك الحرفيين كي أرى كيف ستتم صناعة التماثيل وصار يمشي حتى دخل الغرفة التي يتواجدون فيها، فرأى النجار والنحات قد صنعا التمثال الأول من السدر وقد أشرفا على الانتهاء منه، كان طول التمثال لا يتجاوز عشرة أصابع، بجسم إنسان ورأس حيوان إسطوري كان تصميمه في غاية الروعة والفنّ وقد جعلوه يحمل بيده اليسرى أفعى، واليد اليمنى مرفوعة إلى ما فوق وجهه وكأنه يشير فيها إلى شخص ما،وبعد الانتهاء منه جاء الصائغ وقد أحضر معه شريطا خفيفا من الذهب بعد إن أذابه بالنار وسكبه في قالب خاص، فربط رقبة ووسط التمثال بذلك الشريط الذهبي وكذلك ربط أقدامه وبعد ذلك أخرج شريطا ذهبيا أخرا مطعّما بالأحجار الكريمة والألوان البراقة، ولفّه فوق رأس التمثال وجعله مثل التاج الصغير، سأل سلطان ذلك الصائغ لماذا وضعتم الأفعى في يد التمثال اليسرى؟ فقال الصائغ إنّ الأفعى تتمتع بخاصية الزحف فهي غالبا ما تعبّر عن الخصوبة والحكمة والدهاء والخلود، وهي رمز للشفاء والقوة كما هي رمز للدمار والجدب، وإنّ تمثال

الأفعى الواقفة يمثل مظهرا من مظاهر السلبية والخداع وكل هذه الرموز سوف تقف بإجلال وخضوع للإله القوي
مرّت ساعة من الوقت وسلطان جالس ينظر للحرفيين وقد انتهوا من صناعة التمثال الثاني الذي تمّ صنعه من خشب الطرفاء ونُفّذ بالصيغة التي تمت فيها صناعة التمثال الأول إلا أنّ التمثال الثاني يحمل بيده اليسرى عقربا شرسا ويشير باليمنى إلى شيء أمامه، وقد كُسيَ التمثالان بثياب حمراء داكنة، وقد تمّ ربط خصريهما بوريقات من سعف النخيل، وعند الانتهاء من صناعتهما سوف يحفظان في معبد مردوخ حتى اليوم السادس، وكذلك سوف يبقى الصائغ والنجار والنحات يسكنون معبد مردوخ حتى اليوم السادس، وطوال تلك الفترة ستذبح الأضاحي وتوزع الاطعمة على الكهنة وعمال وموظفي معبد الإله الحامي، وفي كل يوم سيُقدم للصائغ صدر الذبيحة وللنجار الفخذ وللنّحات الذنب، أما الأضلاع فترسل يوميا إلى الملك
كان اليوم الثالث من أيام الأكيتو بالنسبة لسلطان يوما رائعا مليئا بالأعمال المحببة لقلبه، كونه كان يسمع بها في السابق إلا إنّه اليوم شاهدها وعاش لحظاتها منذ ساعات الصباح الأولى وحتى الغروب عندما رجع الجميع إلى بيته وأقفل المعبد الكبير على أمل العودة مرة أخرى لإكمال طقوس اليوم الرابع...

لوحة عالمية لأميرات بابليات يحتفلن باعياد الربيع(اكيتو)..

أعمال اليوم الرابع (يوم الصحوة)

كان العمّ تراكسيس يتجول ماشيا بين أراضيه الزراعية وبساتينه الخضراء المنتشرة عند أطراف المدينة، وقد ربط نصف ثوبه السفلي حول مخصره وبطنه،ونزل إلى قناة مائية صغيرة انبثقت من النهر المجاور لتلك الأراضي وصار يغمس كلتا يديه في الماء بحركة بطيئة وحذرة،وبدأ يتحسس الجرف بشكل أفقي على طوال مسافة النهر، كانت الأفاعي الصغيرة والحشرات المائية الأخرى تنزلق بين أصابعه وأقدامه، فالعم تراكسيس كان يصطاد السمك بيديه الخشنتين فقط ولا يحتاج لشبكة او صنارة، وهو يعرف بأي زاوية من زوايا النهر يختبئ السمك، فكانت أنامله تمسك الأسماك بسرعة ومهارة، وبرغم كبر سنه إلا أن يديه الرشيقتان كانتا أسرع من البرق باقتناص أي مخلوق يمرّ بجانبهما، حتى أنّه اصطاد في ذلك الصباح أربع سمكات بطول الذراع.

كانت الشمس تفتح عينيها بعمق، ورياح المدينة تحمل معها نفحات البخور والحرمل المنبعثة من البيوت والمعابد، مما جعلت أجواء المدينة تعبق بأحاسيس روحانية مقدسة، وكذلك كانت العوائل الكلدانية تستعدّ للقيام بالاحتفال والفرح، فتجد الكثير من الناس بدأت تظهر

عليهم مظاهر الاحتفال، كون إنّ هذا اليوم هو اليوم الرابع من أيام عيد الأكيتو وفيه يسمح للملك وبعض الناس من أصحاب الامتيازات الخاصة المشاركة في الطقوس والمراسيم، أما في الأيام المقبلة من الأكيتو فأنّ الجميع يحق له الاحتفال والاشتراك فيه، مما جعل بعض الناس الذين يسكنون المدن الأخرى يتوافدون تباعا إلى مدينة بابل مع ساعات الصباح الاولى التي كان فيها العمّ تراكسيس مشغولا بسقي مزارعه وصيد الأسماك

ما أن مرّت ساعة من الوقت وازدات حركة المارّة حضر الكاهن ناجايد وساركون وسيفيل وسالاريا وموكاليم ونورس وسلطان وقد لبسوا ملابس العيد وفي وجوههم بشارات السعادة والسرور، فوجدوا العمّ تراكسيس جالسا على صخرة صلدة بجانب النهر، وقد تلطخت أقدامه وساقاه ويداه بالطّين والوحل، وإلى جانبه سمكات مازلن يصارعن الحياة بإنفاس مخنوقة!!!عندما رأوه القوا عليه التحية وهو بدوره لقاهم بوجه ضحوك ومستبشر وقال لهم ممازحا إلى أين ذاهب بكم هذا الكاهن العجوز وأشار بيده إلى الكاهن ناجايد؟

تبسم الكاهن ساخرا وقال له أنا لست مثلك أيها الطماع فأنت مازلت تركض وراء المال وحطام الدنيا ومبتعد عن آلهتك، أما أنا أعمل كل الواجبات لآلهتي التي سوف تنقذني من الجحيم عند الممات، ابق أنت كما أنت

ياتراكسيس فأنا سوف أضحك عليك كثيرا عندما يورد اسمك ضمن المعذبين في العالم الأسفل ويشوون جسمك في الجحيم الأبدي لأنّك كنت مهملا بواجباتك إزاء آلهتك وانشغلت بجمع المال!!!

تبسم العمّ تراكسيس وقال له وأن يكن فأنت سوف تشفع لي في العالم السفلي، وسآكل من طعامك وأشرب من شرابك هذا لو كنت أنت من الصالحين!!! قال له الكاهن ناجايد اللعنة عليك يا تراكسيس سوف نتأخر بسبب لسانك ومزاحك الثقيل هيا بنا يا أولاد واتجه صوب معبد الأساجيل ومشى الجميع، التفت الكاهن للعم تراكسيس وقال له انتظرنا عند معبد نابو وقت العصر فهناك سيحضر الملك والكهنة الكبار وشخصيات حكومية مهمة، هزّ العمّ تراكسيس برأسه من بعيد موافقا.

كان الجميع يسيرون بخطوات بطيئة صوب معبد مردوخ وسط حركة المارّة المحتفلين، أما نورس فسارعت الخطى لتلتحق بالكاهن ناجايد وسلطان كونهما يسيران في المقدمة وفور وصولها سألت الكاهن عن عقيدة هؤلاء الناس في مصير الأرواح البشرية بعد الموت والعالم الأسفل والجحيم الأبدي

فقال الكاهن يانورس أنّ هناك ثلاثة عوالم في الكون، ولكل عالم طبيعته الخاصة وعمّار وساكنين، فالعالم الأول

عالم السماء العلى حيث تسكن الآلهة، والعالم الثاني الأرض حيث يسكن البشر، وأخيرا العالم الأسفل حيث يسكن الأموات، أما عن سؤالك أين يذهب الأموات، فالميت يذهب إلى العالم الأسفل تحت الأرضي الذي هو عالم على شكل مدينة كبيرة تكتنفها الظلمات الأبدية وتحيط بها سبعة أسوار لكل سور منها باب يحرسه أحد الآلهة المرعبين، ويحيط بهذا العالم نهر يشكّل حدوده وتحكمه الإلهة أرشكيكال ابنة الإله سين إله القمر، وأخت الإلهة عشتار والإله أتو إله الشمس، ويشاركها في حكم العالم الأسفل زوجها الإله نرغال وسبعة قضاة وكل له مهام وواجبات في تسيير العالم الأسفل من محاكمة الموتى الجدد وإعطاء المصائر لهم حيث لا يهم أن يكون الموتى أخيارا أو أشرارا أغنياء أو فقراء أحرار أو عبيد لأنهم سوف يلاقون المصير نفسه في عالم تحت أرضي الذي يغصّ ويطفح بالرعب والظلام والأوجاع والأنين والبكاء والأفاعي والعفاريت والأشباح والكائنات الوحشية الفتاكة التي تنقل الأوبئة والأمراض، أندهشت نورس وسلطان مما سمعا من كلام الكاهن وقالت له أوكل هذا موجود في ذلك العالم؟

فقال الكاهن أنّ الاموات في ذلك العالم عراة ولا يوجود عليهم ما يسترون أجسامهم سوى أنهم يحصلون على أجنحة رقيقة تمنكهم من الحركة والتنقل، وهم يأكلون

التراب والطين، ويشربون الماء العكر الوسخ، ولذلك يجب على الإنسان أن يتقرب إلى الآلهة ويقيم لهم الصلوات ومجالس الذكر ولا يفعل ما يغضبهم ويبني لهم المعابد ويعمرها بالعبادة ويقدم لهم النذور حتى يضمن له موطئا محمودا هناك، هزت نورس رأسها وكأنها غير مقتنعة بما قاله الكاهن...

أسرع سلطان وسار إلى جانبها وقال بصوت خفيض أنا الآن عرفت أصل الحكاية يا نورس ففي زمن البابليين الكلدان يبني الناس المعابد للآلهة تقربا وتملقا وتزلفا وإرضاء لها وما زالت هذه الفكرة موجودة في زمننا نحن عندنا وعند الذين يبنون الكنائس والجوامع والمعابد المختلفة لنفس الغرض القديم لإرضاء الله طمعا في جنته الموعودة!!!

وصل الجميع قبالة معبد مردوخ فوجدوا الكثير من الناس والعربات التي تحركها الأحصنة والبغال، وهناك مجموعات وكراديس للجنود والشرطة قد انتشروا في أرجاء الحي كون أن الملك في هذا اليوم سوف يخرج ويشارك الناس الاحتفال فيجب أن تُؤمّن المنطقة وتنتشر القطعات الأمنية في كل مفاصل المدينة، وكانت مجاميع ليست بالقليلة من الاطفال والنساء والكلّ كان يحمل بيده غصن زيتون أو غصن الياس أو سعفة نخل أو وردة وهم يرتدون أجمل وأرقى الملابس بألوان وأنواع مختلفة،

وكان معبد مردوخ مزدحما للغاية فالناس هناك من هم في الخارج ينتظرون الكهنة والمرتلين الموجودين في داخل المعبد أن يتمموا تراتيلهم وصلواتهم وبعدها يفتحون الأبواب للناس الموجودين في الخارج.

كان هناك صف من النساء اللواتي وقفن بجانب جدار المعبد الذي يلي البوابة الرسمية يمسحن في كفوفهنّ ذلك الجدار وهنّ ينشدن البركة وطلب المغفرة من الإله الحامي،ويمسحن وجوههنّ فيه ويقرأنَّ التراتيل والصلوات الخاصة بتمجيد الإله، كانت نورس واقفة ضمن النساء الواقفات إزاء الجدار قد انتبهت إلى صوت فتاة بابلية لم تتجاوز الثلاثين من عمرها واقفة بجانبها وهي تتمتم بكلمات مقدسة بصوت بابلي رخيم يغلب عليه السحر والخشوع حيث تقول: -

أيتُها الإلهةُ المُبجلةُ العظيمةُ بينَ الآلهاتِ صربانتيوم
التي تبدو مُتألقة بينَ النجومِ
الإلهةُ التي لباسها الثور المشرق
صربانتيوم التي خلقت السماءَ وكونت الأرضَ
وأن المكانةَ المبجلةَ الشهيرةَ سيدتي
مشرقة وذاتُ مَنزلة سامية
لا يوجدُ من يشبهُها بينَ الآلهاتِ

التي تنظرُ في الشكاوى وتُفقرُ الأغنياءَ وتُغني الفقراءَ
التي تُجندلُ العدو الذي لا يهابُ قدسيتَها
التي تمنحُ السجينَ الحُريةَ والتي تمسكُ بخناقِ الرذيلةِ
مُبارك الذي يُباركَ
قرري مصيرَ الملكِ الذي يُبجلكِ
امنحي الحياةَ لسُكانِ بابل الذينَ هم أتباعكَ
دافعي عنهم في حضرةِ الإلهِ مردوخ ملك الآلهةِ
عسى أن يمجدَ اسمكِ الناسُ
ويقدسوا ربوبتك ويمدحوا بطولَتكِ ويجلّوا اسمَكَ
ارحمي العبدَ الذي يُسبحُ بحمدِكِ
خذي بيدهِ عندما يكونُ محتاجا
وامنحيهِ الحياةَ عندما يكونُ مريضا كي يكونَ سعيدا وفرحا
مُتحدثا لكلِ الناسِ عن قدرتِكِ وبطولتِكِ

وبعد أن أتممت تلك الفتاة صلاتها التفتت إلى الخلف لتجد نورس تحدق فيها وهي تتبسم، فقالت لها نورس مباشرة ما أجمل صوتك يا فتاة وما أجمل الكلمات التي كنت تتغنين بها!!!فأحابت تلك الفتاة شكرا لك كثيرا أن هذه الكلمات هي صلاة خاصة للإلهة صربانتيوم زوجة الإله مردوخ

وهي من ضمن أعمال اليوم الرابع من عيد الأكيتو!!
فقالت لها نورس وهل تعرفين طقوس الأكيتو؟ فقالت لها نعم أعرفها بحذافيرها وأجيد إقامتها وروايتها وأردفت قائلة يبدو عليك أنك غريبة عن بابل أليس كذلك؟ قالت لها نورس نعم ولكن لست غريبة مثلما تقولين فأنا ابنة هذه البلاد وأضافت هل لك أن تعطيني فكرة عن أعمال اليوم الرابع؟ فقالت الفتاة نعم إن في هذا اليوم وقبل الشروق ينهض الكاهن الأعظم ويغتسل بماء النهر ويرتدي اللباس المقدس ويصلي على مردوخ بصلاة أزلية مأثورة مخصصة لأعمال هذا اليوم، حيث يقف أمام تمثال الإله مردوخ ويصلي على الإله وبعد إتمام هذه الصلاة ينتقل من مخدع مردوخ ويتوجه أمام تمثال الإلهة صربانتيوم زوجة الإله مردوخ وهي الصلوات التي سمعتيني أرددها قبل قليل، وبعد الانتهاء من الصلاة هذه يخرج الكاهن إلى الباحة المقدسة ويتجه إلى الشمال للتسبيح بحمد نجمة(إيكو).نظرت نورس لتلك الفتاة مستغربة وسألتها عن نجمة(إيكو)ولماذا خصص لها طقس خاص هذا اليوم؟ فقالت لها إنّ هذه النجمة هي مجموعة نجوم الفرس الأعظم الموجودة في السماء التي يرعاها الإله(إيا-أنكي) قائد النجوم، إن مجموعة نجوم الفرس الأعظم اتخذت مواقع معينة في السماء، لو نظرت إليها لرئيتيها موزعة

مثل خارطة هندسية على شكل حصان راقد في الفضاء، وأنّ هذا الشكل يشبه تماما شكل الخارطة المعمارية التي بني عليها الأساجيل معبد مردوخ، وهناك ارتباط فلكي إلهي فيما بينهما،ويعدّ اليوم الرابع لعيد الأكيتو البداية الفعلية للسنة الجديدة، حيث تتمّ في هذا اليوم قراءة قصة الخليقة البابلية مباشرة أمام تمثال الإله مردوخ، وهي تذكرة ببداية السنة الجديدة أي اليوم الأول في خلق الكون!!!

تعجبت نورس من كلام هذه الفتاة، وكيف كانت تمتلك ثقافة دينية واسعة وملفتة للنظر، فأرادت نورس أن تكون هذه الفتاة صديقة لها، فقالت لها أعجبتيني جدا يا فتاة بما تمتلكين من ثقافة ومعرفة، أنت ما اسمك؟ قالت لها أني اسمي شميرام وأنت؟ قالت لها أنا نورس وأردفت كلميني أكثر ياشميرام عن طقوس اليوم الرابع من الأكيتو؟ فقالت شميرام من أعمال الأكيتو في هذا اليوم بعد قراءة قصة الخليقة أمام تمثال الإله مردوخ يتجمع جميع كهنة الأساجيل أو بالأحرى جميع من في المعبد ويقيمون صلاة رفع اليدين الخاصة بالإله الكبير، وصلاة رفع اليدين هي صلاة حزينة تعبّر عن خوف البشرية من المجهول، فأنّ الشرّ موجود في كل زمان ومكان، وهناك من يعبث بتفاصيل هذا الكون الذي خلقه الإله، ولدفع هذه الشرور تقام هذه الصلاة في هذا اليوم لكي يحفظنا الإله من كل

شر على مدى سنة مقبلة، فتجد كل من هو حاضر في المعبد واقفا بكل تذلل وخشوع أمام الإله ورافعا كلتا يديه وهو يتوسل الرب أن يحفظه ويبعد عنه الشرّ، وأضافت شميرام أعتقد الآن يا نورس أن الكهنة الموجودون في الداخل يقيمون هذه الصلاة أمام تمثال الإله،وبقيت شميرام تجيب عن أسئلة نورس وبدأت علاقة صداقة تجمعهما.

أما سلطان فقد دخل إلى فناء المعبد مع الكاهن ناجايد باعتباره كاهنا ومن ضمن الأفراد المعنيين بإقامة الطقوس، كان الجميع يقف أمام تمثال الإله مردوخ يتقدمهم الشيشكالو وبعض الكهنة الذين هم من الدرجة الأولى والجميع رافعا يديه يدعو ويتوسل الإله فتسمع لهم دوي كدوي النحل غير أن سلطان قد تملّكه الفضول وخطرت في باله فكرة بأن يستغلّ الوقت الذي فيه الجميع منشغلين بالعبادة بأن يقترب من التمثال العملاق للإله مردوخ المصنوع من الذهب، ويلقي نظرة فاحصة وقريبة عليه، فصار يتخطى ويجتاز صفوف المصلين حتى أنه تجاوز الصف الأول الذي يقف فيه الشيشكالو والكهنة العظام، ووصل عند التمثال الذهبي للإله الذي هو عبارة عن تمثال كبير الحجم مصنوع من الذهب يتجاوز طوله أربعة أمتار، يمثل جسد إنسان ملتح تبدو عليه علامات الهيبة والوقار، ضخم الجثة بارز العضلات يرتدي زيّا طقسيا من الحرير الأحمر والكتان، ويحمل بيديه العصا

والحلقة، ومتوّج بتاج ذهبي عظيم واسع الأطراف ومطعّم بالأحجار الكريمة ذات الأنواع والألوان المختلفة ويقف على مصطبة متوسطة الحجم مصنوعة من الذهب تعلو عن الأرض نصف متر،وحوله أشخاص موظفون يقومون بخدمته.

تقرّب سلطان من ذلك التمثال أراد أن يلمسه بيديه ويتحسس ذلك المعدن الثمين بأصابعه فمدّ يده إلى التمثال وبدأ يتلمسه بحركة بطيئة ورقيقة...

كان أحد الموظفين قد لمح سلطان وهو يمرر يده على جسد الإله فصرخ بوجه سلطان رافضا وناقما عليه كون إنّ لمس التمثال بقصد الفضول أو العبث يعدّ أهانة بحق الإله ومحرما على من يفعل ذلك، فزع سلطان مرعوبا ومتفاجئا من صوت ذلك الرجل فسحب يده عن جسد التمثال بسرعة فائقة جعلت سلطان يضرب الشخص الذي بجانبه ضربة قوية بيده التي سحبها من دون قصد، مما جعلت ذلك الرجل يقع على تمثال الإله مردوخ فارتخت ركائزه وصار يهتزّ يمينا وشمالا وعيون الناس شابحة نحوه مذهولة ومرعوبة، وإذا بالتمثال يهوى بين المصلّين ويسقط على الأرض محدثا ضجة كبيرة وصوتا مرعبا، كان سقوط التمثال قد أصاب قدم سلطان من جانب الكاحل مما سبب له ألما كبيرا فيها، أراد أن يسحبها من تحت التمثال المكسور فلم يستطع، فتجمّع حوله الناس وبدأوا

يحاولون سحبه بقوة وسلطان يتألم ويصرخ حتى أنفتق جرح في قدمه وصار ينزف دما غزيرا، وفجأة صمت الجميع وإبتعد الناس عن سلطان فقد جاء الشيشكالو غاضبا وعيونه تقدح بالجمر والشرور وبيده سيف طويل وقاطع حتى وصل إلى عند سلطان ورأى قدمه العالقة تحت تمثال مردوخ، حملق في وجه سلطان والغضب يفور في رأسه وقال له إنّك ارتكبت ذنبا عظيما أيها الأحمق بفعلتك هذه؟ إنّك تسببت بالأهانة للإله العظيم وأنا حكمت عليك بالموت ورفع سيفه عاليا قاصدا ذبحه وأنزلها بكل قوة على رقبة سلطان!!!! أحس سلطان بألم فضيع يجزّ في رقبته، وحرارة فضيعة تنتشر في شرايين عنقه.

وإذا بسلطان على أثر تلك الضربة يستيقظ في تلك الغرفة التي علق فيها بمعبد ننماخ عندما ارتطم بالجدار وغاب عنه الوعي!!!كان ذلك الألم الذي جعل سلطان يصحو من غيبوبته المؤقتة بسبب أسنان فارة جائعة كانت تعضّ رقبته بقوة وليس سيف الشيشكالو الذي رأه في حلمه!!!قام سلطان من تلك الغرفة وخرج وإذا به يجد نورس ومكي المرشد السياحي وطلاب كلية القانون والسائحين من الناس وفي الحقيقة أن جميع هؤلاء كانوا ينتظرون مجيء سلطان، وما أن وصل إليهم وجلس على كرسي خشبي وهو لم يصدّق الذي حدث معه ويتسائل في نفسه هل الذي

رآه كان حلما؟ هل كان نائما عندما سافر عبر ذلك الزمن؟فهو يتذكر العم تراكسيس وسيفيل وموجة وسالاريا وموكاليم وساركون والكاهن ناجايد وقلبه يعصره الألم وبقي صامتا لم يتكلم مع أي أحد حتى عاد وعاد الجميع إلى بيوتهم وانتهى وقت تلك الرحلة الغامضة.

THE AND

بعد مرور أسبوع واحد على صحوة سلطان التي ما كان يتوقعها إنّها تأتيه بغتة،ولم تكن تلك الصحوة قد جاءت في وقتها فهي كانت كالعاصفة المختبئة خلف جبال الأقدار، جعلت منه إنسانا بليد الأفكار وخائر الروح والتفكير، ولم يصدّق ما حدث معه في غيبوبته التي سافر بها عبر الزمن ورجع من خلالها إلى أربعة آلاف عام للوراء أو أكثر، وكيف التقى بأماكن وشخصيات كان من المستحيل أن يلتقي بهم أو يشاهدهم، وكيف عاش أياما شرب فيها من فيوض ثقافة شعب كان يسمع بها في الأساطير والقصص...

مرّ أسبوع على سلطان وهو مازل يتخيل تلك المغامرة الزمنية التي فتحت أبواب حياته، وعلّقت على أغصان ذاكرته قناديل متوهجة، يريد أن يستوعب ويتقبل هذه الصحوة أو يتماشى مع الواقع لكنّه لا يعرف كيف، كان في قلبه طفل يبكي بصوت عال لا يهدأ إلا بالرّجوع لذلك الحلم الغريب، حتى إنّه صار يأمل في كل ساعة نوم يكون فيها نائما أن يعود له ذلك الحلم ثانيا لكي يكمل بقية القصة ويصنع الكثير من الذكريات،يريد أن يعود لكي يكمل بقية أيام عيد الأكيتو ويرى الكاهن ناجايد ليحدثه عن بابل

وأسرارها،إنه يشتاق لتلك القصور والمعالم،يشتاق لساركون وسالاريا وموجة وسيفيل والعم تراكسيس،فسلطان لطالما كان يقضي ساعات ليله بتذكّر ما حدث معه فيبقى ساهيا غائبا عن الواقع، ويدخل في دوامة الشوق حتى يغلب عليه السنا وينام محزون القلب والخاطر، وعلى مدى هذه الفترة لم يتكلم عن أمر ذلك الحلم، ولم يطلع أيّ شخص بما رأه في عالم الغيب حتى نورس والمقربين منه، رغم إنّه يلتقي بنورس في الجامعة يوميا ويتكلمون عن رحلتهم إلى المدينة الأثرية، ويتذكرون تفاصيلها وأحداثها.....

بعد مضي أكثر من شهر من التحولات غير المرغوب بها في حياة سلطان، ومضيّ الليالي الساهرة والأيام المملوءة بالتعب والتشنج وقد قضى وطرا من عمره في روتين متكرر وهدوء ممل، كان سلطان مراقبا جيدا لكل الأحداث التي تطرأ في حياته، ويسجّل جميع إرهاصات الزمن التي يعيشها في طرقات حياته، فهو دائما ما يرى إنّ هذه الحياة عبارة عن فلم قصير مشحون بالمفاجئات ومقرون بنهاية حتمية، أو وهم أبدي ممتد منذ آلاف السنوات وسيبقى إلى الأبد...

فتارة يجد نفسه متقبّلا فكرة الرحيل الطويل القادم الذي تنتهي به رسالة الجسد المادي في هذه الدنيا، الرحيل الذي لا عودة منه ولا يمكن له أن يتكرر من جديد، فيرى

سلطان نفسه مستعدة وجاهزة لهذا الرحيل، وفي كل ثانية تمرّ أو جزيئة زمنية يتوقع فيها إنّه راحل...

وتارة وعندما يعدّ سني عمره يتوقع إنّه سوف يعيش أكثر مما مضى، فيؤجل الأعمال ويتكاسل في تحقيق أحلامه وتبرد همّته بداعي إنّ هناك متسعا من الوقت وممكن أن ينجز ما يريده في المستقبل، فهو قد تخرّج من كلية القانون وبقي فارغا من النشاط والحيوية خصوصا إنّ سلطان قد جاء في أتعس فترة عصيبة يمرّ فيها العراق، كل شيء في هذا البلاد منكمش، وكل شيء فيها يموت بشكل بطيء، فترى هذه البلاد خاوية على قبورها والأحياء فيها سائرون إلى الهلاك والضياع.

فعندما تكالبت الدول على تكسير قوائم هذه البلاد والقذف بها إلى أسفل السافلين كذلك بدأ أهلوها يأخذون دور المستعمر أيضا وصاروا يأكلونها بلا ضمير ولا إنسانية، فعندما تسير في أي بقعة في العراق سوف تجد الخراب في كل مكان، في البيوت والشوارع في الأسواق والأنهار في دوائر الدولة والدوائر المدنية، سوف تجد الخراب في المناخ والطقوس في النفوس والقلوب وحتى في الوجوه والملامح،وشيئا فشيئا بدأ الناس ينتزعون ذواتهم وصفاتهم الإنسانية واستبدلونها بأخرى حيوانية همجية، وقد أطفأوا عقولهم وأذهانهم وشغلوا غرائزهم وشهواتهم!!!

صار سلطان يرى الحب وسط هؤلاء الناس ما هو إلا وسيلة وصولية يستخدمها البعض لتحقيق غايات شخصية،وصار شيئا روتينيا تافها يخلو من القدسية والمحتوى، فترى الفرد سواء أكان رجلا أو امرأة لديه الكثير من العشاق المزيفين والأحبة الكاذبين حتى أصبح الحب بين هؤلاء البشر غريبا غير محترم وقد فقد مكانته بين القلوب، ومن المؤسف أنّك صرت لا تعرف الصادق من الكاذب،والحقيقي من المزيف في زحمة الخيانات والفوضى وقد صار الحب أول ضحاياها...

فسلطان الذي كان يُغنّي للحب وينشد للطيور والأنهار ويغازل النسمات الرقيقة لو خطرت بذاكرته الحبيبة، أمسى بارد المشاعر اتجاه أيّ شيء ومنطفئ القلب والروح، ولا تحركه ألوان الغرام البراقة، أو يحلم أنّ يجد حبه الضائع مثلما كان في السابق، فالتجارب الفاشلة التي مرّ بها كانت كفيلة بأن تودع في قلبه هذه الكمية الكبيرة من اليأس والأحباط، فحُسنُ ظنّه بالنساء ليس مثلما كان، وثقته في قلوبهنّ وأقوالهنّ أصبحت من المستحيل، فاتجه سلطان إلى مملكة العزلة والعيش بمفرده والابتعاد عن أيّ صلة تربطه بالناس، وأن كان يعيش في زحمة المدينة المكتظة بالبشر إلا أنّه شرع لنفسه نظام الوحدة وبدأ يشغل نفسه بكتابة الشعر وقراءة الكتب ولا يخرج من البيت إلا في حالة الضرورة...

وفي يوم 30 نوفمبر كان سلطان قد خرج منذ الساعات الأولى من الصباح إلى سوق الحلة الكبير، وهو يغازل اللحظات بأحلام اليقظة، ويطلق بوجه الشوارع ابتسامات طفولية شفافة، فهو كان ينتظر هذا اليوم منذ سنة مرّت على لقاءه بنورس،وهو في خلده كان يأمل أن يلتقي بها مرّة أخرى وينتظر الوقت المناسب لكي يكشف أوراق قلبه لها ويعترف أنّه يخفي لها المشاعر والغرام، غير أنّه أراد أن يختار مناسبة تكون فيها النفوس سعيدة القلوب صافية، فلم يجد إلا يوم عيد ميلادها، كان يحسب إنّ في هذا اليوم ستكون نورس في قمة السعادة، وسوف يكون هناك صفاء في المشاعر وتقبّل لكل ما سيقوله سلطان...

سوق الحلة الكبير الذي يعّج بالبشر وأشكال البضائع كان في نظر سلطان أصغر من غرفة صغيرة، فهو كان يتمنى أن يشتري لها كلّ ما هو موجود فيه ويقدّمه قربان لنورس لعلها تستجيب لما يحلم به ويريده منّها، وبعد تعب ومشقة وجيلانه في السوق، وقعت عينه على سوار ذهبي موشّى بألوان مختلفة فقرر أن يشتريه وفعلا اشتراه وذهب مسرعا إلى أحدى كافيهات المدينة حيث كانت نورس تنتظره هناك...

قلب سلطان كان يحكي مثل المجنون، ويصوّر مشاهد غرامية جميلة يتخيلها سوف تحدث بينهما، ويقول سوف

أحكي لها هذا الكلام وهي سوف ترد عليّ بهذا الكلام،ويبدأ يبني في مخيلته حياة جديدة تكون فيها نورس الملكة، وتغمر أيامه حلاوة وسحرا.

وصل سلطان إلى المكان الذي تواعدا عنده، فوجد نورس تنتظره، فعندما كان قريبا منها قال لها بنبرة دافئة كل عام وأنت بخير يا نورس...عيد ميلاد مبارك...

تبسمت نورس بخجل،فهي لم تكن تتوقع من سلطان يعرف إن في هذا اليوم هو عيد ميلادها، فأحسّت بشيء من الحب والاهتمام.. أخرج سلطان علبة صغيرة مغلفة ووضعها بين يدي نورس وقال لها هذه هدية عيد ميلادك، يا نورس لا شيء بمستوى مقامك ولكنّني أحسست إنّ هذه الهدية سوف تعجبك وتفرحين بها، أخذتها نورس والحياء صار واضحا على ملامحها ويداها ترتعشان بقوة، قالت سوف أفتحها الآن فأنا لا أمتلك الصبر وبدأت تفتحها بصورة بطيئة، كان سلطان ينظر ليديّ نورس الناعمتين وهي تخرج ذلك السوار من العلبة وتقلّب به يمينا وشمالا، قال لها سلطان هل بأمكانك أن تلبسينه الآن؟ أحب أن أراه على معصمك؟ قالت نورس نعم وصارت تحشر يدها في ثغر ذلك السوار وهي تتبسم وتقول إنّني جمعت الكثير من هذه الهدايا في عيد ميلادي!!!

نظر سلطان بوجهها وقد اختفت ابتسامته وأقطب حاجبه وقال لها ومن أين جمعت مثل هكذا هدايا؟ فقالت له من العشاق الذين يدورون حولي!!!وأردفت قائلة وهي تبتسم ابتسامة عرضة يااااه وما أكثرهم!!!

أحس سلطان بخيبة أمل صامتة وكأنّ كلمات نورس سحبت الفرحة من قلبه وأشعلت الحسرات في قلبه،فهي عندما قالت إنّها لديها الكثير من العشاق الذين يتساقطون حولها وهي لا تهتم بهم ولا تكترث لأمرهم ،فهو صار يحسب نفسه فردا من هؤلاء العشاق غير المرغوب بهم ولا مرحب بحضورهم بالنسبة لها، وما زاد أفكاره يقينا إنّها لم تبدي أيّ إعجاب ولا حتى كلمات شكر لما قام به سلطان وما قدمه لها، ومنذ تلك اللحظة أحسّ إنّ نورس لا تعدو إلا واحدة من هؤلاء النساء المتشابهات بالغرور والحماقة، فلا توجد فتاة مختلفة عن الفتيات الأخريات أبدا، ولا توجد من تتميز بالصفات النادرة، ولأول مرة يشعر سلطان بأنّ نورس لا تختلف عنهنّ!!! فقالت له أنا سوف آخذ هذا السوار...بقي سلطان صامتا ومطرقا رأسه إلى الأرض، أراد أن يتجاهل هذه الفلتات المزعجة ويتكلم بخصوص ما جاء من أجله، أراد أن يعترف ويحكي بكل الذي بداخله، ولكنّ قبل أن يفتح فمه قالت له نورس أنا أريد أن أكشف لك سرّا حدث معي مؤخرا وقد أفرحني

كثيرا، قال سلطان وما هو الأمر الذي أسعدك لهذا الحدّ؟ فقالت له لقد تمت خطبتي من أحد الزملاء في الكلية ورفعت يدها اليمنى كي تريه خاتم الخطوبة!!!اندهش سلطان واصطكت فكاه على لسانه ولم يتكلم بحرف واحد وكأنّه لم يصدق ما قالته نورس، كان يحسب إنّ في هذا اليوم ستولد سعادته من جديد ويبدأ حياة مليئة بالغرام والأمل على يديّ نورس، كان يتصور إنّ في هذا اليوم سوف تنعطف مسارات المستقبل إلى المسرّات ويقيم صروح الأفراح في سنواته المقبلة، لا أن ينصدم بهذه المفاجئات ويخنق قلبه دخان الرياح التي لا تشتهيها السفن، قال لها ومن ذلك الشخص الذي خطبك؟

قالت له أنّه أحد زملاء الكلية، كان يراقبني من بعيد ويعشقني طوال السنوات الأخيرة ولم أكن أعرف به، وعندما صارحني بحبه قلت له لو أنت فعلا تعشقني وتريدني لهذا الحدّ تعال واخطبني من أهلي وأنا سوف أوافق عليك مباشرة، وفعلا قام بخطبتي وسوف يتم الزفاف يوم الخميس المقبل...

قال لها سلطان بصوت يكاد يتقطع داخل صدره مبروك الخطوبة يا نورس أتمنى لك حياة سعيدة وقام من على الكرسي وأضاف أنا الآن سوف أذهب مع السلامة، وخرج من ذلك المقهى حزينا مألوما تاركا أحلامه وأمنياته ونورس خلفه وفي قلبه غصّة أخفاها عن الجميع، فسلطان

لم يكن محروما من تحقيق أحلامه ورغباته فحسب، بل التأخير الذي كان ملازما له في كثير من الأحيان، فهو دائما ما يحضر متأخرا في كل تفاصيل حياته، منذ أول يوم في ولادته إلى أخر لحظة من جوانب أيامه وسنواته!!فما أقسى أن يكون نصيبك آخر الأشياء، وما أتعس أن ترى من جاء خلفك يكون في المقدمة، ومنذ ذلك اليوم ازدادت سوداوية التفكير، وتفاقمت سطوة العزلة والابتعاد عن الناس في شخصية سلطان، وكأنّه سلك طريقا خارج حدود الكون..

وما إن مرّت أيام قليلة وإذا به يرى صور زفافها نشرت بعضا منها على مواقع التواصل الاجتماعي، رآها سعيدة مسرورة،والغريب بما رآه إنّها لم تكن مرتدية في معصميها سوى السوار الذي اشتراه لها سلطان!!! فعرف إنّه لو عاش ألف سنة وقضاها بدراسة وتحليل نفوس وعقول النساء فإنّه في النهاية يجد نفسه لم يعرف ولو جزءا بسيطا منهنّ.

****

رواية

رسول بابل الأخير

نبوبولاصر الحسيني

عندما وصل ذلك الوفد الى مكان قريب من عرش الملك ورأوه جميعهم انحنوا بنصف سجدة تعبيرا عن الاحترام والخضوع، وما أن هبطوا بالانحناء له حتى انكشفت صورة الملك أمام أعين سلطان وإذا به يرى الملك الكلداني نبوخذنصر جالسا على كرسي فخم مصنوع من الذهب وقد ترصّعت جوانبه بأحجار من العقيق والزبرجد، وقد ارتفع ذلك العرش مسافة مترتين عن مستوى الجالسين، وحول العرش كان هناك غلامان يافعان كل واحد منهما يمسك بيده مروحة كبيرة مصنوعة من ريش النعام ويحركها بهدوء ورقّة اتجاه الملك.

ISBN 978-9922-684-43-7

009647831010190
hussein_nahaba
info@ebjed.com